
روايات
عالمية
للفتيان
اطفال الشتاء

اطفال الشتاء
پيرلي دورثي
ترجمة هنار فلاح
الطبعة العربية الاولى ١٩٩٢
الناشر وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
ص. ب ٨٠٤١



مخزن الحبوب

كان واضحا (لكاثرين) منذ البدء ان هذه الرحلة ستكون مختلفة كليا عن جميع رحلاتها السابقة مع أفراد عائلتها. انطلق الباص الذي ينقل هذه الفتاة الذكية وبقية أفراد عائلتها من مدينة (شيفيلد) متجاوزا التلال الصغيرة التي تحيط مدينة (ديربي شير). . . . متوقفا هنا وهناك. . . وعلى فترات متفاوتة. . . لكي يقل معه من

يقف بانتظاره من القرويين والرعاة القادمين من الحقول والمزارع البعيدة، وفي مناطق اخرى يستوقفه بعض الركاب لكي ينزلوا من مدينة الى أخرى عند وصولهم المكان المقصود. ان طواف الباص وتجواله من مدينة الى أخرى، وكثرة توقفه في هذا الركن اوذاك لم يكن شيئا غريبا على الركاب جميعهم ومن بينهم (كاثرين)، ولكن رعشة رهيبة اجتاحت كل خلية من خلايا جسدها الرقيق... أوربما يكون نوع من الأثارة قد بعثت فيها شعوراً كهذا.

جلست (كاثرين) في المقعد الذي عثرت عليه... حيث كانت بمحاذاة النافذة ولصقت وجهها على زجاجها البارد جداً... حيث شعرت لحظتها وكأن قالبا ثلجيا قد وضع على وجهها وراحت تحدق بعينيها من خلف الزجاج باتجاه الوادي الأخضر، الذي اكتسى بحلة الشتاء الناصعة البياض... فبدأ الوادي وكأنه مزرعة قطن حان قطافه. وقع بصرها على الدخان الذي يعلو مداخل المنازل، وكأنه رايات تملأ الأفق الفسيح، لم يكن شيء يدل على ان هذه المنازل مأهولة بالسكان غير هذه الرايات التي تعلوها، فالسكون الذي يلف هذه

المدينة يجعلها تبدو وكأن أهلها يعيشون في حالة سبات شتوي تبدأ بحلول فصل الشتاء.

منظرا كهذا لم يكن عابرا بالنسبة لفتاة ذكية مثل (كاثرين)، فقد أثار في اعماقها اسئلة كثيرة لم تجد لها تفسيرا يقنعها ويرضي فضولها... فماذا تشبه هذه البيوت والمداخن؟ ولماذا يسكن الناس في مناطق نائية كهذه.... كيف كان سكان هذه المناطق يتمكنون من الأتصال بالمدن الأخرى قبل وجود هذا الباص وقبل ان تنشأ الطرق... وهل يستطيع سكان هذه القرى النائية مواكبة الحركة والنشاط خارج قراهم؟

خلف (كاثرين) مباشرة جلست أختها الصغرى (باستي) والى جانبها جلس الاخ الصغير (أندروا)، وخلفها كان الأب والأم يجلسان فقد حملا معهما خريطة كبيرة تشمل المنطقة كلها. كانت (كاثرين) تواقة جدا للاطلاع على هذه الخريطة لمعرفة أسماء المدن والقرى والانهار والتلال التي تتضمنها حيث ان أسماء بعض القرى والحقول مثل أسماء الاشخاص، فمثلا (حقل لورانس) المعروف بأعشابه الطويلة.. الكثيفة والمتراصة مع بعضها.. أما حقل (هاوراد) فهو مشهور

بصخوره الهائلة والمترامية بكثرة هنا وهناك ، وفي هذا الحقل يمكننا سماع صفير الرياح الحاد وهي تضرب بالصخور من جميع جوانبها. وهناك حقل بأسم (كاثرين) حيث كان جميع أفراد العائلة يعملون طوال اليوم.

نسي الصغير (أندروا) حقيبته الصغيره، فاضطر والده أن يستوقف السائق لكي يحضرها له اذا لم يكن بالامكان تركها لانها تحتوي على اشياء تخصه. فقد كان بداخلها مصباحه الصغير الذي يعمل بالبطارية ومعطفه الذي لايمكن الاستغناء عنه في هذا الشتاء الشديد البرودة. . . كل فرد من أفراد العائلة يحمل اشياءه الخاصة به واحتياجاته الضرورية ، ولكن الشيء الوحيد الذي لم يسمح لاي واحد من الابناء أن يحمله ماعدا الوالد والوالدة هو الخريطة. . . فقد كانت مهمة حملها في الرحلات تقع على عاتق الوالد.. وعلى أية حال لم تكن كبيرة أو ثقيلة الى حد كبير.

بعد أن أحضر الوالد حقيبة (أندروا) التي كان قد نسيها . . رجع الى مقعده بجانب زوجته. . . ثم وضع الخريطة في حقيبته وسحب سحابها بسرعة وهو يخاطب

أفراد عائلته بنبرة صوت جدية وحازمة :-
- لن يستغرق الطريق منا أكثر من ساعة للوصول الى بيت الجدة (چرنما) . . فالهواء هناك منعش وصحي بالنسبة لكم . . لذلك يجب أن لانضيع وقتنا سدى اليوم . فرد عليه (أندروا) بكل براءة :-
- وماذا بصدد حقلي . . ؟ الا تود أن تأخذنا اليه ياوالدي؟ أم انك نسيت ما وعدتني به؟
- نعم ياصغيري . . فأنا لم أنسى ماوعدتك به . . فنحن سنعبر عليه أثناء مسيرنا ولكن لن نتمكن من التوقف عنده . . لاننا يجب أن نصل بأسرع وقت . وعلى أية حال أنه حقل صغير جدا بحيث لم يلاحظه أي منا أثناء تفحصنا الخريطة . . دع عنك هذا الآن يابني . . وأعدك أنني سأخذك اليه في يوم مابعد أن نقضي فصل الشتاء .

ثم أشار الوالد بأصبعه الى منطقة معينة في الخريطة واستكمل يخاطب (أندروا) لكي يلهيه عما كان يشغل تفكيره .
- أنظر ياعزيزي ، هل ترى هذه التلة . . هناك بالاسفل ، هل لاحظتها؟

ـ نعم ياأبتي ، أهذا هو حقلي ؟
ـ لا ، هذه التلة الصغيرة تدعى (تيپ يوت) هذا هو المكان الذي نحن في طريقنا اليه الآن حيث تقيم الجدة (چرانما).

لم يكن وقع هذا الاسم على سمع الصغير بالشيء العادي . . فقد خلق بداخله تساؤلا ، ولم يتردد عن اشباع فضوله فبدأ سيل من الأسئلة يطرح على الوالد .
ـ أتعتقد ان هذه التلة تعود الى عائلة (چرين تيب يوت)؟ هل هي من ممتلكاتنا الخاصة؟ واذا كان كذلك لماذا يوضع اسمك عليها؟ أم انها لاتخصك بشيء؟ فرد عليه والده وهو مايزال منهمكاً بالبحث عن حقل باسم (أندروا) :ـ
ـ لا . . ياعزيزي هذه التلة لا تعود لعائلتنا لمجرد أن اسمها مشابه لاسم عائلتنا ، حيث يوجد في هذه المنطقة العديد من العوائل التي تحمل الاسم نفسه فاستعمال هذا الاسم شائع وكثير وخصوصا في هذه المناطق ، ولكن حسبما أعتقد انه يعود لاول جد سكن هذه المنطقة . هذا ماأتصوره يابني ، أليس هذا تبريرا منطقيا نوعا مابني ؟

ثم أكمل الوالد كلامه الى إبنه وهو يشير الى مكان قريب منهم من خلال زجاج النافذة

- هل تلاحـظ هذا البـاب الـدوار هنـاك انه المكان الذي سنقضي فيـــه يومنـــا الاول حال وصـولنـا وسنسلك هذا الطريق للوصول اليه.

نزل جميع أفراد العائلة بعد أن توقف الباص في بداية الطريق الذي أشار اليه الوالد واتجهوا نحوه، حيث كانت (باستي) تركض بفرح وسرور مع أخيها الذي يقاربها سنا وتفكيـرا ، لكن (كـاثـرين) بقيت ساكنـة في مكانها الى جانب والـدتها وعيناها تتفحصان الطريق الذي أشار اليه الـوالـد، انـه طريق لايخلو من الالتـواءات والانحناءات فضـــلا عن الضيق الــذي يظهـره على هيئـة أفعى، ثم وقعت عينـاهـا على شجـرة كبيـرة هرمة شاخت لطول ما وقـفت ترقب هذا الطــريق ولكن لم تكن هذه الشجــرة الهـرمـة هي نهـايـة الطريق فقد ذهبت عيناها الى ماوراء هذه الشجرة وباتجاه الوادي حيث وقع بصرها على النهر المجاور لبيت (تيپ يوت) ولكنها كانت شاردة بتفكيرها الى أبعـد من ذلـك . وبدأ الفضول يلعب لعبته المعتادة معهـا وأخـذت تربـط بين الاسمـاء والامـاكن ولكنها لم

تتوان عن اشباع فضولها بطرح الاسئلة على والدتها :ـ
ـ هل تعتقدين أن حقل (كاثرين) سمي بهذا الاسم نسبة الى (كاثرين تيپ يوت) ؟ أم هي التي سميت باسمه؟
ـ كلا الاحتماليين جائز ياأبنتي ، ولكن على الاغلب ان هذا الحقل هو الذي اشتق اسمه منها وليس العكس وانت سميت بالاسم نفسه بعدها. ماهو رأيك؟
ـ اعتقد انها هي التي سميت باسم الحقل.

ثم سارتا قليلا ولكن ببطء حيث كان الوالد وابنته وابنه قد سبقوهما ، ثم تسلقت والدتها سورا منخفضا وجلست عليه تنظر الى زوجها محاولة القفز من فوقه لكي تلحق بهم . كانت (كاثرين) منشغلة بالتفكير بالاسم حيث كان يجول بخاطرها تساؤل غريب نوعا ما عن شكل (كاثرين تيپ يوت) التي تسمى هي بأسمها ، مرتحلة بأفكارها بعيدا ، في شبه حلم لم تتخلص منه الاعلى صوت أمها مستعجلة أياها لكي يلحقوا ببقية أفراد العائلة :ـ
ـ هلمي ياأبنتي أسرعي باجتياز السور لكي نكمل هذا الطريق قبل حلول الظلام.
ـ (انني قادمة ياوالدتي . . . اذهبي وأنا سألحق بك . . . لاتقلقي .

كانت (كاثرين) لم تزل منشغلة بالتفكير باسم الوادي، واسم العائلة واسمها هي، فقد كان الماضي بكل مافيه من غموض هو الذي يهيمن على تفكيرها ولكنها أسرعت باللحاق بهم لكي لاتضل الطريق، وعندما وصلت اليهم وجدتهم يستعدون للتزلج على الجليد

كان الوقت منتصف شهر أيلول حيث تكون أشعة الشمس في هذه المناطق واطئة، خفيفة، شاحبة، لاتمنع الدفء المرتجى منها والغيوم المثقلة بالامطار حجبت قسما كبيرا من ضؤ الشمس عنهم، وأصابتهم لسعة هواء قارصة هبت على أجسادهم التي بدأت ترتجف وكانت هذه النسمة تنبىء بهطول المطر فقال لهم والدهم بلهجة محذرة:ـ

ـ ان هذه النسمة تنبىء بهطول المطر، لذلك يجب علينا أن نسرع لكي نصل الى بيت الجدة (چرانما) قبل ان نصاب بالبلل.

فردت عليه الام قائلة:ـ

ـ اسبقوني أنتم فأنا و (أندروا) سنلحق بكم بعد ربط حذائه.

شرع الـوالـد وأبنتـاه في الـذهاب حيث جذع شجرة كبيرة ملقى على الطريق وكانت (باستي) تقفز مثل أرنب صغيـر متنقلة من شجيـرة الى أخـرى وهي تقطف ثمـار التوت البـري الاسـود، والتي نضجت بمـا فيـه الكفاية فضـلا عن مذاقها اللذيذ. عثرت (كاثرين) هي الاخرى على شجيـرة واطئـة كثيرةالاغصان محملة بالتوت البري الذي يتلامع ويتلألأ بلونه الارجواني القاني. مدت يدها لكي تقطـع غصنـا كثيفا من الشجيرة، يحتوي على عدد لا بأس به من ثمـار التـوت ولكنهـا لم توفق بذلـك لان الغصن. كان غضـا، طريـا خشبـه بحيث لا يمكن كسره وحـاولت كثيـرا بحـركـات دائـرية ولكنها يئست فسالتها (باستي): -

- ماهذا؟

- لا اعـلم ولكن اغلب الظن ان هذه الثمـار مسمـومـة ولا يمكن تناولها.

- أريد أن آخـذهـا معي الى بيت (چرين) وأضعها أعلى الباب.

- جرت العـادة أن يضعهـا النـاس على أبـواب بيـوتهم اعتقـادا منهم أنهـا تطـرد الشيطـان والارواح الشـريـرة

وتبعدهم عن البيت وأهله .

فضحكت (باستي) بسخرية واستهزاء وعقبت على كلام أختها : ـ

ـ وهل الشياطين تؤذي؟ هل رأيتها من قبل يا (كاثرين)؟ ؛ أنا لم يسبق لي رؤيتها .

لكن (كاثرين) لم تتفوه بكلمة جوابا على تساؤل أختها . في تلك الاثناء كانت الوالدة وأبنها قد لحقا ببقية أفراد العائلة وأسرع الجميع بمتابعة سيرهم باتجاه البيت حينها كانت زخات المطر قد بدأت ترشقهم ثم ازدادت قوة بحيث ابتلت ملابسهم لان الطريق يخلو من الاشجار التي يمكن أن يحتموا بها . ولكن على الرغم من ذلك لم يتوقفوا وتابعوا مسيرهم الى أن وصلوا الى منطقة تكتظ بشجيرات واطئة الاغصان ولكنها غير كافية لان تحميهم من العاصفة تنبىء بهبوب رياح موسمية تحمل في طياتها أمطارا غزيرة وبالطبع لم تمض بضع دقائق حتى هطلت أمطار غزيرة جدا كانت مثل لسع السياط على وجوهم لم يكن أمامه شيء يحتمون به من هذه العاصفة الغزيرة غير منعطف صغير تنبه اليه والدهم اخيرا وكان بالنسبة لهم بمنزلة الملجأ، عندها شعر الصغير [أندروا) بحزن

وخوف كبيرين وقال لهم بصوت مرتجف :ـ
ـ دعونا نعود أرجوكم قبل أن تحدث لنا كارثة في هذا الطقس الرديء . فحاولت [باستي) أن تشجعه وتبعث في نفسه الاطمئنان والراحة وهي تمازحه :ـ
ـ لاتمارس سخافاتك الآن يا[أندروا) ، كفاك حمقا بحق الرب يجب أن نعد ذلك مثل الدوش الخفيف ولانضعف امامه .
عند ذاك قالت الام . وهي تستعجلهم لان الوقت أدركهم وسيهبط الليل عما قليل وهم لم يصلوا بعد :ـ
ـ يجب أن نصل الى أسفل لتلة بأسرع وقت ممكن ولكن المسافة الى هناك تبعد أميال لذلك يجب علينا أن نتابع مسيرنا .
فردت عليها [باستي) وهي تؤيدها بكلامها :ـ
ـ كذلك لايمكننا البقاء هنا طويلا لان المياه ستغمرنا حتما .
فشاركتهم [كاثرين) الحديث بابداء رأيها :ـ
ـ ليس من الضروري أنت نسلك هذا الطريق دون غيره للوصول الى البيت ، فبأمكاننا أن نغيره للاعلى وبأتجاه اليسار ومن ثم ننحدر ثانية من المنحنى الذي يقود الى

مخزن قديم للحبوب نستطيع أن نقبع فيه الى أن تتوقف السماء عن المطر ثم نكمل سرنا.

في تلك الاثناء لم يكن الوالد موجودا معهم فقد ذهب يبحث لهم عن مكان يحتمون به جيدا. يبدو أن الفكرة اعجبتها ويمكن أن تخدمهم في هذه الظروف القاسية ولكنها لم تكن متأكدة من ان الطريق ينتهي بالمخزن الذي ذكرته فسألتها وكأن كلامهما شيء من الشك :-

- أأنت متأكدة مما تقولين [كاثرين) فانا لم الاحظ ذلك الطريق الجانبي الذي ذكرته. فردت عليها [كاثرين) بسرعة واندفاع شديدين :-

- نعم انني متأكدة من ذلك ياأماه ولكنك لم تلاحظيه. يبدو أن الام لم تكن مصدقة ماتفوهت به ابنتها، لانها تعرفها جيدا وتعلم مدى التهور وعدم الشعور بالمسؤولية اللتين تتمتع بهما [كاثرين) وأنها لم تكن في يوم من الايام متأكدة مما تقوله بما لايقبل الشك. فقد كان والداها دائما قلقين ومرتابين من أفكارها الغريبة التي تقودها الى تصرفات جنونيه طائشة

استمر هطول الامطار بغزارة شديدة بحيث انه تخلل

الاغصان التي يحتمون بها ولم تبق قطعة من ملابسهم أو جسدهم لم يترك عليها أثره وقرروا أخيرا أن يعملوا بأقتراح [كاثرين) بالفعل فقد خرجوا جميعهم من تحت الشجرة وشرعوا يركضون بسرعة وهم يلهثون ويضحكون بصوت مرتفع في حين كانت زخرات المطر ترش وجوههم وأجسادهم بقوة. غير الجميع اتجاههم وانطلقوا باتجاه الطريق الذي أشارات اليه [كاثرين) حيث كانوا يشقون طريقهم بين جموعة كبيرة من بنايات الجولق والسرخس والخنشار الممتدة على جانبي الطريق، الذي انتهى أخيرا بكومة من القش كان المطر قد بللها كاملا، ركنت هذه الكومة الى حائط صخري يمتد حوله عشب أخضر قصت أجزاؤه العلوية. كان حقلا صغيرا مغطى بالعشب الاخضر تتوسطه صخرة كبيرة وكومة من قطع الخشب المقطعة والمرتبة فوق بعضها بانتظام وخلف هذه الكومة يقع مخزن لحبوب ذو باب خشبي كبير مفتوح يتحرك بفعل الرياح مرة الى الداخل ومرة الى الخارج مصدرا صريرا عاليا يرن في آذانهم جميعا. اندفع الجميع الى داخل المخزن تخلصا من غزارة الامطار. كانت هذه هي المرة الاولى

التي تطأبهـا أقـدامهم مخزنا كهذا وبالاحرى كانت هذه المـرة هي الاولى التي يتـواجـد فيهـا الاطفال، في هذا الحقل. بعد أن أصبحوا جميعا في المخزن بدأوا مباشرة بنـزع ملابسهم المبللة بأيد ترتجف من شدة البرد. لكن [كـاثرين) على عكس الاخرين كانت مستغرقة بأفكارها نحـو مكـان آخـر. فقـد أنبعثت بداخلهـا عدة تساؤلات حول الحقل الذي هم فيه الان. . هل هو حقل [كاثرين تيپ يوت) أم لا كانت أمهـا هي الـوحيـدة التي تنبهت الحـالـة التي تمر بها أبنتها مخاطبتها محاولة انتشالها من تفكيرها الذي لاتعرف في أي أتجاه منصب:ـ

ـ فكرتك جيدة يا [كاثرين) فقد أصبت بها ولكن من أين لك العلم بوجود هذا المخزن في مكان كهذا ! حقا ان الملجأ الـوحيد لنا في هذا البرد القارس والامطار الغزيرة والرياح القوية.

ولكن [كـاثـرين) بقيت صامتـة ولم تبـد أيـة حركة أو ايماءة، عندها تساءل [أندروا)

ـ ومـــاذا بشأن والـدي، ألا نذهب للبحث عنـه ، فنحن لانعرف ماآل اليه منذ أن تركنا.

ـ لاتكن قلقا بشأنه فهو يعرف كيف يتدبر أموره ويعني بنفسه.

قالت الام ذلك بينما كانت منهمكة في مساعدته لكي يتخلص من ملابسه المبللة وبعد ذلك أخذتها ووضعتها فوق احدى العوارض الخشبية لكي تجف.

- هلا اعطيتنا مصباحك الصغير يا [أندروا) لكي تتفحص المكان جيدا.

مد [أندروا) يده في حقيبته أخرج المصباح وناوله لامه التي بدأت تجول به في أرجاء المكان. سلطت الضوء على الجدران والسقف وكأنها تحاول اكتشاف المكان والتعرف عليه. وقع الضوء على كومة كبيرة من القش ملقاة في أحد أركان المخزن وفي ركن آخر القيت كومة كبيرة من القش ملقاة في أحد أركان المخزن وفي ركن آخر القيت كومة من جذوع البلوط والسنديان المربوطة مع بعضها والى جانبها القي عدد من الاحجار والحصى المتوسطة الحجم. انهم يقفون الآن على أرضية مخزن قديم

للحبوب... منحني السقف... مليء بالاعمدة على جوانبه وأرضه حتى أن السقف كان مصنوعا من الاعمدة المتقاطعة مع بعضها على نحو مائل بحيث أن أحد طرفي هذه الاعمدة يوجد في الوسط بمستوى أعلى من

الجانبين اللذين يشكلان الطرف الآخر لهذه الاعمدة .

حالما استقروا في داخل المخزن واغلقوا الباب خلفهم بقوة، ساد المكان هدوء كبير الا من أصوات أصطكاك اسنانهم ببعضها . . . استدارات الام الى (كاثرين) وهي تثني عليها صنيعها هذا بصوت متقطع :ـ

ـ أظن اننا الان في مخزن للحبوب . ولكن على مايبدو قديم جدا، انظروا الى الزوايا التي تجمع عليها نسيج العنكبوت الذي يبدو وكأنه قائم منذ قرون بعيدة .

كانت الرياح قوية جدا في الخارج وتضرب جدران المخزن من جوانبه الاربعة وحيث يسمع صوت ضرب الاعمدة الخشبية ببعضها وصفير الرياح، وقد افترشت الاوراق الجافة وعيدان القش أرض المخزن وتناثرت هنا . . . وهناك . كان الجميع أذنا صاغية لهذه الاصوات العالية والتي ملأت نفوسهم بالرعب والقلق عندها قال (أندروا) :ـ

ـ تمنيت أن يكون ابي معنا في هذه اللحظات فأنا قلق جدا عليه، الايجب أن نذهب الى الاسفل حيث بيت (چرانما) لكي نطمئن عليه؟؟

رمته (كاثرين) بنظرة سريعة وغريبة حالما انتهى من

كلامـه ومن دون أن نقـول له كلمة ولكنه كان واضحا انها تلومـه وتوبخه على ماتفوه به، وتعتقد انه كان يجب عليه أن لايقـول ذلـك. بدت نظـراتها غريبة بالنسبة لكل من حولهـا ولكن أحـدا لم يفهم ذلـك. وفي الوقت نفسه لم تستطيع هي أن تقدم تبريرات وتفسيرات أكثر لما أختلج في نفسهـا من مشـاعـر غريبـة لانهـا هي نفسها لم تكن متفهمـة سبب شعـورهـا غير المستقر لمجرد وجودها في مكــان قديم مظلم كهـذا ولمـاذا تمنحهـا هذه الامـاكن خليطـا جياشا ومتناقضا من مشاعر الطمأنينة والقلق...

الفقـدان والضيـاع!؟ لمـاذا لم ينتـاب الآخـرين شعورا كهـذا على الـرغم من وجودهم معها في المكان والزمان عينـه؟ وبحركة خاطفة ومفاجئة التقطت المصباح من يد أمهـا وأخـذت تدور به في جميـع الجهـات وكأنها كانت تريـد التعـرف على المكـان على نحـو أفضل فقد تشعر بالاطمئنــان والـراحـة أكثـر. وفي غضـون تجـوال ضوء المصبـاح في المكـان وقـع على كومـة عاليـة من القش الجـاف الملقـاة في أحـد نهـايـات المخـزن يمكن أن تستخـدم لنشر الملابس المبتلة عليها لكي تجف. لكن فكـرة أخـرى ومضت ببـالها عندما رأتها فصرخت بصورة

لاشعورية وبفرح كبير وهي تثب الى الاعلى قليلا وترفع يدها الاخرى الى الاعلى وكأنها أحدى المشاركات في تظاهرة .

ـ ياللروعــة فراش القش الــدافىء في مثــل هذا البـرد القارص انه يعادل فراشا من الصوف للمتعبين أمثالنا .

ومما زادها بهجـة اكثـر عثورهـا على قطـع من الفحم المتجمـع في مكان آخر فشعرت بالطمأنينة اكثر وأخذت تصرخ عاليا :ـ

ـ وهذا الفحم يفيد الجياع أمثالنا لااعتقد اننا نحتاج اكثر من ذلك . . فراش ننام عليه وفحم نطهو عليه طعامنا ونتدفأبه .

وأخـذت تدور بالمصبـاح اكثر وكلها شوق أن تجد أشياء آخـرى يمكنهم الاستفـادة منهـا وبالفعل فقد رأت قناني أربــع معلقــة على الجــدار على نحـو مائـل ممكن أن يحضـروا بها الماء الذي يحتاجونه الى داخل المخزن .

وفي وسـط المخـزن استقـرت صخـرة جلمود كبيرة جدا مدورة الجوانب ولكن سطحها العلوي كان مستويا وعلى مايبــدو أن هذه الصخــرة يمكن أن تستخـدم لمنضـده للطعـام وصـرخت كاثـرين مرة اخـرى ـ اننـا محظوظون

محظـوظون جدا، كومة من القش تصلح أن تكون فراشا جيـدا وقـدر لا بأس به من الفحم يمنحنـا الدفء في هذا البـرد وزيـادة على ذلك صخرة كبيرة نتناول عليها طعامنا رائع . . . هذا شيء رائع .
كان الجميـع يحـدق بهـا باستغراب، فقد كانت مبتهجة لدرجة كبيرة على عكس ماكانت عليه قبل دقائق . ولكن أحـدا منهم لم يستطيـع أن يفهمهـا ويفسر تصرفاتها هذه ماعدا ذلك الطفل البريء (أندروا) الذي على الرغم من صغـر سنـه استطـاع أن يتـوجس المشـاعـر الغريبة التي انتـابتهـا، ولكن لم يكن على داريـة كافيـة بما يجب أن يفعله لها، فتوجه الى أمه متسائلا :-

- مامـا . . ماهي المشكلة التي تعـاني منهـا (كـاثـرين) ولماذا تبدو هكذا متقلبة المزاج؟
فردت عليه (باستي) :-
- يبـدو أن أختنـا تلعب دورا في مسرحية . ولكن ماعليك الا أن تتجـاهلهـا ولاتشغـل نفسـك بها لانني أعتقد اننا لانصلح أن نكـون مشـاهـدين جيـدين لادوار كهذه . لم تسمـع (كـاثرين) ماقالته أختها عنها لانها كانت منهمكة بمتابعة تفتيشها لاكتشاف المزيد فوقع الضوء أخيرا على

جدار كبير يوجد في وسطه شباك مغطى بستارة خشبية تمنع دخول الشمس الى الداخل. فتضجرت (كاثرين) لان الستارة كانت مغلقة وركضت لكي تفتح بعد أن ألقت بالمصباح أرضا وفي اثناء ذلك كانت تتكلم مع نفسها ولكن بصوت عال :ـ

ـ هذا ماكانت أفتش عنه الشباك، ولكن لماذا تبدو هذه الستارة مغلقة، أعتقد انها يجب أن تفتح وانا من سيفعل ذلك وفي الحال.

ولكنها لم تكن حذرة عندما القت بالمصباح فقد خفت الضوء فالتقطته الام وهي توبخ أبنتها على مافعلته :ـ

ـ ماذا فعلت يا(كاثرين) ، كدت تكسرين المصباح الا تعلمين انه لايوجد عندنا غيره نستعين به في هذه الظلمة.

التقطت الام المصباح وبدأت تهزه وتحركه حركات عشوائية لكي يعود اليه توهجه الطبيعي. وعندما أقتربت (كاثرين) من الشباك أسرعت برفع الستارة الى الاعلى لكي تدخل الشمس. عندها قالت لامها لكي ترد عنها اللوم والتوبيخ :ـ

ـ لم تعد بنا حاجة اليه ياأمي فهذا الضوء أقوى وأفضل كثيرا.

لم يفــارق (أنـدروا) القلق والـرعب على والـده ولم يشغـل تفكيره شيء غير هذا فتوسل بأمه بصوت مرتجف أنه يذهب ويفتش عنه :ـ

ـ أرجوك ياأمي دعينـا نذهب ونفتش عنـه ، أتـوسل اليك الا ترفضي .

ـ لقد قلت لك سابقا انه يستطيع ان يتدبر أموره فلاتقلق بشأنه .

ـ ولكنه الآن قلق بشأننا اعتقادا منه اننا ضللنا طريقنا في هذه العاصفة ولن يهدأ له بال مالم يعثر علينا ويجدنا .

فردت عليه بصوت أقل حده من ذي قبل وقد رق قلبها لحاله :ـ

ـ لاتخف يابني اني أعـرف والـدك جيـدا لم ينتابه شعور كهذا فهو مطمئن لوجودي بقربكم . وكن على يقين مثلما انا كذلك انه الآن يجلس في بيت (چرانما) يتناول فطائر اللحم الحـــارة اللذيـذة ويحتسي معهـا قدحـا من النبيـذ الاحمر .

ثم اتجهت صوب (كـاثرين) وتكلمت اليها بلهجة عنيفة محذرة أياها بشدة :ـ

ـ كفاك عبثا يا (كاثرين) فقد تماديت اكثر مما يجب ، لقد

مللت من تصرفاتك هذه ياابنتي .
هربت (كاثرين) بنظراتها من أمها، لم تكن تتوقع أن أمها ستكلمها بهذه الطريقة، لانها تعتقد ان أمها أكثر من يفهمها ويحس بخلجات نفسها، ولكن ان لم تكن هي تفهم نفسها وتسيطر على تصرفاتها فيجب أن لاتتوقع من الآخرين ذلك. وبحركة ذكية منها استطاعت أن تهدأ من غضب أمها عليها :-
- أعتقد انه يجب أن لايذهب الى هناك ياوالدتي .

فالتحق بهم (أندروا) وشاركهم حديثهم وهو مايزال قلقا :-
- أنا متأكدة من أنه منشغل الآن بالبحث عنا، لانه لم يتركنا معا وليس لديه علم اننا مع بعضنا الآن، مسكين والدي لقد تبللت ملابسه الآن لانه يبحث عنا وسيمرض بسببنا ونحن نجلس هنا في أمان. ملت الام من كلام ابنها وكثرة اسئلته فردت عليه بغضب :-
- لا أريد مزيدا من لاسئلة فلست متأكدة من أي شيء يابني .
ثم ناولت المصباح ثانية لـ (كاثرين) وقالت لها محذرة :-
- كوني اكثر حذرا باستعماله فنحن لانملك غيره ، كدت

أن تكسريه قبل دقائق بسبب عدم مبالاتك واهمالك ، ولاترميه مرة ثانية .

ثم تناولت معطفها وهمت بالخروج لكي تفتش عن والدهم ، وقبل أن تخرج قالت لهم :-

- أنا ذاهبة الى الاعلى هناك حيث كنا في الغابة لكي أفتش عن والدكم وبعد أن استدل على مكانه سأعود اليكم فورا لكي أطمئنكم ، ولكن لاتقلقوا بشأني ، ولا تدعوا أي غريب يدخل الى هنا أيا كان هذا الشخص .

وعندما فتحت الام باب المخزن لكي تخرج ، اندفعت الرياح على نحو عنيف جدا الى الداخل ولكنها عادت وهدأت بعد غلق الباب وكأنها أخذت معها صوت الرياح العالي الذي يشبه الصغير وبرودتها القارصة وهيجانها الذي يشبه هدير أمواج البحر في يوم عاصف . لم يبد أي منهم حركة أوصوتا حال خروج أمهم أصبح المخزن في هدوء مخيف وموحش

انتابت (كاثرين) رغبة اللحاق بأمها لكي تنشل نفسها من المشاعر الغريبة التي كانت قد سيطرت عليها بسبب الكلمات التي القتها أمها على مسمعها ، فتوجهت بالكلام لاختها (باستي) وكأنها تريد ان ترفع عن كاهلها

عبئا ثقيلا :ـ

ـ اتمنى أن لاتكون قد غادرت للآن . . .

كان باديا عليها انها تود المزيد من الافصاح ولكنها توقفت من دون سبب ربما لأن (باستي) لم تتجاوب معها

كانت (باستي) على الرغم من صغر سنها انسانة اكثر واقعية من (كاثرين) كانت الى حد ماتشبه أمها في تفكيرها وسلوكها على العكس تماما من أختها الكبرى التي تحيا في عالم مليء بالاحلام والخيال وتتفاعل بحساسية مرهفة مع كل شيء حولها، مما يحتم عليها أن تدفع ضرائب عن ذلك بأن تتلقى وعلى نحو مستمر الكثير من الازعاجات والمشاكل عند احتكاكها بالآخرين وقد لاحظت انها بطريقة تفكيرها هذه تسبب القلق لجميع أفراد عائلتها، وحتى أصغرهم (أندروا).

أمسكت (كاثرين) بيد أخيها وسحبته متجهة به الى كومة القش الملقاة في طرف قصي من المخزن والقت بجسدها الرقيق، كرقة روحها الطاهرة على هذه الكومة وبدأت تتقلب عليها مع أخيها بحركات طفولية أحست بعدها بنشوة جياشة تغمرها. كانت تقفز على كومة القش وتغوص بداخلها وكأنها كلب صغير يلعب مع صاحبه،

وقـد أغـرت بحـركـاتها هذه أختها (باستي)، داعية أياها للعب معهم ولكن بطريقة ذكية جدا :ـ
ـ لاتتصـوري الـدفـء والحـرارة التي أحسهـا هنـا، أشعر وكأنني رضيـع صغير محمول على صدر أمه، أعتقد أن شتاءنا سيكون عظيما هنا وممتعا.
فردت عليها (باستي)
ـ ان هذا القش مفيـد شتـاء وصيفـا، فضـلا عن أنـه يعد فراشـا ومثير الدفـء شتاء فانه يستخدم صيفا لصنع ستائر مانعـة تحجب عنـا أشعـة الشمس وحرارتها. لقد توقفت (كـاثـرين) عن تهـريجهـا عنـد سمـاعهـا كلامك أختها

وأخـذت تردد مع نفسهـا كلمـة (مانعة للشمس) وبدأت الاسئلة تطـرح نفسهـا عليهـا، هل تصلب الشمس الى هذه المنـاطق؟ أتكـون الشمس بهـذه الشـدة بحيث يحتمي النـاس من حراتهـا بصنـع ستـائـر تمنـع دخولها لبيـوتهم؟ هل كانت هذه المنطقـة مأهـولـة بالسكان منذ زمن بعيد؟ وهل توجد الآن عوائل تسكنها كما هو الحال في قريتهم؟
كل هذا السيـل من الاسئلة لم يتـوقف الا عندما أضافت (باستي) مكلمة حديثها :ـ

ـ كانت هذه الستائر المانعة تصنع منذ مئات السنين حيث كانت هذه المنطقة مأهولة بمن يحتاج أن يحمي نفسه من ضوء الشمس.

عندما سمع (أندروا) كلام أخته شعر بخوف كبير بدا على كلامه :ـ

ـ اذا لم يبقوا هم على قيد الحياة فمن المؤكد ان اشباحهم تسكن بدلا عنهم .

فردت عليه (كاثرين) :ـ

ـ نعم لقد أصبحوا أشباحا وهي الآن موجودة هنا.

ازداد الخوف بداخله ، فتوجهت (باستي) الكلام لاختها موبخة اياها على ما تفوهت به ومحاولة في الوقت نفسه أن تبعث الراحة والطمأنينة بروح ذلك الصبي الصغير:ـ

ـ ماكان عليك أن تقولي ذلك يا(كاثرين) فقد أخفته كثيرا، أنك مخطئة بذلك فرد عليها (أندروا) :ـ

ـ لاتأخذي ببالك يا (باستي) انها تتظاهر بذلك فقط.

على مايبدو ان هذه الافكار تسيطر على كاثرين كثيرا وحتى على ذكرياتها، وقد حاولت مرارا التخلص من ذلك لكنها كانت محاولات لم تلق غير الابواب الموصدة. ولكن كلمة (تتظاهر) كان لها وقع عليها

وتـوقفت عنـدهـا وكـانت البداية التي ستنطلق منها في محـاولة جديدة للتخلص من أفكارها الغريبة . فقالت مخاطبة (اندروا) :-

- تتـظاهـر انهـا كلمة مريحة جدا ، اذن دعونا نتظاهر باشياء تبهجنا .

يصرخ (اندروا) وهو بهجة وسرورا :-

- ياللسعادة . . ياللسعادة . .

يبدو على (باستي) وكان الكلام لم يرق لها ، لذلك فقد عبس وجهها وقطبت حاجبيها وقالت بطريقة هزلية من الموقف الذي يدور الآن :-

- نتظاهر ونبتهج ! ! بماذا؟ لم نات الى هنا من اجل ذلك فقـد كان سكـان هذه المنـطقة يفعلون ذلك قبل مئات السنين ولكن الحال يختلف معنا فنحن جئنا الى هنا لكي نقضي ايام الشتاء ليس الا .

كانت الـريـاح مستمرة في الخارج بصفيرها وضربها الجـدران المخـزن وسـاد بعـد هذا الحديث الحاد هدوء وكأنهم فعلوا ذلك من أجل ان يسمعوا ضوات الرياح وبعد ان هدأت الرياح على نحو مفاجىء قالت (باستي) بازدراء :-

- الاطفال في كل مكان يستطيعون الاعتماد على أنفسهم والاستقلال بسلوكهم عن ذويهم فرد عليها (اندروا) :-
- لااعتقد ذلك ياعزيزتي (باستي) فانك لو فتشت المنطقة كلها الآن لن تجدي اطفالا مثلنا من دون ذويهم في الظروف.

فردت عليه (كاثرين) وهي تحاول ان تشجعه :-
- لكن ياعزيزي الحالة التي نحن فيها تجبرنا على ان نعتمد على انفسنا ويجب علينا ان نتدبر امورنا من دون ان نفكر بالمساعدة من الآخرين التي ربما تتأخر علينا ونلقي حتفنا ونحن في الانتظار.
ردت عليها (باستي)مؤيدة كلامها :-

- نعم يجب ذلك والا هلكنا في مدة قصيرة جدا.
قالت ذلك (باستي) وهي في حالة تذكر للماضي وأيام الدراسة وبالتحديد حصة التاريخ الاخيرة التي تلقتها في المدرسة والتي دارت حول مقاطعة (ديزي شير) التي اقتطعت من بقية (انكلترا) عام ١٦٦٦ بسبب كارثة حلت بهذه المقاطعة. وبدأت (كاثرين) تنفذ الفكرة التي طرحتها قبل قليل بأن يبتهجوا ويلعبوا ويمرحوا. . حيث

بدأت تضحك وتداعب (باستي) . . هنا تساءل الصغير قائلا لاختيه :ـ

ـكيف يمكنكم ان تبتهجوا ونحن في مكان كهذا وفي هذه الظروف ومن المؤكد لو بقينا هنا ستكون نهايتنا.

فردت عليه (باستي) :ـ

ـ دع عنك هذا يا (اندروا) وتعال نلعب ونمرح معاً، فنحن يجب أن نفعل ذلك ويجب أن نعتمد على أنفسنا ونتدبر أمورنا.

ـثم استدارت الى (كاثرين) تخاطبها ـ ماذا تقترحين يا (كاثرين)، أي نوع من الألعاب يمكننا أن نمارسه لكي ينسينا ما نحن فيه وخصوصاً استغراقك بالافكار الغريبة وحدك بعيداً عنا.

ثم أكملت كلامها :ـ

ـنحن ثلاثة اطفال قدمنا الى هنا للتمتع بشتاء جميل ومن دون والدينا، ومعنا قدر لابأس به من الطعام، فلنوزع الطعام فيما بيننا . . . وأول شيء يجب أن نفعله هووضع الطعام والحبوب في هذا الصندوق ـ وأشارت بيدها الى صندوق خشبي كبير وقديم يقع بجوار الحائط.

فتوجه اليها (أندروا) متسائلا :ـ

ـأهذا ما تقصدينه بالاعتماد على النفس والاستقلال عن الوالدين؟

قطبت (كاثرين) حاجبيها عند سماعها ما يدور بينهما وكانت تفكر بوالديها هل سيعودان حقاً؟ ولكنها فجأةً قررت أن تبتعد عن مثل هذه الافكار ولو في الوقت الحاضر حتى لاتقلق وفي الوقت نفسه لاتقلق أخاها وأختها. ثم استدارت الى (أندروا) وهي تريد أن تشاركهم أطراف الحديث :ـ

ـ لقد كنا مسرورين بقيامنا بهذه الرحلة . . أليس كذلك؟

فرد عليها (أندروا) :ـ

ـ أتوجهين الكلام اِليَّ أنا شخصياً؟

ـ نعم جميعكم كان فرحاً بالمجيء الى هنا وخصوصاً أنت يا (أندروا). هل تتذكر الراعي الذي كنت تأتي الى هنا لكي تراه حيث كان يتوقف في هذا المخزن عندما تكون نعاجة في ولادة، فقد كنت تأتي الى هنا خصيصاً لرؤيته.

فسألها :ـ

ـ هل تذكرين اسم هذا الراعي يا (كاثرين)؟

ـ أنه يُدعى . . . على ما أعتقد يا (أندروا) انه يدعى

(حكيم) :-

- أوه (حكيم) إنك تمتلكين ذاكرة قوية يا (كاثرين) هذا رائع.

ثم بدأ (أندروا) يتذكر وجه (حكيم) وشيئاً فشيئاً أخذ يتذكر اكثر كيف كانوا يمرحون ويلعبون في المخزن، تذكر كيف كانا يتبادلان الضحكات والضربات والاختفاء في كومة القش. ذلك اليوم حافلاً بالبهجة والمداعبات الخفيفة بين راعي الغنم والطفل، وعندما حل الظلام أضاء (حكيم) المخزن بضوء قنديل خافت جداً وعلى أرتفاع بسيط من رأسيهما. فكانا يصعدان فوق كومة القش ويحركان الضوء بيديهما فيبدأ بالاهتزاز ويتراقص ظله على الجدران. كان هذا القنديل مثبتا من الأعلى بأحدى العوارض الخشبية بشكل عرضي بالسقف. ثم استطردت (كاثرين) في سرد أحداث أكثر لكي يتذكر أخوها على نحو أفضل فقالت :-

- وأتذكر يا (أندروا) أنه في يوم من الأيام قام بزيارتك للقرية ليخبرك بأن نعجةً من قطيعه والتي كانت تدعى (ذا) قد وضعت حملاً فذهبت أنت معه الى المخزن وكان الحمل الرضيع نائماً بين القش فحملته على

صدرك وضممته بذراعيك، عند ذاك قام (حكيم) بتقديم هذا الحمـل هديـة لك، وطلب منك أن تعني به وتسقيه الحليب المليء بالزبدة يومياً صباحاً.

- نعم لقد كنت رفيقاً به وأعتنيت به لدرجة كبيرة وعملت بوصية (حكيم).

ذهب (أنـدرو) بعيـداء في أحـلام اليقظة وبدأ يستعرض الماضي مع صديقه (حكيم) والنعاج والحملان الصغيرة التي كانت تملأ المخـزن بثغائها. ثم قطعت (كاثرين) عليه أحلامه هذه فسألته :-

- هل تذكـر كيف كُسِـرَت رجلك عنـدما كنت تركض ووقعت من فوق التلّة؟

- نعم. . . نعم أتذكر ذلك جيداً يا (كاثرين)

لاحظت (كاثرين) أن أخاها غط في أحلام يقظة وهو يتذكر صديقه (حكيم) فحاولت أن تخرجه منها وذلك بان فكرت أن تقوم بتمثيلية قصيرة لكي ينشغلوا بها قليلاً عن ظروفهم التي يعيشـون فيهـا الآن ووجـدتهم من غيـر والدتهم. فقالت له :-

- وأنت من الآن فصـاعـداء لست (أنـدروا). . . بل أنـك تدعى (دان)، نعم أنت الآن (دان)

ـ (دان) . . . وهل سيكون عمري ست سنوات؟
ـ نعم سيبقى عمرك ست سنوات ، وساقك مجروحة لانك سقطت من فوق التلّة. فشاركتهم (باستي) لعبتهم :ـ
ـ أذن أنا سأعتني به ، ويجب أن أقوم بذلك .
فسأل (أندروا) أخته (كاثرين) :ـ
ـ ولكن هي لن تدعى (باستي) ، أليس كذلك؟ سميها أنت (كاثرين) .
ـ دعنا نسميها (تيزا) . هل يعجبك هذا يا (باستي)؟
ـ نعم أنه أسم لطيف ، أنا (تيزا) وأنت ما الأسم الذي ستطلقينه على نفسك؟
ـ أعتقد . . . أعتقد أن أسمي سيبقى كما هو، (كاثرين) .
كانت(كاثرين) على يقين أنها لاتقوم بتأليف قصة أو تمثل دوراً معيناً مع أخيها وأختها ، بل أنها كانت تتذكر. نعم أنها تتذكر ذلك اليوم الذي كانت فيه (كاثرين) الآخرى في عائلتهما ـ أي (كاثرين تيپ يوت) ـ تقف في هذا المخزن والرياح تعصف به من كل الجهات والأمطار تتساقط . وهم يمرون اليوم بالظروف الجوية

نفسهــا التي مرت بهـا (كـاثـرين تيپ يوت) في يوم من الأيـام. فقـالت بصــوت غريب وبـلا وعي (كاثرين تيپ يوت). فأرتعب أخوها وأختها لنغمة صوتها.

لقـد لاحظا على الضوء الأخير للشعلة أن وجهها كان مرعــبــا وغــريــبــا وهي تنطق بهــذا الأسم. لقد كانت (كاثرين) في وقت غير الذي يعيش فيه أخوانها، أنه عالم مختلف تمـاما عنها. وقد حاولا أن يقطعا عليها أحلامها وذكـريـاتها أو أن يكونا معها في عالمها الخاص. وأخيرا

انقطـع ضوء المصبـاح نهـائيـا فصرخت (باستي) برعب كبير على أختها لأنها على ما يبدو لم تنتبه للظلمة حولها:ـ

ـ كاثرين... لقد أختفى الضوء.

جاء الآن دور (أنــدروا) فحــاول أن يريــحــهـــا ويبعث الطمأنينة في نفسها:ـ

ـ انهـا ليست مشكلة يا عزيـزتي، لقـد حان الـوقت لكي نبـدأ لعبتنـا. دعـونـا نذهب الى الخـارج بعـد أن أكمل حديثه دفع (باستي) نحو الباب وركض خلفها وكان قلقا جداً بشأن الطقس خارج المخزن وكيف سيتكيفون معه.

لم تشاركهم (كاثرين) لعبهم وما كان منها إلا أن وقفت تحدق، بالباب الذي إنغلق خلفهم بصوت عال من شدة الرياح وقالت بفزع :-

- أوه، لقد حان الوقت أذن لكي نبدأ.





اليوم الأول

جاهد (دان) كثيراً من الرياح وهو يتسلّق التلّة، وقد كان يترنح على الجانبين من شدة التعب حيث كانت الرياح شديدة، وكان هو أثناء تسلقه التلّة حانياً ظهره للأمام وملقياً بثقله كله على أحدى ركبتيه وهو يتكىء بأحدى يديه عليها وباليد الأخرى كان يمسك بيد أخته (تيزا) التي كانت تقوم بمعاونته على المضي الى

الأعـلى . لقـــد كان الأطـفـــال متعبين جداً بحيث أنهم أمتثلوا لضـربـات الـريـاح الشـديدة ورشق الامطار على وجـوههم البـريئـة ولم يكونوا منشغلين بشيء غير التفكير في الوصول الى المخزن والتخلص من هذا الصراع مع الطبيعـــة وبأسـرع وقت ممكن . أنهـا المـرة الأولى التي يمرون بها بتجربة كهذه من دون وجود والديهم .

في مســـاء هذا اليوم طُرق باب المخـزن طرقـاً قويـاً وعنـدمـا فتحـوه كانت والـدتهم وحـدها تقف في الباب حاملة بيدها اكياساً من الطعام والملبس وكل ما اعتقدت إنهم يحتـاجـون اليـه . جلبتها اليهم من بيتهم في القرية وبعـــد أن سلمتهم الأشيـاء ورجعت مبـاشـرة الى البيت حتى من دون أن تستـريـح من عنـاء الطريق . وقد كانت الـــوالـــدة حذرة جداً أن لاتمس الأطفـــال أو تتـرك لهم الفـرصـة بأن يقبلوها أو حتى أن يحتضنوها ، ثم حذرتهم من محـاولـة الـذهـاب الى بيتهم في القـرية ومهما يكن السبب . لم يكن من متحـــدث غيـر الأم ، لأن الأطفـال ذهلوا عنـد رؤيتهم والدتهم ، ربما لانها كانت بمفردها أو ربمـا لأنهم كانـوا يحتـاجون اليها وخصوصاً بعد ما عانوه في هذا اليـوم ، لذلـك لزمـوا جانب الصمت . وقبـل أن

ترحل وتتركهم أوصتهم أن يعتنوا بأنفسهم وطلبت منهم للمرة الثانية أن لايدعوا أحداً يدخل عليهم، ثم وعدتهم بأنها ووالدهم سيلحقان بهم عما قريب عندما يكونان قد انتهيا من حزم كل ما يحتاجون. كانت الأم من القوة والأرادة الثابتة بحيث انها استطاعت أن تقاوم نظرات الشوق الحنين والقلق في عيونهم التي كانت مشدودة اليها وكلها لهفة وتساؤل وخوف وحاجة الى من يحتمون به ويعتمدون عليه، ورغبة منها في ان توقف هذا التوسل

في عيونهم أغلقت الباب بقوة وأعطت ظهرها للمخزن واسرعت في خطاها من دون أن تلتفت خلفها ابداً حتى لاتضعف.

أمضى الأطفال يومهم الأول بكل هدوء ورقابة حيث يبدو عليهم انهم لم يتكيفوا بعد مع الظروف التي يمرون بها في الوقت الحالي والتي يواجهونها لأول مرة في حياتهم وهم بمفردهم. وبعد أن رحلت الأم بقوا في ذهول وجمود من طريقتها في التعامل معهم. لقد لاحظت (تيزا) أن (دان) مستغرق في أحلامه بعيداً عنهم، حيث كان يتذكر أول مرة قَدِم بها الى المخزن مع صديقه الراعي (حكيم) حين كان يساعده في حمل

الحمل الصغير المولود حديثاً. كانت اياماً جميلة خالية من المتاعب قضاها (دان) بمرح الطفولة وعبثها البريء. أثناء أحلامه هذه وذكرياته نسي ركبته التي تؤلمه وأنطلق في المخزن يركض ويلعب ويمرح مع أخته الصغرى ثم خاطبها متسائلاً :-

- (تيزا) هل تعتقدين أن حكيم موجود هنا ومختبىء في أحدى زوايا المخزن. ثم اندفع ينادي عليه كما كان يفعل فيما مضى :-

- حكيم... حكيم... ياصديقي العزيز... اذا كنت موجوداً هنا فأخرج لكي نلعب مع بعضنا ونتسلى.

في تلك الأثناء كانت أخته تركض خلفه وتضربه مرةً بقبضةٍ من القش أو العيدان اليابسة... ومرةً بضحكاتها وقهقهاتها العالية، ثم وقع الأثنان فوق بعضهما على الأرض وهما يسحبان انفاسهما بصعوبة ولم تبدر عن (كاثرين) أية حركة أو مشاركة مع أخيها وأختها سوى الضحك من الاعماق لرؤيتها منظرهما وهما يمرحان. فقد كانا يلعبان ويعبثان بكل ما فيهما من براءة وحيوية واندفاع.

عند قدوم المساء خيّم على المخزن جو من العتمة

والـوحشـة الـذي بعث في دواخلهم خليطا من مشـاعـر الخـوف والقلق والـريبـة . لم يكن في المخزن غير ضوء خفيف جداً ينبعث من أحدى الزوايا وهذا الخيط الرفيع من النور زاد المكان وحشة وظلمة ولكن فيما بعد أتضح أن هذا الضوء لم يكن ضوء مصباح وانما ضوء شمعة لانه كان يتراقص على الجدران والسقف وكانت هذه الشمعة محمـولـة بيد (كاثرين) كانت تدور بها في جميع أطراف المخــزن الى ان سلطتهـا اخيـرا على أختهـا وأخيهـا . وعنـدمـا استقـر ضوء الشمعـة على وجهيهما أتضح بأنهما كانـا يحـدقـان بدهشة واستغراب على اختيهما فمن أين لهـا هذه الشمعـة ! ! ؟ ولمـا تتحـرك بكـل حرية وطمأنينة وكأنها في بيتها مع والديها؟

كانت (كـــاثـــرين) تلبس تنــورة طويلة مزركشــة من اطـرافهـا وتحمـل بيـدها شمعة تنير وجهها وتظهر التعب والأرهاق اللذين ارتسما على وجهها وقد كانت (كاثرين) قبل قليل في جولة في الحقل في محاولة منها لاكتشاف المكـان الـذي يوجـدون فيه . وقد تبللت أطراف تنورتها بالمـاء والطين لأنهـا على مايبدو قد تخطت الساقية التي توجـد بالقرب من المخزن في اسفل الوادي وكان الشال

ملقى على كتفها بصورة فوضوية نتيجة عبث الرياح به، وقد نال شعرها قسطا لا بأس به من ضرب الرياح وعبثه فتدلت خصلات من على كتفها ووجهها مضيفة عليه لمسة رقيقة من الجمال.

أصيب كلاً من (دان) و(تيزا) بالقلق والذعر عند رؤيتهما منظر أختهما وأعتقدا انها قد خرجت لتوها من معركة ضارية مع حيوان مفترس. فتسأل (دان):-

- خيراً يا أختاه، هل هجم عليك حيوان مفترس!!؟ ماذا حدث، هل أصابك مكروه؟ ثم قاطعته (تيزا) موجهة بدورها الأسئلة لأختها:-

- لقد قلقنا عليك ياعزيزتي أين كنت؟ هل حدث لك مكروه؟ ومالذي بعثر شعرك وشالك بهذه الطريقة؟

فردت عليهما (كاثرين):-

- أنا آسفة لأنني سببت لكما كل هذا القلق، ولكن اطمئنا لم يحدث لي أي مكروه. ولم يهاجمني أي حيوان وانما حدث ذلك بفعل الرياح القوية التي تسببت بايقاعي في الساقية فتبللت تنورتي بهذا الشكل الذي تريانه.

لقد كانت ركبة (كاثرين) مصابة نتيجة اصطدامها

بحجر وعندما رفعت حاشية تنورتها كان الدم قد تخثر على الجرح وغطته الاتربة فأنحنت على ركبتها تتفحص الجرح وكذلك فعل كلا من أختها وأخيها، الا أن ظلام المخزن لم يساعدها على رؤية الجرح بنحو جيد فسلطت الشمعة عليه لكي تتفحصه جيداً، في تلك الاثناء حاول (دان) أن يضع يده على الجرح لكنها

فزعت وسحبت ساقها الى الخلف بحركة غير أرادية ثم رفعت رأسها وسألت أختها أن تساعدها في تضميد الجرح.

- (تيزا) الا تساعدينني في تضميد جرحي بعد تنظيفه من الاتربة؟

فردت عليها (تيزا) بسخرية

- ولكنك تستطعين ان تفعلي ذلك حسبما أظن ياعزيزتي أما اذا احتجت الى المساعدة فلا يوجد عندي مانع والافضل أن تخلعي ملابسك المبللة وترتدي شيئا من الذي جلبته الوالدة ليلة أمس ثم نذهب الى الساقية ونغسل الجرح وبعد ذلك نعود الى المخزن لكي نلفه بقطعة نظيفة وجافة من القماش. اسرعي يا (كاثرين) هلمي بنا فالتأخير ليس من مصلحتك.

بدأت كاثـرين تخلع ملابسهـا المبللة والمتسخـة وأرتـدت غيـرهـا ثم ذهبت لتنظيف الجـرح وغسله عنـد السـاقي حيث يوجـد المـاء الجـاري وغسلت ملابسهـا المتسخـة قبل أن تعود وعصرتها جيداً من الماء. وعندما رجعـوا الى المخـزن ألقت بهـا على كومـة القش لكي تجف، وارتدت ملابس نظيفة ووضعت على كتفها شالاً من الصـوف لكي يدفئهـا. ثم تناولت قطعة بيضاء نظيفة من القمـاش وانحنت على الجـرح لكي تلف بها وبينما هي تقوم بذلك راحت تخاطب أختها:ـ

ـ إنهـا أصـابـة بسيطـة جداً وسطحيـة وسأشفى منهـا في غضـون يومين ولاأظن ان هنـاك اية خطورة أو مضاعفات ثانوية ستحصل.

ثبتت طرف قطعـة القمـاش على ركبتها وبدأت تلف بالجزء المتبقي حول الركبة بكل رقة ومن دون ان تضغط على مجـرى الـدم في السـاق، وعنـدما انتهت من ذلك ربطت نهـايـة الشـريـط بنحـو محكم وتأكـدت من ان اللفـائف لن تسقـط عنـدمـا تسير. كانت (كاثرين) قلقة جداً بصدد الجرح الذي أصابها وقد تقصدت أن لاتبوح به لهما حتى لايتخوفا.

ثبتت (كاثرين) الشمعة الصغيرة والتي كانت تحملها بيدها بداخل شق صغير يتوسط سطح جذع الشجرة الموجودة وسط المخزن وقد لاحظت ان هذا الشق مغطى بطبقة من الشمع المتجمد مما يشير الى انه قد استخدم سابقا وللغرض نفسه وعندما رأى (دان) لهب الشمعة وهو يتراقص تذكر صديقه الراعي عندما كانوا هنا في يوم ما. ودارت برأسه العديد من الأسئة فمن يكون الذي أشعل الشمعة قبلهم ووضعها في هذا الشق؟ هل هو الراعي الصغير؟ وهذه الشمعة التي تحملها (كاثرين) هل تعود له أم لغيره فلمن تكون ياترى؟

كان السطح العلوي للجذع مصقولاً على نحو جيد مما دفعهم للتفكير بأستخدامه كمائدة لتناول الطعام عليها وقد كان الجزء الايمن منها مصقولاً اكثر من غيره لذلك خصصة (كاثرين) لاخيها الصغير.

لم يهد أصرير الرياح خارج المخزن، كانت وكأنها ذئب يعوي ليلاً في سكونِ الصحراء. لكنها لم تكن رطبة أو تحمل معها الامطار كما في اليوم السابق. انها اليوم جافة وباردة جداً، وما أن يفتح الاطفال باب المخزن حتى تندفع بقوة الى الداخل وكأنها تبغي

اللجـوء والاحتماء وقد تجرف أي شيء يقف في طريقها مثل شلال ماء عارم.

كان ضوء الشمعة يتراقص في السقف وبذلك تمكنوا من اكتشـاف الاعمـدة الخشبيـة المتراصة والممتدة من أحـد جانبي المخـزن الى الجـانب الآخـر، لكي تزيـد المخـزن قوة وتراصاً وتجعله يبدو مشابهاً لسقف الكنيسة المـوجـودة في قريتهم. وفي وسـط المخزن يوجد عمود ينـزل من أعـلى نقطـة في الـسقف على الارض وقـد تجمعت حولـه كومـة القش الكبيـرة التي نشر عليهـا الاطفـال ملابسهم الجـافـة وبطـانياتهم التي أحضروها معهم من بيتهم لكي يوفـروا الـدفء اللازم في مثل هذه الليلة الباردة، وفي مثل هذا المكان الخالي من أي شيء سوى الصناديق الخشبية المتراصة مع بعضها والمصفوفة على أحد جدران المخزن.

ركض (دان) باتجـاه الـصنـاديـق لكـي يستطلع مايداخلها، وبمجرد أن رفع غطاء أحدها اكتشف انها لم تكن فارغـة وانمـا مملوءة بالحبـوب وقسم منهـا مغطى بطبقـة من الفـاكهـة والخضار وخصوصاً التفاح الاحمر، وعـدد لا بأس به من حبـات البطاطا والشوفان والشوندر.

أما القسم الآخر من الصناديق فقد كان مغطى بطبقة من الجبن الملفوف بقطع نظيفة من القماش الجاف والى جانب الجبن هناك كمية لابأس بها من اللحم المملح والكيك والخبز.

فرحة كبيرة أرتسمت على وجه (دان) البريء عند عثوره على هذا الكم الكبير من الحبوب والفاكهة والخضار، وراحت يداه الناعمتان تقلبان محتويات الصناديق واحداً بعد واحد ثم استدار الى (كاثرين) وقال لها :ـ

ـ انظري ياعزيزتي هذه الكمية الكبيرة من الطعام تكفينا لمدة طويلة فمن الذي أحضرها الى هنا تراها أمي هي التي فعلت ذلك أم الراعي الصغير؟

لم تجبه (كاثرين) بشيء وانما غمست يديها هي الأخرى داخل محتويات الصناديق وهي تقلب محتوياتها. في اثناء عملية البحث التي كانا يقومان بها أصطدمت يداهما مع بعضهما فأمسكت بيد أخيها وقالت له محاولة تأنيبه على ماتفوه به :ـ

ـ لااعتقد ان هذه الكمية تكفينا لمدة طويلة ومن قال لك اننا يمكن ان نأكل منها شيئا من سمح لك بذلك!!

يجب إن تتركها حالا .
في تلك الاثناء تدخلت (تيزا) متسائلة :ـ

ـ لمن تكون أذن؟ ألم تحضرها أمنا ليلة أمس معها؟ أذن هي لنا ومسموح لنا أن تناولها لان أمنا لم تجلبها لاحد سوانا أليس كذلك يا (كاثرين)؟
وقبل أن تجيب (كاثرين) تساءل (دان) :ـ
ـ لكن لماذا هذه الكمية الكبيرة هل سنبقى هنا مدة طويلة!!؟
وحين شرعت (كاثرين) بالكلام تراجعت مباشرة لانها لاتستطيع أخبارهما بشيء هي نفسها غير متأكدة منه فقالت وهي مترددة بأجابتها :ـ
ـ لأن . . لأن . . لأن على ماعتقد . .
ثم سكتت برهة محاولة معرفة سبب طرحها الكثير من الاسئلة عليها؟ لماذا لا يفكران قليلاً قبل ان يتفوها بهذه الاسئلة؟ ولكنها أحست انها هي الاخت الكبرى ويجب عليها أن تتحمل مسؤوليتهما وتشبع فضولهما لكي يشعرا دائما بالطمأنينة لذلك قالت لهما :ـ
ـ ياعزيزتي أن الوالدة انما أحضرت هذه الكمية من الطعام خوفا من احتياجنا لشيء وربما لن يطول بقاؤنا

هنا فهي والوالد سيحضران لكي يأخذانا الى بيتنا.
غردت عليها (تيزا) :-
- أعتقد ان كل شيء هنا سيكون ممتعاً للغاية وعلى أية حال فأن وضعنا هنا أفضل كثيراً من الوضع داخل القرية حيث لم يعرف سكانها الراحة والطمأنينة منذ موت أولاد العم (باركر).

لقد فجع أهل القرية جميعا بموت أولاد السيد (باركر) بهذه الطريقة المفاجئة وساد القرية صمت وهدوء مملوئين بالذعر والرعب وقبع الناس جميعهم في بيوتهم وأغلقوا أبوابهم على انفسهم، لاأحدمنهم يزور أحداً أو يتكلم معه، وحاول الآباء والأمهات جاهدين ابقاء خبر كهذا سراً لايسمع به الاطفال حتى لايصابوا بالهلع وكان الشيء نفسه بالنسبة لوالدهم ووالدتهم. حيث كانت الامهات تبكين قلقاً وخوفاً على اطفالهن في حين راح الآباء يريحونهن ويبعثون الطمأنينة في نفوسهن. ولذلك فكر والدهم ووالدتهم بالقيام بهذه الرحلة لأجل ابعادهم عن خطر الوباء الذي حل بأهل القرية فجاءا بهم الى هذا المخزن النائي أي ان رحلتهم هذه وفي هذه الظروف الجوية القاسية لم تكن لأجل النزهة بل انهم

مجبرين على ذلك. فتحمل الصعاب أهون عليهم من الاصابة بوباء كان سيردي بحياتهم لامحالة.

لم يشارك (دان) في الحوار الذي دار بين أختيه بل كان مستمعاً جيداً يدور برأسه بينهما مستمتعاً بلاصغاء اليهما ولم يدر بخلده أن يقاطعهما أو يشترك معهما بالحديث واثناء هذا الحوارء تساءلت (تيزا): ـ

ـ هل تظنين ان الوباء سينتهي بسرعة وسيأتي أبونا لكي يأخذنا الى القرية؟؟

تضايقت (كاثرين) كثيرا من سؤال أختها لانها لاتعرف بماذا تجيبها، ثم ردت عليها وهي تلف نفسها بأحدى البطانيات وتدير لها ظهرها وكانت نبرة صوتها لاتخلو من العصبية: ـ

ـ أوه (تيزا) متى تكفين عن اسئلتك هذه، لاينتظر أي منكم جواباً شافياً لاسئلته لانني أنا نفسي لاأعرف أي شيء.

ثم أدخلت نفسها بالبطانية محاولة النوم لكي ترتاح من تعب النهار، وان تبعد عن نفسها جميع المخاوف التي انتابتها، ومن تحت البطانية وجهت الكلام لاختها وكأنها تريد الاعتذار عن عصبيتها ولكي تلطف

قليلاً من الجو فقالت :ـ

ـ اعتقـد ان هنـاك شيئا حدث في القرية ولكن لاأستطيع أن أخـمن ماذا عسى أن يكـــون هذا يكـــون هذا الشيء على الاكثـر هنـاك مرض معـد وخبيث أدى الى اصابات كثيـرة وأودى بحيـاة كثيـر من الاطفـال الابرياء مثل اولاد العم (باركر) والذين سمعتما عنهم وهذا هو سبب وجودنا هنـا حيث أراد لنـا أبـونـا وأمنا ان نكون بعدين عن الوباء الـذي سيـودي بحياتنا لو بقينا هناك . الا تريان أن وجودنا

هنـا أمن بكثيـر من وجـودنا القرية على الرغم من كل الظروف والمعاناة والصعاب التي نواجهها هنا؟؟

فقاطعتها (تيزا) متسائلة :ـ

ـ اذا كان ماتظنيه بخصوص هذا الوباء صحيحا فما عساه أن يكون، وكيف الخلاص منه، وهل أبونا وأمنا بخير هناك؟؟

ثم أردف (دان) قائلاً :ـ

ـ اعتقد انهما سيأتيان الى هنا أليس كذلك يا (كاثرين)؟ فنحن لايمكننا أن نبقى هنا وحدنا مدة طويلة .

فردت عليـه وهي تجـره لكي ينـام بجانبها على كومة

القش وألقت عليه البطانية :ـ

ـ بالطبع ياعزيزي سيأتيان فهما لايمكن أن يتأخرا عنا طويلاً

كان الفراش الذي ينامون عليه مكوناً من علاكبير من العيدان والاغصان الجافة والقش المتجمع والمخزون لاستعماله علفاً للحيوانات التي يحضرها الى هنا (حكيم) من وقت لآخر. كانت هذه العيدان قاسية جداً وخشنة على أجسادهم الناعمة الطرية. فكانوا عندما ينامون عليها تخترق ملابسهم وتنغرز في أجسادهم

ولكنه وا على الرغم من ذلك فأنها توفر لهم قدراً لا بأس به من الراحة والدفء لاغنى لهم عنهما. بعد أن قطعوا هذه المسافة الطويلة من قريتهم الى هنا تحت الامطار وضد الرياح القوية التي كانت تلقي بهم من جهة الى أخرى. فقالت (تيزا) بلهجة شكوى وانزعاج من خشونة الفراش الذي ينامون عليه :ـ

ـ أحس كأن أبراً تغرز في جسدي لايمكننا النوم براحة عليه.

فرد عليها (دان) وهو يضع أصبعه في فمه ويلف البطانية حول جسده وكأنه داخل كيس لايظهر منه الا رأسه

ـ ولكن هذا أفضل من لاشيء ياعزيزتي . أفعلي كما فعلت أنا، هكذا انظري أنا الآن مرتاح قليلاً .

ثم استسلم في نوم عميق وبسرعة لانه كان متعباً لدرجة كبيرة ولكن (كاثرين) قالت كلمتها الاخيرة قبل أن تنام :ـ

ـ (تيزا) لاتفكري كثيراً بالامر فكل شيء سيتحسن عند رجوع والدنا ووالدتنا ويجب ان تعرفي جيداً أن لاخيار لنا الآن .

ولكنها لم تسمع أي رد منها فأكملت قائلة :ـ

ـ ها أنك قد استسلمت للنوم ولم تبالي بخشونة القش الذي طالما اشتكيت منه، انك حقا حمقاء .

لم تمضي الا لحظات بسيطة حتى كان كلا من (تيزا) و(دان) مستغرقين في نوم عميق لكن (كاثرين) لم تستطيع النوم على الرغم من شدة اعيائها في ذلك اليوم . فقد كانت قلقة جدا بشأن أمها لانها منذ ذهبت ليلة أمس لم تحضر أو ترسل أي شخص يطمئنهم عنها . فخطر ببالها أن تخرج قليلاً الى خارج المخزن وترى فيما اذا كان هناك أحد ما . استلت نفسها من جنب أخيها بعد أن ألقت عليهما نظرة أخيرة وأطمأنت بأنه و(تيزا) نائمان . ففتحت (تيزا) عينيها، على آثر الخرخشة التي أحدثتها

(كاثرين) عند نزولها من كومة القش ، لكي ترى ماحدث فطمأنتها (كاثرين) بابتسامة مصطنعة رسمتها على وجهها . ثم اتجهت الى الباب ماشية على أطراف أصابعها . فتحت الباب بحذر شديد ولكن الرياح كانت قوية بحيث أندفعت الى الداخل بمجرد أن أنزلت (كاثرين) قبضة الباب الى الاسفل . وبعد أن خرجت أغلقت الباب خلفها بحذر شديد لكي لاتحدث أي صوت . وبعد أن أصبحت خارج المخزن تماماً دخلت في معركة حقيقة مع الرياح وهي تسير عبر الطريق المنحني الكثير التعرجات الذي يقود في نهاية الى الحقل واستمرت في سيرها في هذا الليل العاصف الحالك الظلمة وبعد أن أنهت المستنقع الذي يقع عند طرف الغابة وجدت نفسها في اعماق . . اعماق الغابة وأهتدت الى طريق يشق وسط الغابة محاطاً باشجار السرخس والتوت البري والعليق من كلا جانبيه . كانت تريد الوصول الى نهاية الغابة حيث توجد القرية التي يسكنها أهلها وناسها خلف الغابة بعدة أمتار. ولكنها خلال مسيرها وسط الغابة سيطر عليها شعور كبير بالخوف والقلق نتيجة الصفير المتواصل للرياح والظلام

الـدامس الـذي يخيم على المكان ففكرت بالرجوع الى المخـزن متبعـة الطريق نفسه الذي سلكته عند قدومها. ولكنهـا وقفت في مكـانهـا ووضعت يديهـا حول فمهـا بشكل دائري وبدأت تنادي بأعلى صوتها على أمها علها تسمعهـا، ولكن صرير الـريـاح كان أقـوى من صوتها، الـذي تبعثر بكـل الاتجـاهـات لذلك لم يكن بالامكان وصوله الى أمها حتى هي نفسها لم تسمع الصوت الذي انطلق من حنجـرتهـا. الى الاسفـل كانت اغصـان الاشجـار تتضـارب مع بعضهـا وتتطـايـر محـدثة أصواتاً ساعدت اكثر في اختفاء صوتها.

بعيـداً منهـا وعلى ضوء القمر استطاعت (كاثرين) أن تميز ثمار التوت البري الاحمر التي كانت تتلامع وتتوهج تحت ضوء القمـر. فركضت بسـرعـة شديدة حال رؤيتها هذه الشجرة المليئة بالثمار وتسلقتها واقتطفت منها الثمار وبدأت تأكلها بشراهة. ثم همت بالنزول بعد أن أشبعت معـدتهـا، ورجعت في الطـريق نفسـه الـذي قدمت منه باتجاه المخزن. وعندما وصلت باب المخزن حاولت أن تفتحه ولكنها لاقت صعوبة بذلك، ففكرت بالرجوع الى الخلف والـركض باتجـاه البـاب لكي تفتحـه، وقـد

ساعـدتهـا الـريـاح كثيراً في ذلك مما بسبب تناثر حبات التـوت التي حملتهـا لاختها وأخيها معها وتساقطت على الارض فتـركتهـا وركضت منـدفعـة باتجـاه البـاب الذي تمكنت من فتحه أخيراً .

تركت البـاب مفتـوحاً على آخره ورجعت الى الارض تلتقـط ثمـار التـوت التي تنـاثرت عليها . ثم دخلت الى المخزن واغلقت البـاب خلفهـا ، واتجهت مبـاشرة الى كومـــة القش لتتفقـد كلا من أخيهـا وأختهـا اللذين كانـا مستغـرقين في نوم عميق وهادىء ثم وضعت وكان بيدها من ثمار التوت على جذع الشجرة ورمت شالها عن كتفها وفـرشتـه على كومـة القش لكي يجف . في تلك الاثنـاء فتحت أختها عينها وسألتها وهي بين النوم والصحو :ـ

ـ هل جاءت والدتنا يا (كاثرين)؟

ـ لا لم تأت بعد ياعزيزتي

ـ هل تشعرين بالقلق عليها؟

فأنحنت (كاثرين) على أختها بكل رقة وحب وطمأنتها قائلة :ـ

ـ انـا لست قلقـة عليهـا وكـذلك أنت ياعزيزتي يجب ان تكوني مطمئنة فهي ستأتي لاشك في ذلك .

ثم جلست بجانب أختها ووضعت رأسها على ساقيها وبدأت تلعب بشعرها فاستغرقت (تيزا) في نوم هادىء، بعد ذلك رفعت (كاثرين) رأسها ووضعته على كومة القش بحذر شديد حتى لاتستيقظ ولفت نفسها بالبطانية واستلقت على جنبها ثم أغمضت عينيها مستسلمة في نوم عميق لانها كانت متعبة لدرجة كبيرة. استغرق الاطفال جميعهم في نوم هادىء وعميق ولكن الرياح في الخارج كانت ماتزال تصر بشدة ولم تهدأ طوال تلك الليلة.





الشعور بالوحدة

كان صوت الطرقات عنيفاً جداً على باب المخزن بحيث تمكنت من ايقاظ (كاثرين) من نومها فادارت جسدها الممد على كومة القش وببطء الى الجهة الاخرى لانها ماتزال نائمة غير مبالية للطرقات التي سمعتها فاستمرت في نومها لانها كانت متعبة جداً. ولكنها فتحت عينيها ثانية عند معاودة الطرق على الباب

وأغلقتها مباشرة بحركة لاارادية لانها لم تستطيع استقبال أشعة الشمس الحادة المرسلة من بين الشقوق الموجودة في سقف المخزن، ثم عادت وفتحت عينيها على اتساعها وبدأت تحدق بابتهاج غير مصدقة ماتراه عيناها وقد نساها ذلك الطرق المتواصل على الباب وبدأت تجول بعينيها في أرجاء المكان وكأنها تراه للمرة الاولى. أخذت تتفحص بقعة بعد أخرى وكأنها لم تفعل ذلك عند حضورها في الليلة الاولى.

حاولت (كاثرين) أن تتذكر المكان وماذا حدث تماما وكيف وجدت هنا ولماذا قدمت الى هذا المكان وكيف وصلت؟ ولماذا تنام على هذه الكومة من القش الخشن بدلاً من فراشها الوفير و الدافىء؟ كانت غائرة وسط كومة القش ملفوفة ببطانيتها الثمينة التي لم يظهر منها الا رأسها الذي توسط كلا من رأسي (دان) و(تيزا). كان (دان) كالعادة مستغرقاً في نومه وأصبعه مايزال باقياً في فمه الذي سال من أحدى زواياه اللعاب. أما ركبتاه فقد كانت مطويتين الى الاعلى بحيث لامستا بطنه. بدأت (كاثرين) تتضايق من صوت الخرخشة التي تحدثها أختها بحركتها المستمرة على القش.

عاد الطــرق ثانيــة على وبشـــدة، وكــان هذه المــرة مصحـوبـا بصـوت عال من خلف البـاب، وقـد تمكنت (كـاثـرين) من تمييـزه فوراً. انـه صوت أمهـا، نعم أنـه صوت أمها :ـ

ـ (كـاثرين) افتحي الباب ياعزيزتي . . . كاثرين أنهضي ياصغيرتي وأفتحي الباب. . فرفعت جذعها الى الاعلى وبحركة لاشعورية أندفعت باتجاه الصوت ناسية البطانية الني كانت تلف جسـدها والتي تسببت في ارتمائها على الارض، فرفعت البطـانيـة عنها وركضت باتجاه الباب.

بعـــد أن فتحت البـاب شاهـدت أمهـا التي تقف خلف الباب فدخلت والابتسامة تملأ وجهها وألقت على أبنتها تحيـة الصبـاح ولكن مَن دون أن تقبلهـا أو تحضنهـا فقد كانت حذرة جداً أن لاتلمسها أبداً. اندهشت (كاثرين) من تصرفات أمها بهذا الجفا ولم تتفهم موقفها جيداً.

أتجهت الام الى كومة القش وبدأت تصرخ على كلا من (تيـزا) و(دان) محـاولـة إيقـاضهمـا بصـوتهـا فقط، فاستيقظا فزعين غير مصدقين ماتراه عيناهما واعتقدا انهما في حلم لم يستيقظـا منـه الا عنـدمـا دفعتهما أمها عندما حاولا تقـبيلهـا. اتجهت الام الى الصخـرة مسـاشـرة

وجلست عليهـا وهي تحمل معها صرة كبيرة من القماش مربوطة من الاعلى بحبل وقد تدحرجت عندما ألقت بها أرضاً. ركضت (تيزا) الى أمها وحاولت ان تتعلق برقبتها وعندما همت بتقبيلها دفعتها أمها بحركة قوية جدا بحيث دفعت أرضا ناهرة أياها بلهجة جادة جداً:ـ

ـ لاتلمسيني ايتها الحمقاء...

ثم أكملت كلامها متوجهة به الى اولادها جميعهم ولكن بصوت رقيق وكأنها تعتذر عما بدر منها:ـ

ـ أطفالي الاحباء أرجوكم أن لاتقتربوا مني ولاتلمسوني فأرتسمت البسمة على وجه كلا من (تيزا) و(دان) والتي حلت بدلا عنهـا نظـرات الاستغراب والغضب في عيني (كـاثـرين) فحـدقت بأمهـا ولم تستطـع أن تنسى موقفها عندما فتحت لها الباب.

كان وجـه الام شاحبـاً مملؤا بعـلامـات الاضطـراب والقلق وآثـار الـدمـوع ماتـزال على عينيهـا وقد أرتسمت تحتهـا هالات زرق، ولاول مرة تضـع على كتفهـا شالاً صوفياً كما تفعل النساء الكبيرات في السن وقد لفت جزء من رأسهـا بهـذا الشـال. وبينمـا كانت (كاثرين) تحدق بوجـه أمهـا تذكـرت كيف كانت تنشـر حبات القمح على

الارض لكي تلتقطها الدجاجات فأرتسمت على وجهها أبتسامة رقيقة عكستها أشعة الشمس التي كانت تضرب وجهها وتصورت أمها وهي تتناول بقبضتها كمية من حبوب القمح وتنثرها فتتجمع من حولها الدجاجات فرحات بهذه الوجبة الوفيرة من الطعام ثم تحولت البسمة في وجهها الى ضحكة عالية مليئة بالبراءة والبهجة فراحت الام وابنتها يحدقان بها بدهشة واستغراب من أحوالها غير المستقرة.

ولكن كالعادة لم تدم البهجة على وجهها حيث حل بدلاً منها رعب وقلق لم يخف على من حولها، فقد تذكرت ليلة أمس حيث كانت موجودة في الغابة فسألت أمها :-

- هل هناك شيء خطير حدث في القرية رجاءاً يا أماه أخبرينا بكل شيء وأين والدي؟ لم يحضر معك، هل حدث له مكروه؟

- نعم هناك شيء ما سأخبرك به فيما بعد، ولكن لاتدعي القلق يسيطر عليك الى هذا الحد فوالدك ونحن جميعاً بخير. انت الكبرى ويجب ان تكوني شجاعة وقوية وأعصابك متماسكة لكي تراعي أختك وأخاك وتقومي

مقامي ياعزيزتي .

لم تتمكن (كاثرين) من الاستمرار في النظر الى أمها وسماع كلامها الذي كان ينبىء بانها ستغادرهم قريبا، وبعد دقائق من التفكير عادت تلح على أمها بالاسئلة :-

- تكلمي ياأمي بسرعة أرجوك فقد ازداد قلقي . . لماذا تصمتين هكذا؟

فقاطعتها امها وهي تقول لها محاولة بث الراحة والطأنينة في نفسها :-

- منذ الصباح الباكر ومع سطوع الشعاع الاول من ضوء الشمس، اتجهت الى بيت الجدة (جرانما تيپ يوت)، وقد كان الغرض من زيارتي لها أن أوصل لها بعض الاشياء التي كانت تحتاج لها وفي الوقت نفسه أتي بوالدكم معي الى هنا ولكني عندما وصلت الى هناك كانت في حالة صحية متعبة جداً وحرارتها مرتفعة بدرجة كبيرة . . .

لم تكمل الوالدة كلامها بل توقفت قليلا متقصدة بذلك وكأنها تريد أن تعرف رد فعل أبنتها، التي لم تبدأ أية حركة أو كلمة حتى انها لم تحاول النظر الى امها التي راحت تكمل سردها للاحداث :-

ـ لقـد بقي والـدك هناك لكي يعتني بها حيث كان ساهرا طوال ليلة أمس ولم يغمض له جفن، وفي هذه الحالة لن يستطيـع أن يتـركهـا ويأتي معي لانهـا والدته وهي بأمس الحاجة اليه الآن اكثر من حاجتكم انتم له، وأنا ايضا لن أطيـل بقـائي معكم لانهمـا يحتـاجـان لي فلايـوجد من يحضـر لهمـا طعـامهما ويعتني بهما ويلبي لهما طلبتهما وها أنا قد اخبرتك بكل شيء ياعزيزتي لكي تكوني على علم بخطـورة وجـودكم هنـاك معنـا، وان بقاءكم هنا أمر لابـد منـه وخصوصاً في هذه المرحلة المتأزمة من انتشار الـوبـاء. . . انـه الطاعون يعني الكارثة وانت قبل أختك وأخيـك مطلوب منـك أن تقـدري ذلـك جيداً، وتقدري حجم المسؤوليـة التي اسلمتـك أيـاهـا وأنت جديرة بها ياعزيزتي. . . أليس كذلك، أم أنني مخطئة في تخميني؟؟

اذن هو الطاعون. . . قد حل في قريتهم. هذا الوباء الـذي يقضي على النـاس بشكـل مجـاميع مثلما قضى على أطفـال السيـد (بـاركـر) الستـة دفعة واحدة. ولكن الصغيرة (كاثرين) لم يكن لها علم بهذا الوباء من قبل، لان الآبـاء والامهـات حذرين جداً ان لا يسمـع أطفالهم

أي شيء عن هذا الوبـاء حتى لايشعروا بالذعر والقلق .
لم يفعل الاهـالي شيئـا غير الصلاة والابتهال للرب عله يزيح هذا الوبـاء عنهم ويـرحمهم فقد كانوا يدعون أن يخفف الـرب عن المـرضى ويهـون على العـوائـل التي فقـدت كثيـرا من أطفـالها ورجالها ونسائها ، حيث ماتت عوائـل بأكملهـا . ولم يكن لدى أحـد الجـرأة على زيارة البيت الـذي يزوره الطـاعون فقد كانوا يقاطعونه مقاطعة تامة خوفاً وإحتراساً . فتساءلت (كاثرين) بعد فترة صمت طويلة :-

- ولكن الى متى سيـدوم الحـال هكذا؟ هل تنتظرون أن يموت جميع من في القرية . . . الا يوجد حل؟ الا يوجد علاج لهـذا الوباء؟ هل ستتركون هذا الوباء يقضي على الجميـع وأنتم لاتفعلون شيئـاً سوى الـدعـاء والابتهـال للرب ، يجب ان تقضـوا عليـه والا قضى علينـا جميعا ، فمن سيكون الضحية المقبلة!!؟

- لاتقلقي ياأبنتي فلن يستمـر الحـال على ذلـك طويلاً ، ولاتقلقي علي وعلى والـدك فنحن سنتـرك المكـان في الوقت المناسب ونلحق بكم الى هنا ، وبمجرد ان تنتهي القـريـة من الـوباء سنعود اليها . المطلوب منكم الآن ان

تتكيفوا مع هذا المكان وكونوا على يقين أنكم على الرغم من كل الظروف القاسية التي تواجهكم هنا . . ولكن معاناتكم ليست الا بالشيء القليل بالنسبة لمايعانيه الاطفال والاهالي هناك في القرية فوجودكم هنا في هذا المكان النائي يوفر لكم الحماية الكافية من هذا الوباء .

في تلك الاثناء وضعت (كاثرين) يديها على كتف أختها وهي تضمها اليها، بينما راحت (تيزا) تتوسل بأمها :ـ

ـ لكن ياأمي انك تطلبين منا شيئا فوق طاقتنا . . أتعتقدين انه من السهل علينا الاعتماد على انفسنا فنحن مانزال صغاراً وضعافاً على شيء كهذا .

فردت عليها أمها وهي تحاول أن تشجعها وتزيد من ثقتها بنفسها :ـ

ـ ياعزيزتي أنا لااطلب منكم شيئا فوق طاقتكم كما تتصورين فأنتم شجعان بحيث أن أترككم وأنا مطمئنة عليكم .

ثم بدأت تمازحها وتداعبها بكلمات تروح بها عن قلقها :ـ

ـ لاتكوني جبانة الى هذا الحد ياعزيزتي كوني قوية مثل (كاثرين) وقد أحضرت لكم هنا الطعام والملابس النظيفة معي ، أما الشمس والدفء والفراش فأنها متوفرة لديكم هنا ويجب ان تشعروا بالامان وأن يكون أحدكم عوناً للآخر

لكن (تيزا) لم تتوقف عن الاسئلة وعادت تلح على أمها :ـ

ـ ولكن متى ستعودين . . والى متى سنبقى نحن هنا؟

ـ لن يطول ذلك ياعزيزتي فعندما ينتهي الوباء ويسود الامان سأحضر لكي آخذكم معي واذا حصل لي أي مكروه ومنعني من المجيء اليكم فأنني سأبعث لكم رسولاً من القرية بطمئنكم عني ويحمل لكم الاخبار، ولكن عدوني أن لاتسمحوا لأي كان أن يدخل عليكم ماعدا الشخص الذي سأرسله أنا . . أتعداني بذلك؟

فوعدتاها بما طلبت منهما وكلهما يقين من أنها لو تمكنت من الحضور فلن يمنعها عن ذلك شيء ، ولكن الام قبل خروجها حذرتها من لمس القماش الذي لفت به الحاجات وأوصتهما بأن يفتحاها بواسطة عود ويحرقاها بالنار حال فتحها لانها قد تحمل الجراثيم

ارتعـدت (كـاثـرين) خوفـا وتجمـدت ساقـاهـا ولـم تعد قادرتين على حملهـا عنـد سمـاعهـا أمهـا وهي تلتفـظ كلمـاتهـا الاخيـرة، فقـد فكرت أن أمها يمكن ان تكون حاملة للجـرثـومـة بجسـدها وملابسها وحتى في الاشياء التي جلبتهـا لهم سواء أكـانت مأكـلاً وملبسـاً والا لمـاذا امتنعت عن ضمهما أليها وتقبيلهما.

لقـد لاحظت الام الهلع الـذي بدا واضحـاً بعيني (كـاثـرين) وحاولت أن تريحها قليلاً وتوضح لها الطريقة التي أحضرت بها الصرة الى هنا:-

- لاتقلقي ياعـزيـزتي فأن يدي لم تمسـا الصـرة أبـداً الا تعرفين انني حذرة بأمور تتعلق بسلامتكم وحياتكم. لقد أوصلتهـا الى هنـا وأنا أسحبها بوساطة عود لكي لا أضع يدي عليهـا وقـد سحبت معي كل الحصى والحجارة الناعمة المنتشرة على طول الطريق، وكذلك يمكنك ان تلاحظي أسفل الكيس فأنه قد تمزق من شدت ماحتك مع التربـة وعلى الـرغم من ذلـك يجب ان تفتح الصرة خارج الـمـخـزن وأن تفـعـلي كمـا أوصيتكم به قبـل لحظـات. لم تفعـل (كـاثـرين) شيئـا سوى أن أطـرقت رأسها الى الاسفل ايماءة منها لامها بالطاعة.

مرت لحظـــات صمت وسكـــون عليهمـــا كانتـا في غضون ذلك مستغرقين ومتأملين الكلام الذي سمعتاه ثم استـــدارت (تيـــزا) الى الشبـك لكي ترفعـه الى الاعلى وتفسـح للشمس الطـريق لكي تنير المخـزن وتـدفئـه. ولكنهـا صرخت صرخـة عاليـة مصحـوبة بضحكة بريئة لانهـا رأت بقـرتها التي تحبها مربوطة الى الشجرة خارج المخزن، فدعت أختها لكي تريها ماشهدت :ـ

ـ أوه ياأمي العـزيـزة لقـد أحضـرت صديقتي التي أحبها والتي ستملأ على فراغي وتنسيني كل مخـــاوفي وقلقي.

لقـد اشتقت اليها كثيراً تعالي يا (كاثرين) تعالي وانظري ماأجملهـا انني بشوق كبير لان أضمها وأغني لها الاغنية التي تطـــربهـــا ولكنني بشـــوق اكبـــر لشـــرب حليبهـــا اللذيذ. . . اشكرك ياأمي على صنعك هذا.

ثم انـدفعت (تيـزا) بسـرعـة الى البقـرة وضمتها وبدأت تقبلهـا ووضعت رأسهـا بين صدر البقـرة الناصع البياض الذي يكون اكثر دفئاً من غيره فبدأ يدور عليها بالحليب، ثم لوحت البقـرة برأسهـا وأخفضتـه الى الاسفـل باتجاه (تيزا) بكل رقة وحنين. ثم أخرجت لسانها وبدأت تمربه على جسد صديقتها الصغيرة.

في تلك الاثناء لحقت الام و(كاثرين) بـ (تيزا) الى الخارج ووقفتنا تنظران الي ذلك الغزل الجميل بين (كلاودي) و (تيزا) وتلك المداعبة الرقيقة المملوءة بالشوق واللهفة والحنين. استغلت الام هذه اللحظات الجميلة وشرعت تودع بنتيها لانها شعرت أنهما لاتحسان بألم الوداع الآن بوجود (كلاودي) التي شغلتهما كثيراً. ولكنها قبل أن تودعهما تلفظت بنصيحتها الاخيرة لهما:- - لاتجلسوا هكذا من دون أن تعملوا شيئاً.. فيجب عليكم جميعاً ان تشغلوا أنفسكم بعمل أي شيء مهما كان بسيطاً حتى لاتشعروا بالفراغ الذي يدفعكم بالنتيجة الى القلق والتفكير والخوف ولاتنسيا ما وعدتماني به بأن لاتدخلوا أي شخص اليكما الا اذا كان مرسلاً من قبلي.

لم تفعل البنتان شيئاً سوى أطرقا رأسيهما الى الاسفل ايماءة منهما بالرضاء والطاعة وقد كانتا واثقتين أن أحداً لن يفكر أن يأتي الى هذا المكان النائي وفي مثل هذه الظروف الجوية القاسية الا اذا كان مرسلاً من قبل والدتهما ويحمل لهما خبر انتهاء الوباء ولكن من المؤكد ان الذي سيأتي ولايحمل معه خبر إنتهاء الوباء فأنه سيكون حاملاً للوباء نفسه. ثم ودعتهما أمها للمرة

الاخيرة وأخبرتهما بأنها ستضع أي شيء تريد أرساله لهم على جانب النهـر لكي يسيـر مع مجـراه وحـذرتهمـا ان لايعبرا النهر الى الجهة الآخرى:

فوعـدت البنتان أمهما بعدم محاولة العبور الى القرية ولكنهمـا تخليتـا صعـوبة الموقف عندما تقفان عند حافة النهـر وتسمعـان الاصـوات وتـريـان الاصـدقـاء البيوت والمدارس ولاتتمكنان من العبور اليهم والاقتراب منهم. ثم استدارت الام الى البنتين وقالت لهما شيئاً كانت قد نستيه:ـ

ـ لاتخـافـوا اذا شعـر أحـدكم بارتفـاع بسيـط في درجـة الحرارة فيجب ان يحضر مباشرة الى القرية.. الى اللقاء أيتها الفتاتان الشجاعتان.

ثم لوحت اليهمـا بيـدهـا وأدارت لهما ظهرها وسارت في طريقهـا الى القـرية مسرعة لانها لم تكـن ترغب بتكبيد المـزيـد من الألام في هذه اللحظـات غيـر أن (كاثرين) ركضت خلف أمهـا ونـادتهـا من دون أن تشعـر بنفسها، وحاولت تقبيلها لكن امها لم تترك لها الفرصة بأن تلمسها حتى في هذه اللحظـة كان خوف الام على أطفـالها أكبر من شوقـهـا وحنـانهـا الـذي يضيق به صدرهـا فهي

باستطـاعتهـا ان تسيطـر على مشاعرها ولو أمامهم فقط، ولكن عملية السيطرة على الوباء وخطره شيء خارج عن طاقتهـا وعلى الـرغم من ذلـك فقـد تمكنت من تلافيـه وأبعاده بالارادة القوية والحب الذي دفعها للخوف عليهم وحمايتهم حتى من نفسها.

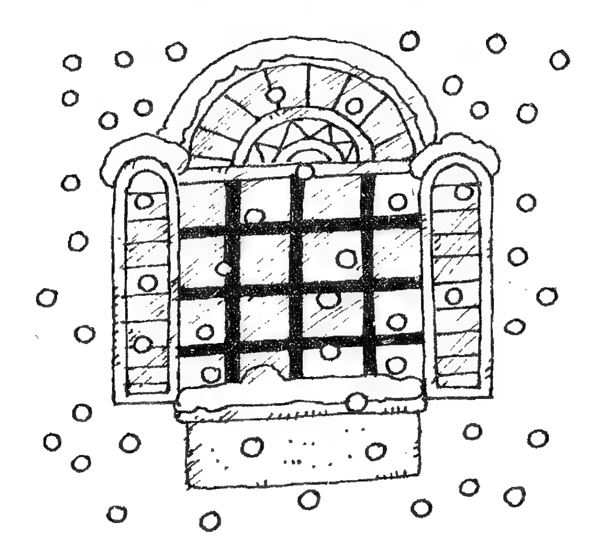
أصيبت (كاثرين) بصدمة كبيرة وكانت ردة فعلها على مافعلتـه أمهـا أن أتجهت الى داخـل المخـزن بانـدفـاع شديـد وحـركـة طائشـة ليست غريبـة على فنـاة في مثل سنهـا. دخلت الى المخزن وأتجهت مباشرة الى النافذة ورفعت الستـارة الخشبيـة بيـدين مرتجفتين وراحت تنظر الى أمها التي كانت تبتعد عنهما شيئاً فشيئاً الى أن غابت أخيـراً. عنـدمـا أختفت الام نهـائيـاً، ولم يعـد بأمكـان (كاثرين) رؤيتها أنزلت الستارة بحركة عصبية جداً وكأنها تريـد أن تصفـع الشبـاك الـذي لم يكن أمـامهـا غيـره، فأحـدثت بذلـك صوتاً قوياً وفتحت فمها محاولة الصراخ ولكن نظرها في تلك اللحظة وقع على اخيها المستغرق في نومه، فعادت وأغلقت فمها وكبتت الصرخة بداخلها كما كبتت شوقها وألمها.

كانت (كـاثـرين) مندفعة على نحو هستيري في هذه

اللحظـة ، وقـد أفتضحت ألامها ومشاعرها أمام (تيزا) ثم تسلقتـا على جدار المخـزن العـالي علهمـا تتمكنـا من رؤيتهـا ، ولكن أمـالهمـا خابت لانها كانت مختفية تماماً بين الادغـال والاحـراش الكثيفـة التي كانت تهتـز من الاعلى حين تتحرك الام بداخلها وهي تشق طريقها .

أصيبت الفتاتان برعب كبير عندما غابت عنهما أمهما وبـدا القلق يلعب دوره معهمـا كيف ستواجهان الظروف في هذا المكـان النـائي ، وان كان بمقـدورهمـا الصمود امـام الطقس فمـاذا ستفعـلان مع الحيـونات المتوحشة التي ستهـاجمهـا لامحـالة . أنه ظرف عصيب جداً . . . وأختبـار صعب لارادتهم وقـوتهم ومـدى اعتمادهم على أنفسهم . . ويجب أن يكـون أحدهم دعماً وسنداً للآخر يشجعـه على الـدوام وهـذا ماكـانت تفكـر به (كـاثرين) وتنوي أن تفعله مع أخيها وأختها .





اعداد البيت

بقي الاطفال وحدهم الآن بعد أن أنهت الام زيارتها القصيرة لهم ولكنها تركتهم في شبه حزن نتيجة سماعهم الاخبـار السيئة عن قريتهم وخصـوصاً جدتهم ، حيث ازداد قلقهم وخـوفهم من الظـروف والمصـاعب القاسية التي يواجههـا أهلهم هنـاك ومن الظروف الجوية القاسية التي يواجهـونهـا هنـا وحـدهم وخصوصاً انهم لايعلمون

متى تنتهي هذه الازمـة وتتخلص القـريـة من هذا الـوباء الذي نزل بها، وقضى على الكثير من الاطفال والنساء لذلـك يجب الـوقـوف بوجهـه وصده لحماية ماتبقى من السكـان. هذا ماكان يقلق الجميع ويسبب لهم الارباك وخصوصاً أنه حدث في ظروف صعبة نوعاً ما.

يجب على الاطفال أن يفعلوا أشياء كثيرة ينشغلون بهـا ويبتعـــدوا عن القلق والتفكيـر الـذي يزيـد من أربـاكهم وخـوفهم ليس الا. لذلـك استغرقت كلا من الفتاتين في التفكيـر في ايجاد مايشغلون بـه أنفسهم عملاً بنصيحة الـوالـدة. مايـزال (دان) مستغـرقـاً في نومـه ولم تحـاولا ايقاظه وأقلاق راحته، لذلك فقد استيقظ في وقت متأخر ولم يكن لديـه علم بزيـارة والـدتـه المفـاجئة وقد أتفقت الاختـان على أبقـاء هذا الامـر سراً بينهمـا حفـاظاً على مشاعره ولابعاده عن الام هو في غنى عنه.

بدأت الاختـان بتحضيـر وجبـة الافطار لان أمعاءهما كانت تقصرهما من شدة الجوع، وقد كانت وجبة دسمة وشهية، فضلاً عن أن جميع المواد من جبن وحليب وخبز كانت طازجـــة حيث لم يمض على جلبهـــا اليهم سوى ساعات معدودة. بعد أن أنتهيتا من تحضير الوجبة كاملة

وضعتاهـا على جذع الشجرة المخصص لتناول الطعام نظـرت الفتـاتين أحداهما الى الاخرى وضحكتا ضحكة تنم عن فرحهمـا بما صنعتا، عندها طلبت (كاثرين) من أختهـا أن تذهب وتـوقـظ (دان) لكي يبـدأوا بتنـاول وجبتهم. وبـالفعـل فقـد أتجهت (تيـزا) الى كومة القش التي يفترشها أخوها وأيقظته بكل رقة وحنان وهي تهز جسده :ـ

ـ انهض أيهـا الكسول.. كفاك نوماً... لقد قارب النار أن ينتصف فقـالت لهـا (كـاثرين) وهي واقفة الى جانب مائدة الطعام :.

ـ أخبـريـه ماذا يوجد لدينا، وصفي له جمال هذه المائدة وستـرين كيف سيقفـز من فراشـه لانـه لايقاوم أغراء هذه الاصناف اللذيذة والمتنوعة.

عنـد سمـاعـه صوت (كاثرين) فتح عينيه على اتساعهما وأدار رأسـه جانبـاً لكي يتأكـد من صدق كلامها، وعندما رأت عينـاه مالم تتـوقعـاه رفـع نصفـه الاعلى الى الامام بحـركـة خاطفة كالبرق واتكأ على جانبه الايسر برهة وقد ذهـل من مشهـد الطعـام وخصـوصـاً لان امعـاءه كانت تقتصـر جوعـاً وغـاب في حالة ذهول مع اصناف الطعام

التي طالما اشتاقها كثيراً. وبحركة تلقائية لاتخلو من البراءة التي تملأ هذا الصبي رفع الغطاء عن جسده باليد الاخرى وألقاه أرضاً، ثم قفز راكضا نحو المائدة والضحكة تملأ وجهه كاشفة عن صفين من الاسنان الجميلة والتي لم يكتمل بعد عددها في فمه. انطلقت صرخات عالية من فمه وكأنها هتافات في احتفالات رسمية وجسمه لم يكن مستقراً على الارض بل كان يقفز الى الاعلى والى الاسفل وكأنه يقف على فراش أسفنجي عال:ـ

ـ ماذا أرى... هل لدينا إحتفال.. هل من زائر نحن بانتظاره... أنكما أطيب أختين. من قال لكما انني جائع الى هذا الحد بحيث جهزتمالي هذه الكمية من الطعام المتنوع كانت الاختان تنظران اليه بفرح كبير وسعادة لاتوصف لانهما استطاعتا أن تشعراه بالفرح والاطمئنان فقالت له (كاثرين) وهي تحاول ان تجمع كلماتها وتكبت ضحكاتها:ـ

ـ على مهلك أيها الصغير، إن من يرى منظرك هذا يتوقع انك مصاب بمجاعة، وانك لم تأكل منذ أسابيع.

ـ أذهب وأغسل وجهك قبل أن تبدأ بألأكل، فأن أحدنا

لن يبدأ قبل أن تحضر . ثم أكملت (تيزا) حديثها وهي تجره من يده وتركض به خارجة من المخزن باتجاه الساقية المجاوره للمخزن :ـ

ـ هيا ولاتكن كسولاً . . . هيا ياعزيزتي ، ماذا كان بأمكانك ان تأكل وانت على هذا الحال فنحن لانفضل الاكل معك بهذه الطريقة .

أتجه الى الساقية واغتسل (دان) من مائها الجاري ، ولكن كان على عجل من أمره. ثم رجعا الى داخل المخزن حيث كانت (كاثرين) جالسة الى المائدة بانتظارهما. بدأ الاطفال بتناول وجبتهم ولم يتفوه أي منهم بحرف. ولكن (كاثرين) كانت قلقة جداً من الاسئلة التي توقعت أن يطرحها (دان) وكيف ستتهرب من الاجابة عليها من دون أن تدعه يحس بذلك حتى تجنبه الكثير من الآلام والمتاعب ولكن حدسها كان صحيحاً وحدث ماتوقعته حيث طرح عليهما سؤالاً وهو منهمك بالتهام لقمته ومضغها بين أسنانه :ـ

ـ من أين لكما هذا الطعام؟ هل حضر أحد من القرية؟ هل حضر أبي وأمي ؟

نظرت الاختان كل بوجه الاخرى بعينين حائرتين ولم

يكن بوسعيهمـا أن تخفيا أرتباكهما وتهربهما من نظراته، ولم تجيبـان بشيء وسـاد صمت لمدة دقيقة من الزمن لم يسمـع أثنـاءهـا الا صوت مضغ الطعام بين أسنانه ولكنه توقف فجأة وكرر على أختيه الاسئلة عينها ولكنه كان في هذه المرة لا يتكلم بغضب اعتقاد منه أنهما تتجاهلانه :ـ

ـ مابـالكمـا لاتجيبا . . . ألم تسمعـاني أم هنـاك شيء ماتحـولان أخفـاءه عني أرجـوكمـا أخبراني هل وصلكما شيء عن والدي؟ هل هما بخير . . أم حدث لهما مكروه . . ؟

فأجابته (كاثرين) بصوت مرتبك وكلمات متقطعة :ـ

ـ لم يحـدث شيء . . أكمـل طعـامـك . . لم يحـدث شيء . . صدقني .

كانت (كـاثـرين) منفعلة جداً بكـلامها فلاحظ عليها ذلـك . وارتـاب من أمـرها فأنتقل بنظره الى (تيزا)، التي حاولت ان تتهـرب منـه ولكنها لم تستطيع أن تقاوم أخيراً نظـرات عينيـه وافتضح أمرها وباحت له بكل شيء ولكن بكلمـات رقيقـة ولاتخلو من الـدفء والحنـان في وقعها على أذنيـه وكـان هو مصغياً اليها، حتى ان عينيه تجمدتا على شفتيهـا وأرتسمت على وجهه هالة من القلق والالـم

وهي تسرد له تفاصيل الزيارة الليلية التي قامت بها والدتهم الى هنا وحاولت أن تفهمه قدر الامكان أنهما لم توقظاه من نومه لرؤيتها لانها كانت على عجلة من أمرها لذلك أرتأتا عدم أزعاجه واقلاق راحته.

قبل أن تكمل (تيزا) كلامها كان (دان) حانياً راسه الى الاسفل وكفيه تغطيان وجهه وأجهش يبكي بحرقة وألم لانه لم ير أمه مثلما رأتها أختاه. أحست الاختان بالالم عند سماعهما بكاءه وشعرتا بوخزة في الضمير وأخذت أحداهما تنظر للاخرى فحاولت (تيزا) أن تغير الموقف وتننزعه من الحالة التي أوصلته اليها، فوقفت على قدميها وأمسكت بيده وأخذته الى خارج المخزن :-

- لاتحزن هكذا فأنا عندي لك مفاجأه ستمحوا كل الآلام التي سببتها لك، تعال معي الى خلف المخزن لترى ماذا هناك.

- ماذا تريدين مني؟ دعيني وشأني أرجوك.

ولكنها لم تبال بكلامه وبقيت تقوده من يده الى أن وصلا الى الشجرة حيث كانت (كلاودي) مربوطة، وقالت له وهي تؤشر نحو الشجرة.

ـ أنظر أليست مفاجأة جميلة؟ هل كنت تتوقع وجودها هنا؟
عندما رفع رأسه ونظر الى المكان الذي أشارت اليه أخته أصيب بالدهشة نفسها والذهول عندما رأى مائدة الطعام مفروشة بالطعام. فأفلت يده من قبصة أخته وركض بحركة لاشعورية صوب البقرة، وعندما وصل اليها أحتضنها من رقبتها وأنهال عليها بسيل من القبل واثناء ذلك كانت البقرة تلحس بلسانها ظهره وهي تخور
ـ أوه يا(كلاودي) العزيزة، لقد أفتقدتك كثيراً ، أوه كم أشتقت اليك، سنلعب اليوم في الحقل معاً وأخذك لكي ترتعي من العشب مالذ لك. ثم رفع رأسه الى (تيزا) وقال لها في محاولة منه لارأحتها :ـ
ـ الاترين ان الوضع الآن أفضل بوجود (كلاودي)؟
فردت عليه (كاثرين) التي لحقت بهما :ـ
ـ هل أسعدتك رؤية (كلاودي)، انظر كم تحبك والدتي فقد جلبتها خصيصاً لك. لم يجبها (دان) بشيء وإنما أطرق رأسه الى الاسفل وأبتسم بإذلال. وتبع حضنه وتقبيله للبقرة، ثم تذكر أمه وأباه وماألت اليه الاحوال في قريتهم ولكنهم لم يرغب أن يظهر ذلك لاختيه لانه شعر بانه سيكون مصدراً لآلامها ومضايقتهما.

خلف المخزن وعلى مسافة ليست بعيدة كان هناك عدد من المستنقعات المغمورة بالمياه بنسبة مرتفعة، وصخور الجلمود الكبيرة تتناثر هنا وهناك، وعلى أطرافها تجمعت نباتات السرخس والاعشاب ونباتات الجولق والعليق وفي طرف آخر من الحقل تناثرت شجيرات التوت البري الكثيفة الاغصان والمتوسطة الارتفاع، المحملة بثمار التوت التي تتلامع تحت ضوء الشمس والمتنفخة بلونها الارجواني الذي يدل على ان وقت قطافها قد حان. وكانت أسراب الغربان السود تحط وتحلق من شجرة الى أخرى وعلى منحدر بسيط من المخزن كانت تجري ساقية من الماء الصافي والتي أعتمد عليها الاطفال في غسيلهم وطهوهم وجميع استعمالاتهم اليومية. وفي منطقة واسعة نوعاً ما كان جذع شجرة مقتطع وملقى بشكل عرضي يستخدم للعبور من أحدى جهتي الساقية الى الاخرى وبعد أن تتابع الساقية جريانها متقاذفة من صخرة الى اخرى وتصب أخيراً في واد منخفض في النهر الذي يؤدي الى قريتهم وهذا النهر ليس غريباً عليهم، نعم يعرفونه جيداً منذ كانوا في القرية حيث يلعبون مع أهلهم وأصاقائهم

قربه .

تراكض الاطفال جميعهم الى أن وصلوا الى ضفة النهر. عرفت (تيزا) من مائه بكلتا يديها وألقت بها بوجه أخيها في مداعبة منها له، فأرتعب وأصابه الذعر لانها كانت حركة مفاجئة وكذلك لان ماء الساقية كان بارداً.

فأبعد وجهه عنها بحركة غير أرادية، ثم قفز وبدأ يركض من صخرة الى أخرى وأختاه تحاولان اللحاق به ولكنه كان خفيفاً، يقفز بين الصخور والاعشاب كأرنب بري خفيف الحركة.

وبعد عبث ولعب دام طويلاً، استلقى الاطفال جميعهم على العشب وهم مستغرقين بالضحك والصراخ. وبعد دقائق قليلة نهض (دان) من على العشب وتوجه الى أشجار التوت البري وعاد الى أختيه وكانت يداه محملتين بثمار التوت الارجوانية اللون وفمه ملطخاً بطبقة الثمار الحمراء، وخده منتفخاً قليلاً لانه كان محشواً بكمية كبيرة من الثمار. عندما رأته (تيزا) بهذا المنظر أرتعبت وظنت أن مكروهاً قد أصابه، ولكنها أرتاحت قليلاً عندما نزلت بنظرها الى يديه ووجهت له كلاماً قاسياً وهي تلومه وتوبخه بكلامها ونظراتها :-

ـ ماهذا. . . مالذي تحمله بيدك. . . والذي تحشو به فمك؟!!

وقبـل أن تكمـل كلامهـا مد يديـه الى الامام فاتحاً أياها حيث استقـرت حبـات التـوت الاحمـر المهـروسـة مع بعضهـا، فسألتـه (كـاثـرين) بصوت لايخلوسن الدهشة والمصحوب بنظرات الاستغراب:ـ

ـ من أين لك هذه الثمار؟!

ولكنه لم ينبس بحرف رداً على تساؤلها وإنما اكتفى فقط بأنـه حول يديـه وهمـا مفتوحتان الى أخته الكبرى. بعد فتـرة صمت سادت بينهم تنـاول الجميـع مابيـده وبدأوا يهرسونها بين أسنانهم ولم يسمع حينها غير صوت طقطقة الثمـار. كانـوا يتنـاولـون الثمـار بنهم وشراهة لذلك فقد أنسـاب العصيـر على جانبين أفواههـم. فقال (دان) وهو يأكل بعضاً منها:ـ

ـ على مقـربـة من هذا الحقـل توجـد مجموعة كبيرة من الاشجـار الكثيفـة الاغصـان والمحملة بمثل هذه الثمار الناضجة والمنتفخة. يمكننا الذهاب الى هناك واقتطاف المزيد منها اذا أردتما أنه أدلكما عليها.

وقـد راقت هذه الفكـرة لـ (كـاثـرين) وردت على كلامـه

بمسؤولية وبعد تفكير عميق :ـ

ـ انهـا فكـرة رائعـة ولو كانت والدتي هنا فأنها من المؤكد تفضل أن نأكل الثمار الخضراء منها والتي لم تنضج بعد تماماً .

بدأت (كاثرين) تفكر وكأنها ربة البيت وكيف يمكنها أن تدبر أمورها وتنظم تناول الخضر والفاكهة من دون أن تخسر شيئاً وفكـرت ان يتنـاولـوا في البـدايـة الفـاكهـة والخضـار المصـابـة قليـلاً والتي لاتحتمـل البقـاء مدة طويلة . . . ثم يأكلون اللحوم . . . وبعدها الخبز والجبن وهكـذا الا أن تنتهي الكمية المخزونة لديهم من حبوب وفاكهة وخضر. كانت (كاثرين) تفكر بحكنة أمها بجلبها جميـع الثمـار غيـر ناضجـة من أجـل هذا الغـرض .

ولاحظت وجـود جرة خزفيـة موضـوعـة فوق العـارضـة الخشبيـة يمكنهم أن يجلبـوا بهـا المـاء من السـاقيـة أو يملأون بهـا الحليب الفـائض عن حاجتهم بهـا ، ولكنها تراجعت عن هذه الفكـرة لتخـوفهـا من أن هذه الجـرة الجـراثيم ويـرقـات الـديـدان . وقد جذب انتباهها منظر أخيهـا الـذي أتجـه صوب الجـرة مليئـة وهَمّ بحملهـا فصرخت به موبخة أياه ومحذرة :ـ

ـ لاتمس هذه الجـرة فقـد تكـون حاملة للجـراثيم ، ماذا تنوي ان تفعل بها!!؟

ـ أريد أن أملأها بالمزيد من ثمار التوت لكي نأكلها في وقت آخر.

ـ ألم تشبـع من التـوت ، فاذا استمـريت بتنـاولـه بهـذا الشكـل ، فان وجهـك سينتفخ ويصبح لونه أرجوانياً مثل حبـة توت كبيـرة وستصـاب بوعكة وسيكبر أنفك ويصبح مثل جبة توت ناضجة.

لكن (دان) لم يبـال بمـا قالتـه له أختـه وتناول الجرة ووضعهـا فوق المـائدة واتجه الى خارج المخزن لجمع المزيد من الثمار، عندها استدارات (كاثرين) الى أختها وتوجهت اليها بالكلام :ـ

ـ تيزا . . دعينا تحتفظ بالتفاح الى وقت آخر ونبدأ بتاول ثمـار التـوت التي سيحضـرهـا (دان) فهزت (تيزا) رأسها تأييـداً بالفكـرة التي طرحتهـا أختهـا ومن دون أن تجيب بشيء أتجهت الى صنـاديق التفـاح وتبعتهـا (كاثرين) ، وبـدأنـا بمـلء أحـد الصنـاديق الخشبيـة بالقش الـذي سيحفظـون بداخله ثمـار التفـاح ، بحيث تكون الواحدة منهـا بعيـدة عن الآخـرى ومعـزولـة عنهـا بكميـة بسيطة

بسـرعـة. خصصت الفتـاتـان صندوقين لحفظ التفاح. واحـد منهـا تحفـظ الثمـار الخضراء التي يمكن أن تبقى مدة أطول وفي الصندوق الآخر يضـعون الثمار المصابة قليـلاً بطعن أو التي تم نضجهـا بشكـل نهـائي، والتي يتوجب عليهم تناولها قبل غيرها.

كانت الفتـاتـان منهمكين بمـلء الصنـاديق، فكانت مهمة (كاثرين) أن تنتهي من ملء الصندوق الاول ومهمة (تيزا) أن تملأ الصندوق الآخر، فسألت كاثرين أختها قائلة:ـ

ـ بماذا يذكرك هذا الشيء ياتيزا...؟

فهـزت تيـزا كتفيهـا بحـركـة لاتخلو من عدم المبـالاة، وأكملت (كاثرين) كلامها وهي تجيب عن التساؤل الذي طرحته:ـ

ـ إن هذا التفاح المطعون يذكرني كثيراً بالناس المصابين بالوباء في قريتنا والذين تم حجرهم ياعزيزتي؟

ـ استغربت (تيزا) من طريقة تفكير (كاثرين) وكيف تربط بين الاحـداث فردت عليهـا وهي تحاول أن تخفف عنها الالم الذي كانت تحسه وهي تقوم بعملية الفرز هذه:ـ

ـ لاتفكري بهذه الطريقة.. لماذا تربطين هكذا بين

الاحداث؟
ـ الاترين أي تشابه بين الحدثين . . أم أنني مخطئة؟
ثم سكتت قليلاً وعادت تتكلم :ـ
ـ أوه أن أقلب الصندوق المليء بالتفاح المطعونة وأتركه يتدحرج الى الاسفل الى أن يصل الى مجرى النهر لكي نتخلص منه .
ـ لتفعل ذلك (كاثي)* ولكن تذكري ان هذه التفاحات التي تحمل المرض ستقوم بنقله الى بقية الاشجار وتصاب بالمرض، لذلك أنا أفضل أن نبقيها وبذلك نكون قد حافظنا على الكثير من اشجار والفاكهة ومنعنا وباء من الانتشار، تماما كما يفعل أهل القرية وكما فعلت أمنا وجاءت بنا الى هذا الكوخ النائي .

كانت (تيزا) محقة فيما تقوله، وقد أيدتها (كاثرين) بذلك، وهم الآن بأمس الحاجة الى هذه الكمية من الفاكهة التي ستقيهم مدة لابأس بها . لذلك أتفقت البنتان على الاحتفاظ بجميع التفاح والمطعونة وبمعزل عن السليم منه وبتغطيته بطبقة رقيقة من القش وبالضرورة فأنهم سيتخدمونه قبل غيره . بعد أن أكملتا ملء الصناديق بالتفاح فرشتا طبقة رقيقة من القش على

السطح وأغلقتا الصندوقين ودفعاً بهما الى النهاية البعيدة من المخزن والتي لا تصلها الشمس باستمرار.

كانت (كاثرين) مغرمة لدرجة الهوس برائحة التفاح، وهي لاتنساها أبداً فانها تبقى عالقة بخيالها وتذكرها بمنظر التفاح الكبير الذي غالباً ماكان يأتيهم به والدهم فقد كانت رائحته تفوح بالبيت كله، كما امتلأ المخزن بها الآن. شعرت (كاثرين) بنشوة كبيرة لان هذه الرائحة حملتها الى عالم آخر، الى عالمها الخاص بها. . الى ذكرياتها وخيالها عن بيتها ووالدها.

بعد أن أنتهيا من عملهما هذا أندفعت (كاثرين) الى خارج المخزن حيث الطقس دافئاً والشمس مشرقة، فبدأت تخلع ملابسها المبتلة وتنشرها على الأغصان الكثيفة الواطئه لكي تجف. فقد كان اليوم جميلاً بعث البهجة والنشاط في نفوسهم بعد تلك العاصفة والمثلجة التي عايشوها ليلة أمس. أما اليوم فأن النسيم هاديء ويداعبهم برقة وهدوء وهو يحمل معه رائحة أشجار الصنوبر والسرخس من الغابة المجاورة.

بينما كانت (كاثرين) تنشر ملابسها راحت (تيزا) تراقبها من بعيد وتذكرت أمها عندما كانت تعلق الملابس

والشـراشف النظيفة التي تتطاير وترفرف في الهواء وكأنها طيـور مجنحـة كبيرة بيضاء. بعد أن أنتهت (كاثرين) من نشـر ملابسهـا رجعت الى المخـزن، كانت الصنـاديق الفـارغـة أول شيء وقعت عليـه عينـاها عند دخولها الى المخزن، فقد كانت مرفوعة الغطاء. وبدأ تفكيرها يدور حول هذه الصنـاديق ومـاذا سيفعلون بها أو بالاحرى ماذا سيملأونهـا. فقـررت أن تضع في أحدها الحبوب، وفي الآخر تضع اللحم والجبن، أما الثالث فتضع فيه القسم المتبقي من الفـاكهـة المتنـوعـة وبينما هي مستغرقة في تفكيرها سمعت صوت تيزا ينادي عليها:-

- (كاثي)... هل يمكنك أن تأتي الى هنا قليلاً...

كانت (تيزا) تنادي أختها والضحكات تكاد تقطع كلماتها وتفصلهـا عن بعضهـا وهي تتنفس بصعـوبـة، من شدة ماكـانت تضحـك. فور سمـاع (كـاثـرين) صوت أختها أتجهت الى الخارج لترى ماذا تريد منها.. كانت (تيزا) تجـر جذع شجـرة كبيـرة من أسفل المنحنى الى الاعلى وبمسـاعـدة (دان)، رفعت تيزا رأسها الى الاعلى فرأت (كـاثـرين) تقف عنـد باب المخزن ونظرت التساؤل في عينيهـا، فلم تتـرك لهـا مجـالاً لطرح المزيد من الاسئلة

وقالت لها :-
- انظـري ماذا جلبت لنـا ريـاح الليلة المـاضيـة ، فقـد دحرجته الى الاسفل .
ثم أضاف (دان) وهو يلهث :-
- لقـد سحبنـاهـا لعـدة أميال فتعالي وساعدينا يا (كاثي) لاننا متعبان .
فسألتهما (كاثرين) :-
- ولماذا أحضرتما هذا الجزع الى هنا . . ماذا تريدان أن تفعلا به . . والى أي مكان بالتحديد تريدان أن توصلاه؟

كانت كلا من (تيـزا) و(دان) مستغـرقين بالضحـك ، ولم يعيـرا أهميـة لمـا طرحتـه أختها من تساؤلات . فهما كما يبدو ومستمتعان لدرجة كبيرة بهذا العمل الذي تعده (كـاثـرين) عبثـاً فغضبت منهما ، وكذلك فهي تعتقد أن الـوقت والظـروف غيـر مناسبين لمثل هذا التهريج الذي يقـومـان به والقـرية تمر بهذه الازمة ، فلو إنهما فكرا قليلاً بمـا تمـربه قريتهما من أزمة ومايسودها من حزن وألم لما ضحكـا بهـذا القـدر ولكنها كالعادة تراجعت عن فكرتها هذه وقـالت في نفسهـا . . ولمـاذا لايضحكـان ويلعبـان ويشغـلان وقتيهمـا فأنهما في كلا الحالتين لايغيران شيئا

من الـوضـع . اذن لنـدعهمـا في بهجتهمـا وسعادتهما . أوقفت (تيـزا) على أختهـا دوامـة التفكيـر التي أقحمت نفسهـا بهـا، عنـدما أجابتها عن سؤالها . وفضلاً عن إن اجـابتهـا جاءت متأخـرة فهي تحمـل قدراً من اللامبالاة التي تتصف بها (تيزا) :-

- سحبـا هذا الجذع من الاسفل لكي ندخله الى الكوخ فساعدينا أنت لكي نفعل ذلك . لكن (كاثرين) لم تفعل شيئـاً سوى أن وقفت واضعـة أحـدى يديهـا على البـاب واليـد الاخـرى كانت تضعهـا على خصـرها وهي بذلك أرادت أن تمنعهـا من الدخول بهذا الجذع الى المخزن لأنـه ربمـا يحمـل الجراثيم . اذن هي تفعل ذلك حماية لاخويها وللمخزن ولنفسها أيضاً فتصدت لهما بعنف قائلة :-

- نحن لانحتـاج اليـه داخـل المخزن ، فلدينا مايكفينا ، أليس كذلك؟

فردت عليها (تيزا) عيناها متوجهتان الى (دان) :-

- لاأعتقـد ذلـك فنحن نحتـاج الى شيء للجلوس عليـه وهذا الجذع مناسب جداً أليس كذلك يا (دان)؟

فردت عليها (كاثرين) :-

- ولكن نحن لدينا القش لكي نجلس عليه ولدينا الكثير منه.

فتوسلت (تيزا) أخيراً، في محاولة منها لاقناعها: -

- يجب ان يكون لدينا مثل هذا الجذع لكي نجلس عليه عندما نتناول طعامنا، أو نتحدث أو نفكر أفضل من الجلوس على القش، ثم أنه جميل وبه سيبدو المخزن اكثر جمالاً وألفة، أرجوك، لاتمانعي يا (كاثي) ثم انني لااجد سبباً لممانعتك قالت: : تيزا بحماس مما دفع كاثرين للاستغراق في الضحك لمنظر أختها وهي تتكلم هكذا وبالفعل فقد رفعت يدها عن الباب وسمحت لهما بادخاله الى المخزن، فغمرتهما فرحة كبيرة وهما يدفعانه بسرعة الى الداخل من احدى نهايته بحيث كانت مقدمته عند باب المخزن. تفحصت (كاثرين) الجذع بعينها، ورأته شيئاً جميلاً كما قالت أختها، وهم يحتاجون اليه وبه انتفاخ بسيط مما يعطيه جمالاً إكثر. بدأت (كاثرين) تساعدهما في دفعه الى الداخل.

وضعوا الجذع قرب مائدة الطعام، جلست (تيزا) وأخوها (دان) عليه وأرخيا ساقيهما الى الاسفل وهما يمرجحانهما يميناً وشمالاً من شدة فرحهما بما قاما به

فتنهد (دان) قائلاً :ـ
ـ إنه جيد ومريح للجلوس عليه .
ثم رفع ساقيه الى الاعلى واستدار جانباً حيث مدد ساقية عليه لكي يرتاح من شدة التعب والاعياء، تماماً كما كان يفعـل والـده عنـدما يعود من الحقل بعد يوم عمل شاق . يبـد وعليـه إنـه مرتاحاً جداً في جلسته وكأنه كان يخطط لذلك قبل أن يجلبه، أوكأنه يعرف مسبقاً ان هذا الجذع سيكـون مفيـداً ومـريحـاً للغـاية . ثم أردفت (تيزا) جواباً على كلام (دان) :ـ
ـ بأمكـان الواحد منا الجلوس عليه للراحة أو التفكير بعد يوم عمل شاق. تعالي يا (كاثرين) وجربي مثلنا الجلوس عليـه، وستـرين كم هومريـح وستضطـرين كلمـا أردتِ

التفكيـر أن تجلسي عليه. بالفعل فقد أقتنعت (كاثرين) بكلام أختها وجربت الجلوس في الوسط بينهما وبعد أن جلست وأحست بالراحة عبرت عن اعجابها به :ـ
ـ بالـفعــل انـــه جذع شجــرة خصص للجلوس عليـــه والتفكير، ولكن يجب أن لايستخدم للتفكير في الاشياء غيـر المفـرحة والتي تجلب النحس وعندما يحدث وتطرأ ببـال أحـدنـا فكـرة غيرمجدية ممكن أن تتعبه فيجب أن

يشغل نفسه بعمل أي شيء. ولكنها غيرت مجرى الحديث بصورة مفاجئة ودفعت (دان) من على جذع الشجرة وأوقعته أرضاً حيث لاحظت أنه كان منشغلاً عنهما بالتفكير وقالت:-

- تستطيع أن تجرب ذلك بنفسك يا (دان). وأحضر لنا قليلاً من ثمار التوت التي أقتطفتها وقليلاً من الخبز الذي أحضرته الوالدة، ثم أخرج وأملأ لنا بعضٍ من ماء الساقية لكي نتناول وجبة ممتعة مع بعضنا ونحن جالسين على هذا الجذع.

وعلى الرغم من انها وجبه بسيطة ولكنها كافية لكي يسدوا رمقهم وجوعهم. كان الخبز مايزال بحالة جيدة ويمكنهم أن يستمتعوا بأكله فكل ماتصنعه والدتهم جيد ولذيذ. كان مذاق هذا الخبز لذيذاً وحلواً لان أمهم صنعته لهم من الشعير، ولكنه يتبس قليلاً لانهم لم يعثروا على مكانه منذ أحضرته الوالدة في ذلك الصباح. بدا عليهم القلق وهم يتناولون هذا الخبز خوفاً من تلوثه بالجراثيم والوباء.

لم يجرؤ الاطفال على فتح صرة القماش التي جلبتها لهم والدتهم من القرية ولكنهم فكروا هذه اللحظة

بفتحهـا فقـد يوجـد بداخلهـا شيء يفيـدهم . انـه ليس تخميناً فقط وانما شيء أكيد أن تحتوي هذه الصرة على الشيء الذي يحتاجونه في مثل هذه الظروف . وعلى كل حال فهي على أقـل تقـديـر تحتـوي على شيء يذكرهم ببيتهم وأبيهم وأمهم . كانت هذه خطـوة جريئـة ومخيفـة في الـوقت نفسـه ، ولكن لم تر (كـاثـرين) بدا من فتحها ورؤيـة مابـداخلها . وعلى الرغم من تخوفها وحذرها فقد شجعتهما على فتحها :-

- هلمـا . . تعـالا . . ولاتتخـوفـا من شيء . هيـا نفتحها ونـرى مابـداخلها ، فنحن يجب أن نفعل ذلك أن عاجلاً أم أجلاً ، ليس لنا مهرب من ذلك وسنقوم بذلك بحذر كبير .

وقفت (تيزا) في مكانها ، أما (دان) فما كان منه الا أن تقـدم مع (كاثرين) لفتحها ولكنهما كان حذرين جداً ان لايمسـاهـا بيـديهمـا . وبعد تفكير أخذ منهما الكثير من الـوقت قررا استخـدام العصـا . فقـد تحركت (كاثرين) صوب جذع الشجرة التي جلبوها واقتطعت غصناً صغيراً يابسـاً وأستخـدمته لفتح العقدة التي تربط أعلى الصرة ، فانـفـتـحـت الصـــرة وانفـــرشت قطعـــة القمـــاش على

الجـوانب. والآن وقـد أصبحت محتـويـات الصـرة مكشوفة، أصبح بأمكانهم أن يتناولوها بأيديهم.

عدد من البسـط الصغيـرة الحجم التي يمكنهم أن يستخـدمـوهـا للنـوم، ودلـو الحليب الـذي يجمعون به حليب (كـلاودي) عنـد حلبهـا وبـداخله يوجـد عدد من الـزبـادي بدلاً عن الاكواب وأبريق صغير ولوح خشبي صغيـر للكتـابـة عليـه والمشكـاة وعدد من الشموع لكي ينيروا بها المخزن، وكذلك الكتاب المقدس الذي يعود لعـائلتهم كان ملفـوفاً بقطعة نظيفة من الملابس. كانت هذه جميعهـا محتـويـات الصرة والتي تمكنهم من البقاء داخل المخزن مدة من الزمن طويلة.

فرح الاطفـال كثيـراً بهـذه الاشيـاء التي أحضـرتهـا والـداتهم، كانت جميعهـاً ضروريـة وستقـوم (كـاثرين) بقـراءتـه وهمـا يستمعـان اليهـا باصغاء وانشداد تامين. كذلـك فان الاختين ستقـومان بتعليمه الاحرف والتدرب عليها باستخدام اللوح الخشبي الصغير.

تنـاولـوا السجادة الصغيرة ومدوها على الارض، كان جانبهـا مهتـرئـاً قليـلاً وقد خاطته أمهم بمهارتها. جلسوا جميعـاً على السجـادة وكانوا مستمتعين بتصفح الكتاب

المقدس وقراءة مابه، وعندما وصلت (كاثرين) الى جزء معين من النص تذكروا جميعاً صوت أبيهم عندما كان يقرأ لهم يستمعون اليه. كانت يداه تمران بكل رقة فوق الاوراق وصوته ينساب على مسامعهم بهدوء واجلال عميقين. كان ضوء بيتهم ضعيفاً جداً بحيث يتوجب عليه أن يميل رأسه قليلاً قرب الشمعة لكي يتمكن من الرؤية على نحو أفضل.

بعد أن أنتهى الاطفال من القراءة بدأوا بتوزيع الحاجات الموجودة داخل الصرة كلا في المكان المناسب له. فوضعوا السجادات الصغيرة فوق كومة القش ودلو الحليب والزبادي فوق أحد الصناديق، والخبز وضعوه في الصندوق الذي يضم الحبوب.

حملت (كاثرين) المشكاة وبداخلها شمعة ووضعتها فوق مائدة الطعام والتفتت الى (دان) وقالت له:

ـ هذه الشمعة ثمينة جداً، واذا انتهى لهيبها وخمدت يجب أن نحاول اشعالها مرة أخرى حتى لا نضطر للجلوس في العتمة التي ستبعث بداخلنا أحساساً بالوحشة والضجر لذلك يجب ان تعداني بأن تفكرا معي بطريقة لاعادة اشعالها مرة ثانية.

فرد عليها قائلاً بخشوع وأحترام :.

ـ بالنسبة لي سأساعدك بذلك ، وسأحاول قدر استطاعتي أن لاأدع لهيبها يخمد. قال (دان) ذلك وكله ثقة ويقين بأن بقاء الشمعة ضروري بالنسبة لهم جميعاً فهي التي تغمرهم بدفئها ونورها وتذهب عنهم وحشة الظلمة والعتمة في هذا المكان. وضعت (كاثرين) الشمعة بعد أن أشعلتها بداخل المشكاة لكي لاتنطفأ. وتذكرت حينها التوت الذي جمعته ووضعته فوق باب المخزن اعتقاداً منها أنه يطرد الارواح ويبعدها عنهم. وقد فعلت ذلك من دون علم كل من (دان) و(تيزا) حتى لا يصابا بالقلق والخوف اذا علما بوجود أرواح شريرة في الغابة.

بدأت (كاثرين) بعمل فتيل من عيدان القش اليابسة، بلفها مع بعضها بين راحتي كفيها وبعد أن تنتهي من صنع الفتيل بطول مناسب تبدأ باحاطته بماد الشمع المذاب حتى يتمكنوا من استخدامه بعد نفاذ الشمعة. كانت (كاثرين) تقوم بهذا العمل وهي خارج المخزن حيث تجلس على العشب وتمد ساقيها الى الامام وتبدأ بالعمل، فيتبعها كل من (تيزا) و(دان) وينظران اليها بكل هدوء ومن دون أي تعليق. كما كانت

هي منهمكـة بثقـل عيـدان القش، كانـا همـا منهمكين بمراقبتها. وبعد أن أنتهت من عملها أشعلت أحد طرفي الفتيـل الـذي بدأ يحتـرق ببطء ولكن من دون لهب لانه كان رفيعاً جداً.

لذع الـدخـان الـذي خرج من الفتيـل عيونهم وجعل الـدمـع يسيـل منهـا، ولكنهم على الـرغم من ذلـك لم يتحـركـوا من مكـانهم ولم يكفـوا عن مراقبـة اشتعـاله.

ففكـرت (كاثرين) بالدخول الى المخزن حتى يتخلصوا من الـدخـان وفعلت ماخطـر ببالها من غير أن تأخذ برأي أخيهـا أو أختهـا. وبقيت (كـاثـرين) تحمل الشمعة في يدها الى أن استقروا جميعاً داخل المخزن. وفجأة وقبل أن يجلسـوا على الارض، أنـدلـع من الشمعة لهب كبير أثـار الفـزع في نفـوسهم جميعـاً لانـه كان شيئـاً مفـاجئاً وخصـوصـاً بالنسبـة لـ (كـاثـرين) لانهـا لم تتمكن من السيطـرة على يديهـا فألقت بالشمعـة أرضـاً، فلامست طرف السجـادة الممـدودة على الارض والتي اشتعلت بسرعة كبيرة لانها كانت مصنوعة من الصوف وبدأت النار تدب في العيـدان اليـابسـة وكـومـة القش الى أن بدأت تقتـرب من الاعمـدة الخشبيـة، فتنـاولت (كـاثـرين)

البطـانيـات والسجادات الصغيرة وألقت ببعضها الى كل، من (تيـزا) و(دان) وطلبت منهمـا أن يخمـدا بهـا النيران حتى يتمكنوا من السيطرة عليها وبعد تعب ورعب سيطر على أجسـادهم تمكن الاطفال من السيطرة على النيران والتقليل من شدتها شيئاً فشيئاً، الى أن تمكنوا أخيراً من أخمادها.

سيطـر دخـان كثيف على المكـان وانتشـر في جميـع أركـانـه، بحيث لم يستطيعـوا رؤيـة بعضهم البعض، وكـذلـك فان عيـونهم أغـرورقت بالدمع الذي لم ينقطع مدة طويلة وتفـاقم بداخلهم الشعـور بالخـوف والحـزن لانهم فقدوا سجادة هم بأمس الحاجة لها، عندها قالت (تيزا) بصوت حزين وكأنها أمرأة كهلة ومتعبة جداً:ـ

ـ لماذا ياربي تحترق هذه السجادة وبمثل هذه الطريقة...

وعندما لاحظت (تيزا) الحزن في عيني أختها حاولت أن تضحكهـا قليلاً وهي ترثي لحال السجادة وحولت صوتها لصوت أمرأة عجوز:ـ

ـ مسكينـة هذه السجـادة، ماالـذنب الـذي أقترفته لكي تحتـرق بهـذه الطـريقـة البشعة، لقد جعلت قلبي ينفطر

عليها حزناً وألماً.

ولكنهـا على الرغم محاولتها هذه لم تتمكن من رسم البسمـة على شفتي (كـاثـرين). وتمكن (دان) أخيراً أن ينتشلهـا من عالمهـا الحـزين والكئيب الذي كان يسيطر عليها تماماً. فراح يداعبها بحركاته الطفولية البريئة، الى أن أبتسمت. ثم تذكـر ان الـوجبـة الاخيـرة التي تناولوها مضى عليهـا وقت طويل، وهويحس بأمعائه تعتصره من الجـوع على الـرغم من أنه لايتوقف عن الاكل ومع ذلك فانه يشعر دائماً بالجوع، فأقترح عليهما بأن يبدأ باحضار وجبة طعام :ـ

ـ لمـاذا لانشعـل قليـلاً من العيـدان والاغصـان اليابسة ونشوي عليها حبات البطاطا.

راقت فكرة شي البطاطا كلا من أختيه واتجهوا خارج المخـزن لجمـع عدد من الحصى والاحجـار الصغيـرة الملقاة هنا وهناك ليعملوا منها سوراً مدوراً واطئاً بما يشبه جوانب المـوقـد، وعليهم كذلـك أن يجمعوا كمية كبيرة من عيدان القش والاغصـان اليـابسـة. كان هذا الشيء مسليـاً بالنسبـة لهم لانهم استطـاعـوا ان يجـدوا شيئاً ما يشغلون به أنفسهم. ذهب كل منهم في جهة بعيدة عن

الآخـرة وبعـد مدة من الـزمن عادوا بكمية لابأس بها من العيدان والاغصان الجافة تمكنهم من ابقاء النار مشتعلة مدة لابأس بها. قسم كبير من القش الذي أحضروه جاؤا به من حظيـرة الـدواجن التي تقـع خلف المخـزن. ثم ركض (دان) الـى الـمـخــزن وجلب ثلاث حبـات من البطاطا وغسلتها (كاثرين) جيداً بماء الساقية ثم وضعوها داخل النيران فوق الصخور لكي ترتفع قليلاً عن الارض ولاتحتــرق. كان هذا المنظـر يذكـر (دان) بصـديقـه (حكيم) فقد كان يفعل ذلك عندما يشوي وجبة من الذرة الذهبية الون.

بعـد أن نضجت حبـات البطاطا جيداً، تناولها (دان) من على النـار فاكتـوت يداه من حرارتهـا وبمجرد أن قام برفـع القشـرة السـوداء حتى ذابت بيده البطاطا الناضجة الصفـراء اللون، لان النـار كانت قد أنضجتهـا كثيـراً، وتصـاعـد منهـا بخـار مملؤ برائحـة الشواء اللذيذة. ولم يتمكن الاطفــال من الانتظـار اكثـر من ذلـك، حيث ان لعـابهم سال بمجـرد ان شمـوا الرائحة، فتناولوها وبدأوا بالتهـامهـا وقد احترقت شفاههم من شدة حرارتها ولكنها على الـرغم من ذلـك فقد كانت وجبة لذيذة بالنسبة لهم

وجديدة لان أمهم لم تصنع لهم مثيلها من قبل.
لاحظ الاطفال أن النار بدأ يخف لهيبها فهموا جميعهم لجمع المزيد من العيدان والاغصان اليابسة لكي يزودوها بها وكانوا في غضون ذلك يدفئون أيديهم ووجوههم وهم مستمتعين بصوت طقطقة العيدان وهي تتكسر وتحترق وبالدفء الذي كانت تمنحهم أياه ولكن (تيزا) تذكرت ان لديها عملها المفضل الذي يجب أن تقوم به الا وهو حلب البقرة فتوجهت الى المخزن وجلبت الدلو الذي أحضرته أمهم لهذا الغرض ثم ذهبت الى (كلاودي) وبدأت بعملها وهي تخاطبها :-
- تعالي ياصديقتي . . . فالوقت الآن لنا أنا وأنت فقط .

ثم نظرت حولها فوجدت صخرة متوسطة الحجم يمكنها ان تقتعدها فتوجهت اليها وأحضرتها بعد أن وضعت دلو الحليب تحت ثدي البقرة وعادت (تيزا) حاملة بيدها الصخرة و وضعتها أمام الدلو في مكان يمكنها من القيام بعملها وهي مرتاحة. بعد أن أستقرت بدأت بحلب البقرة وتفريغ مابثديها من حليب بحركة سريعة من الاعلى الى الاسفل، الى أن بدأ الحليب بالنزول وبغزارة وراحت تغني للبقرة اغنيتها التي اعتادت دوما أن

تغنيها لها وهي تحلبها :ـ

ـ أدور . . وأسحب

أبرم . . وأسحب

الى أن يمتلىء دلونا بالحليب

. . . .

أدور . . . وأسحب

أبرم . . . وأسحب

الى أن يمتلىء دلونا بالحليب

وبعـد أن أكملت حلب البقـرة وضعت رأسهـا بين طيـات جلدهـا الابيض الـدافىء، وهي تحـرك رأسهـا ويديها عليها وهي ماتزال مستمرة في غنائها .

تشعـر (تيـزا) بسعـادة كبيـرة وهي تحلب (كـلاودي) لذلـك كانت تغني لهـا وتـداعبها وكأنها تداعب (دان) أو أحدى صديقاتها . بعد أن أكملت عملها وملأت دلوا من الحليب ، أخـذت بقـرتهـا وربطتهـا في مكـان آخر عند شجـرة أخـرى حيث العشب أوفـر هناك . بعد أن ربطتها ذهبت الى المخـزن لكي تحضـر الـزبـادي والابـريق وعـادت أيضـا بقطعة قماش رقيقة ونظيفة لكي ترشح بها الحليب كمـا كانت تفعـل ذلك . وضعت قطعة القماش

فوق الابـريق وشـدتهـا من جميـع جوانبها وبدأت تغرف الحليب من الـدلـو بوسـاطة أحدى الزبادي وتسكبه فوق قطعة القماش الى أن امتلأ الابريق . ثم وزعت الحليب من الابـريق على الـزبـادي الثـلاثـة واحدة بعد الاخرى غطت سطح الحليب طبقـة من الزبدة الصفراء لانه كان دافئـاً كدفـء جلد البقـرة الـذي أنـدفـع منـه لذلـك فقد استمتع الاطفال بشربه .

بعـد هذه الـوجبة اللذيذة استلقت (تيزا) على ظهرها مستمتعة بدفـء الشمس وزقزقة العصافير المتجمعة على الاشجار، يبدو انها قامت هذا اليوم بمجهود أتعبها قليلاً لذلك فقد خلدت قليلاً للراحة . أما (كاثرين) فقد بدأت بتنظيف الـزبـادي وقطعـة القمـاش بمـاء السـاقيـة لكي

تحملها الى الداخل، فيما راح (دان) بجمع المزيد من العيـدان والاغصـان غيـر الجـافـة لكي يجففـوهـا ويستخـدمـوهـا في الايام المقبلة . ومان يقترب من ثمار التوت حتى يسمـح لنفسه بالبعض منها وكأنها مكافأة له على مايقـوم به من عمـل . فعاد ويداه محملتان بالعيدان والاغصان ومعدته تكاد تنفجر من كثرة ماتناول من التوت .

-بعد أن أنتهت (كاثرين) من ادخال جميع القطع التي استخـدموها، عادت واستلقت بجانب (تيزا) التي كانت تسترجع طعم البطاطا المشوية فهمست لأختها:ـ

ـ لقد كانت وجبة لذيذة. . أليس كذلك يا (كاثي)؟

فردت عليها (كاثرين):ـ

ـ أوه انهـا لذيـذة جداً فلم يسبق أن تنـاولت وجبـة لذيذة كهذه من قبل.

ـ يجب ان نطلب من والـدتي ان تفعـل لنـا مثلهـا عنـد عودتنا للقرية فهي لم يسبق لها أن فعلت مثلها .

ان هذا الموسم هو الاول بالنسبة للبطاطا لانها تزرع للمـرة الاولى وبـالاخص في هذه الـرقعـة من (انكلتـرا) لذلـك بدت وكأنهـا غريبـة كذلـك فقـد أنتاب (كاثرين) شعـور غريب عنـد رؤيتهـا حبات البطاطا مع أنواع أخرى من الجذريات مثل اللفت والشوندر والجزر.

مضى زمنت طويـل على استلقـائهمـا بهذا الشكل.

كانت النـار قد خمدت نهائياً وتحولت الى رماد وا!ختفى معهـا صوت تكسـر العيـدان وطقطقتها. لم يبق منها غير الـدخـان الـرمـادي الـذي كان ينبعث بكثـافـة. كانت الـشـمس تشـارف على الـمـغـيب وهي تسحب آخـر

خيوطها، ليحل محلها ظلام بسيط . . أخذ يتكاثف شيئاً فشيئاً مما يبث في (تيزا) شعوراً بالحزن والكآبة فقالت :ـ

ـ كيف قضينا يومنا هنا، عندما استيقظت كانت لدى رغبة قويـــة أن أبقى مستلقيـة على القش ولاأفعـل أي شيء، ولكن يبدو اننا كنا منشغلين جداً بحيث نسيت حتى هذه الرغبة البسيطة .

ومـــاأن أكملت كلامهـــا حتى أجهشت بالبكـاء وأخفت وجههـا بين يديها فراحت (كاثرين) تخفف عنها وتحاول بعث الراحة في نفسها :ـ

ـ حسناً مافعلت يجب على كل منا أن يشغل نفسه بعمل شيء ما عندما يشعر بالحزن يداهمه، كما قالت والدتي «اشغلوا أنفسكم بعمل أي شيء حتى لاتشعرون بالفراغ والملل». ونحن يجب ان نعمـل يومياً حتى لانضجر من جلوسنا ونبدأ بالتفكير بالاجدى .

فرد عليها (دان) متوسلاً أيا :ـ

ـ ولكن ليس غداً فأن أريـــد أن ألعب لانني أعتقـــد اننـا عملنا بمافيه الكفاية هذا اليوم، ونستطيع أن نعد يوم غد للراحة واللعب .

فردت عليه (كاثرين) :ـ

ـ لجمع المزيد من التوت، . . . أليس كذلك؟
فرد عليها (دان) :ـ
ـ أنا لاأحب التوت، كما تتصورين فأنت تبالغين.
ـ اذن (دان) سيكـون عملنـا ليـوم غد هوجمـع العيـدان والاغصان لكي نجففها ونستخدمها فيما بعد.
فأيدتها (تيزا) موجهة كلامها الى [دان) :ـ
ـ هذا جيــد سيكـون عملنـا ليـوم غد هوجمـع الخشب والعيدان للتدفئة والطهي . . لاتنسي يا(دان).
شعر الأطفال بشيء من البرد لأن الشمس غابتهوالنار انطفأت نهـائيـاً ونسمـات رقيقـة تحمـل لسعة خفيفة من البــرد راحت تداعب أبــدانهم. في هذه الحــالـة كان المخـزن هو الملجأ الـوحيد الذي لديهم. وهذا ماقام به الاطفال، حيث توجهوا جميعاً الى المخزن، الذي كان منـاراً بوسـاطـة الشمعـة التي بعثت به قليـلاً من الدفء الذي يلتمسه الاطفال كانوا متعبين من يوم عملهم الشاق هذا فمـا كان من (دان) الا أن توجـه الى كومــة القش وتمـدد عليهـا بعـد أن لف نفسه بالبطانية بحيث لم يظهر منه الا رأسها، وكعادته وضع أصبعه في فمه وبدأ يمص به ولم تمض دقــائق حتى كان غارقــاً في نوم عميق أمـا

(تيزا) فقد توجهت الى كومة القش واستلقت عليها جوار أخيها واستسلمت هي الاخرى في نوم عميق.

لكن (كاثرين) لم تتمكن من النوم على الرغم من انها كها الشديد، فجلست تفكر على جذع الشجرة الذي جاء به مؤخراً (دان) و (تيزا) والتي سموها صخرة التفكير.

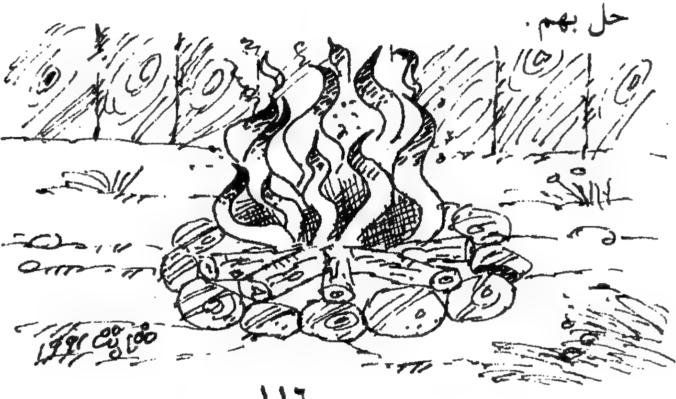
استغرقت في تفكيرها مدة ليست بالقصيرة لم تغمض اثناءها عيناها، وانما راحت تنظر الى لهب الشمعة وهو يتراقص ثم حولت نظرها الى الظل الذي يمكنه هذا الشمعة على جميع جدران المخزن والعوارض الخشبية والسقف.

كان تفكيرها منصباً حول الكلام الذي قالته (تيزا) نهار هذا اليوم عندما كانوا جالسين قرب النار. نعم لقد كانت (تيزا) محقة في تفكيرها فقد انتهى هذا اليوم على ما يرام واستمتع الاطفال به كثيراً، ولكن ماذا بعد ذلك.. ماذا سيفعلون غداً وبعده.. هل سيعوضهم المخزن عن بيتهم الذي كانوا يعيشون فيه... والى متى سيبقون فيه... وهل يستطيعون تكييف أنفسهم مع الطقس والظروف، وراحت تكلم نفسها من دون أن تعي

ذلك :ـ

ـ الذي نبغيه جميعاً هو العودة وفي الحال الى بيتنا بعد أن يكـون شبـح الطـاعـون قد انـزاح عن قريتنا ، ويجب أن نتحمـل كل مايحـدث لنـا ، بالطبع سنقاسي كثيراً ولكن هذا شيء بسيط بالنسبة لمايقاسيه أهالي القرية هناك .

أفكـار كثيـرة وذكـريـات مؤلمة دارت بتفكيرها ، ومر أمام عينها منظر أمها ورباطة جأشها عندما تركتهم وعادت الى القـريـة وتـذكـرت كذلك الوعد الذي قطعته على نفسها أمـام والدتها بأن يعتمدوا على أنفسهم وأن تعتني بأخيها وأختها وأن لايسمحوا لاحد بالدخول عليهم أيا كان هذا الشخص وكـانت تبتهـل الى ربهـا أن يقـوي من أرادتها ويحميهم جميعـا ويخلص أهـل قريتهـا من الوباء الذي حل بهم .





ظهور الشبح

في تلك الليلة استيقـظ (دان) فزعـاً اثر سماعه صوت فرقعة أو خشـخشـة في القش نتيجـة حركـة شيء ما بداخله. تلبده رعب شديد وشل حركة جسده فبقي ساكناً في مكانه من دون حراك. لم يتحرك اي عضو في جسـده حتى عينـاه كانتـا شاخصتين في السقف تـترقبان حركـة الخيال الذي يعكسه لهيب الشمعة دار برأسه الى

الجـانب لكي يرى ماهـو مصدر هذا الصوت ، لكنه ومن دون وعي منـه رفـع جسده قليلاً وكانت عيناه تكبران شيئاً فشيئاً ، استند على أحد مرفقيه ، لكنه لم يتمكن من رؤية ذلـك الشبـح الـذي اعتقد بوجوده فقد راوده شك كبير أو ربمـا فكـرة جريئة بوجود شبح انه الصوت صادر من كومة القش التي يفتـرشهـا هو واختـاه وعنـدمـا وصل الى هذه النتيجة اقشعر جسده وارتعدت أوصاله هلعاً .

عاودته الآم في معدته كادت امعاؤه تتلوى وتتقطع من شدة الالـم لانـه اكثـر من أكـل ثمـار التـوت البـري اثناء النهـار. وهـذه الآلام لابـد من أن تكـون اعراض اسهال حاد في معدته ، فقد هجم عليه مغص حاد ، يجب عليه الآن ان يخـرج خارج المخـزن الى المكـان الـذي دلته عليـه (كـاثـرين) اذا كان يريـد أن يتبـرز أو يتبول ، ولكن فكرة خروجه وحده في هذه الليلة المعتمة الباردة ، زادته خوفـاً وأرتعـاداً لانـه اذا تحـرك فقـد ينتبـه الشبح لوجوده وربما يتبعه وهذه الفكرة هي الاخرى زادته من خوفه .

لـم يفعـل شيئـاً ولم يخـرج لكي يقضي حاجته ، كان مايـزال مستنداً على مرفقه وعيناه مشدودتين ترقبان ظهور الشبـح ومثلهمـا كانت أذنـاه مشـدودتين للصـوت الذي

يصــدر من القش المـوجـود تحت جسده، وحبس صوته ونفســه وخـوفـه بداخله، لكن لم يستطـع السيطـرة على نفسه اكثر من ذلك فصدرت عنه صرخة قوية:

ـ الشبـح . . الشبـح . . أغـرب عني فأنـا لاأخـافك . . أغرب عني انني أحذرك. ركض الشبح فوق الارض فور سمـاعـه صراخ الطفل. كان له وقع أقدام خفيه وهادئة.

لم تكن الصرخة قد افزعت الشبح وانما أيقظت الفتاتين من نومهمـا مذعـورتين تحـدقان بأخيهما، فسألته (تيزا) على الفور وكأنها تريد الاطمئنان عليه:ـ

ـ مالـخطـب يا(دان) . . ماذا حدث لك . . هل حلمت باحلام مرعبة؟

لكنـه لم يجبهـا بحرف واحد وكان يصدر منه فقط صوت الارتجـاف فتنـاول البطانية معه عند كتفيه ولف بها رأسه بحيث لم يبق منـه عاريـاً الا عينـاه وأنفـه وهمس بصوت واطىء جداً:ـ

ـ لقــد أرعبت الشبـح وهـولن يعـاود ثانيـة الى هنـا هل شاهدته عندما جاء؟

فأجابته (تيزا) ورمت بفردة حذائها بعيداً عنها:ـ

ـ أي شبـح ذلـك الذي تتكلم عنه . . هذا الشيء موجود

فقط في أحلامك؟ حاول الرد عليها وكأنه يدافع عن نفسه ويثبت صحة قوله :-

- كنت مستيقظاً لانني كنت أود الذهاب الى خارج المخزن للتبرز فسمعته يتحرك على القش وعندما صرخت عليه خاف وهرب مني ، لقد سمعت صوته صديقني يا (تيزا) .

نهض الاطفال من أسرتهم القشية وأصغوا جيداً لكي يسمعوا الصوت الذي تحدث عنه (دان) . . ولكنهم لم يسمعوا شيئاً لان المكان كان هادئاً ولم يسمعوا أي صوت فقالت له (كاثرين) :-

- اخرج قليلاً لكي تتبرز ثم أرجع ربما تكون قد شعرت بالارتياح وتستطيع النوم بهدوء ودعنا ننام .

أشعلت (كاثرين) شمعة ثانية لكي يأخذها (دان) معه وعندما يعود ستطفئها لكي يحتفظوا بها لوقت الحاجة ، فهم لايعرفون كم سيطول بقاؤهم هنا وان بهم حاجة ماسة للشموع وبعد أن خرج (دان) ومعه الشمعة ، انشغلت (كاثرين) بأحضار ثلاث قطع من الخبز وغمستها في دلو الحليب . كان (دان) مرتاحاً قليلاً عندما عاد لانه بقضائه حاجته ارتاح من المغص الحادة في

أمعائه. أصيب بالبرد قليلاً في غضون وجوده في الخارج لذلك فقد توجيه مباشرة فور عودته الى كومة القش حيث جلست اختاه وحشر نفسه بينهما مثل السمكة محاولا يدفىء نفسه بحرارة جسديهما.

ابتدأت (كاثرين) و(تيزا) بتناول وجبتيهما المسائية المتأخره وأعطته (كاثرين) نصيبه عندما استقر في جلوسه، ثم سألت (تيزا) وهي تلتهم لقمتها :ـ

ـ (كاثي) كم تبقى لدينا من الخبز ياعزيزتي؟؟

ـ الكثير. . فلدينا مايكفي لاسبوعين أوإكثر بقليل . . اذا صح تقديري

ـ وبعد ذلك ماذا سنفعل؟

ـ لاتقلقي ياعزيزتي فلدينا الكيك الذي سيأتي دوره بعد الخبز، انه لذيذ فهو محشو بالفاكهة ونحن لدينا قالبان منه. ثم بعد ذلك الجبن واللحم والبطاطا التي تملك منها الكثير والتي طاب لكم مذاقها وهي مشوية أليس كذلك؟

ـ ولكن ماذا سيحدث اذا لم يتوفر لدينا الخشب الجاف لكي نشوي عليها البطاطا فكل ماجمعناه من جذوع وأغصان الاشجار رطب جداً ولايمكن إضرام النار

بوساطته .
ـ سنأكلها من دون شيء اذا أضطررنا لذلك .
ـ أوه (كاثرين) ماذا تقولين! كيف نأكلها وهي نيه .
ـ أذن لاتسأليني أي شيء لاأريد المزيد من الاسئلة حول ماسيحدث غداً أو بعد غد ، فهذا لن يساعدنا بشيء بل سيزيد من قلقنا وخوفنا بشأن غد وماسيحدث لنا أثناءه أليس كذلك؟ تفكيرنا يجب أن يكون محصوراً في يومنا الذي نحياه وماذا يجب ان نفعل به ، هذا هو المهم فقط ثم عقب (دان) على كلام (كاثرين) وقد شعر قليلاً بالراحة :ـ
ـ أنا أحب اليوم لدرجة كبيرة ، فقد قضيناه بأفضل مما توقعت فردت عليه (تيزا) تمازحه :ـ
ـ وخصوصاً النار التي اضرمناها فقد كانت عملية ممتعة جداً .
ثم رد عليها وصوته يدل على انه قد وضع أصبعه في فمه وراح يمصه كالعادة :ـ
ـ لقد شوينا البطاطا بطريقة رائعة لم يسبق لي ان تذوقتها من قبل هكذا .
وبعد أن أكمل كلامه استلقى على القش وحاول النوم ،

وكذلك فعلت اختاه ولكن لم يتمكن أحدهم من النوم أبداً .
بعد مرور دقائق على استلقائهم ، سمعوا صوت خشخشة بداخل القش
حيث ان شيئا ماكان يتحرك ولكن كما يبدو كان حذرا بحركته حتى لايسمعه أحد. ولكن على الرغم من ذلك فقد كان صوته مسموعاً لهدوء المكان. فتح (دان) عينيه واستدار الى (كاثرين) حيث كانت هي الاخرى قد فتحت عينيها ، وكان في عينيه تساؤل مفاده أسمعت شيئا
أم لاثم استدار بعينيه الى الجهة الاخرى حيث كانت عينا (تيزا) مفتوحتين محملتينبالتساؤل نفسه فهمس لها وبصوت خفيف جداً :ـ
ـ هل سمعت؟ لقد ظهر مرة ثانية؟
ـ فردت عليه بنبرة الصوت نفسها ، شفت بها غليله واكدت له تصديقها لكلامه السابق :ـ
ـ نعم . . لقد سمعت صوته . . انك محق يا (دان) فيما قلته .
فوبختها (كاثرين) على كلامها :ـ
ـ ماذا تقصدان؟ أتقصدان وجود الشبح؟ هذا هراء فانا

لاأصدق بوجوده.
بعث كلام كاثرين الشك فينفس تيزا التي غيرت رايها فورا
ـ ولكن لاأحد يستطيع أن يسمع الاشباح.
فرد عليها (دان) متعجباً من كلامها :ـ
ـ ولكنني سمعت وانت كذلك يا (تيزا)

لم تتوقف الخشخشة بل كانت مستمرة وتدل على حركة معينة. كان الثلاثة مستلقين وعيونهم مفتوحة على اتساعها. ولم يتبادلوا اثناء ذلك الكلام فقد ازداد خوفهم ولم يتمكنوا حتى من التنفس بسهولة، فتلمست (تيزا) يا (دان) وقربت فمها من أذنه وهمست بها :ـ
ـ اسأله أن يذهب ويتركنا.
ـ دعينا نفعل ذلك معاً.
فهزت (تيزا) رأسها موافقة ورفع الاثنان جذعيهما الى الاعلى وصرخا صرخة واحدة :ـ
ـ اذهب عنا أيها الشبح نحن لانخافك.
سمعوا أثر اقدام تعدوعلى أثر صراخهم، ثم قفز(دان) ورمى عنه البطانية التي كان يلف بها نفسه. كان بحركته هذه يشبه الارنب البري الذى يثب من حجره. وركضت

(كاثرين) الى الشمعة الموضوعة داخل المشكاة وتناولتها من جدار الى آخر ومن عمود الى آخر ومن الارض الى السقف، ثم التقطت فردت حذائها ورمتها على احدى الزوايا وقالت لها وكأنها قد فازت

ـ انه ليس شبحاً انه جرذان.

فتناول (دان) بطانية وبدا عليه أنه ارتاح قليلاً وصرخ مبتهجاً :ـ

ـ أوه جرذان، هذا أفضل فقد اعتقدت انه شبح.

اتضح أخيراً ان الصوت لم يكن صوت شبح أو جرذان وانما كان صوت فأر الحقول الذي تسلل الى المخزن

من بين الشقوق لكي يحتمي بدفء القش داخل المخزن هرباً من برودة الطقس في الخارج. هدأ الاطفال جميعهم عندما رأوا حجم الفأر حيث كان صغيراً جداً. فمنظره لم يكن بالشيء الغريب لديهم فهم معتادون على رؤيته وهم على ثقة عالية انه لايحمل أو ينقل الوباء مثل الجرذان.

بقي الاطفال مفتحي الاعين حتى بعد ان تأكدوا من عدم وجود الشبح، وقد بدأ الظلام يتراوح شيئاً فشيئاً ويحل محله ضوء النهار. وبعد قليل كانت أشعة

الشمس تسلل من خلال الثقـوب والشقوق الموجودة في السقف والجـدران، وصـوت تغـريـد العصـافيـر على الاشجار يرن على مسامعهم ويبعث في نفوسهم البهجة والنشـاط. انها دعوة للنشاط وبدء يوم جميل مع الخيوط الاولى لبـزوغ الفجر. . . دعوة من هذه الكائنات الرقيقة للتفـاؤل والبـدء بيـوم جديد كالدخول في كرنفال. وكان الاطفـال مستمتعين بالاستمتـاع لزقـزقـة العصافير ولكن (كاثرين) راودها شعور غريب لم تخفيه عن (تيزا) :

ـ كان يجـب عليـنـا أن نجـلس على صخـرة التفكيـر ونتباحث حول ماحصل لنا هذه الليلة.

ـ ولكنـه شيء لايستحق التباحث انه لـم يكن كما توقعناه شبحـاً مخيفـاً أو جرذان، فقد ظهر بأنه فأر حقول صغير، مابالك هل أصابك بالذعر؟

ـ انـا لم اقصـد ذلـك ياعزيزتي، وان ماقصدته كان حول ذلك الفأر المسكين الذي ارعبناه نحن. فقد كان فزعاً، وقد أرتعدت جميع اجزاء جسمه.

ـ ولكن لم أفهم ماذا تقصدين تماماً.

لم تجبهـا (كـاثرين) بشيء بل جلست واضعة رأسها بين يديهـا وبـدأ تفكيـرهـا يدور حول ماحصـل لهم ليلة

أمس، ثم رسمت في ذاكـرتهـا موقفـا آخر، فماذاستفعل أمهـا لو كانت موجـودة ليلة أمس، لكي تهـدىء من روع أطفـالهـا، وهي كأخت كبـرى هل كان موقفهـا صحيحا وتصرفاتها سليمة وماذا يجب عليها ان تفعل الآن؟ وبدأتا تفكرا بصوت مرتفع :ـ

ـ انا متأكدة ان والدتي لو كانت هنا فأنها ستقول. .

فقاطعتها (تيزا) وكأنها ترد تساؤل صدر من أختها :ـ

ـ كانت ستقـول اننـا سخفـاء لحد بعيد بحيث يخيفنا فأر صغير كهذا.

فردت عليها (كاثرين) وهي ماتزال مستغرقة بالتفكير:ـ

ـ وستقـول لنـا ايضاً أننا في وجودنا هنا سنواجه الكثير من هذه المـواقف التي ستسبب لنـا الـرعب، وهـذا يرجـع بالتأكيـد لعـدم وجـودهـا هي وأبي معنـا لكي يبعثـا فينـا الاطمئنـان وستقول لنا باننا سنكون عرضة لهجوم الرياح والعـواصف الثلجيـة والحيـوانـات المتوحشة ويجب ان نواجهها ونثبت شجاعتنا أمام هذه الاشياء المرعبة حقاً لا أن نثبت شجاعتنا أمام فأر كهذا.

ـ (كاثي) ماذا سنفعل لو كان جرذاً وليس فأراً؟

ـ ان كان فأراً أو جرذاً فانـه لم يدخـل علينـا ليهـاجمنـا أو

يرعبنـــا، بل دخـــل الى هنـا هربـاً من برودة الطقس في الخارج وطلباً للدفـء.

يبـدو أن (تيـزا) لم تقتنـع بكـلام اختها، لانها كانت ترتجف وهي تقـول ذلـك لم تكن (كـاثـرين) مقتنعة بما تقول فكيف يمكنها ان تقنعها بعدم التخوف من الجرذان مع علمهـــا الاكيـــد بأنـــه ممكن ان يجلب لهم الـوبـاء والطـاعـون أو بمعنى آخـر ممكن ان يجلب لهم المـوت الذي هربوا منه. ماذا كانت أمها ستفعل لو علمت بوجود الجـــرذان مع اطفـــالهـا. فكـرت بشيء سليم لوقـايتهم وطرحته على إختها:ـ

ـ يجب ان نغطي الطعـام ونحكم اغلاق الصناديق جيداً فهـــذا ماكـــانـــت أمـي ستفعله لو كانت هنـــا. يجب ان لاتستدل الفئران بوجود الطعام في الصناديق وخصوصاً الجبن.

ـ فردت (تيـزا) ويمكننـا ان نرفـع الصنـاديق عن الارض بوسـاطـة هذه الاعمدة الواطئة الـموضوعة بشكل عرضي كرفوف نضعها عليها أليست هذه فكرة جيدة يا (كاثي)؟

ـ نعم انـه اجـراء جيّـد وكـذلـك يمكننـا ان نغلق جميع الشقـوق والثقـوب المـوجـودة بغصـون الاشجـار وقطـع

القمـاش والحصى الصغيـرة. فهذا أقصى مانستطيع ان نفعله لكي تمنع الفئران من الدخول والاحتماء داخل المخزن.

عدم دخول الجرذان يمنع نقل العدوى اليهم ويبعث الاطمئنـان في نفـوسهم ويـدفع عنهم الخوف الذي كان يشل تفكيرهم. فقالت (تيزا):ـ

ـ أين الفأر الصغير الجميـل، انظروا كم هوجميل، فأنا أحب أن أحتفظ به لنفسي لكي نلعب به هل يمكننا ذلك يا (كاثي)؟

فردت عليها (كاثرين) بحدة:ـ

ـ لا.. لايمكن ذلك ياعزيزتي؟

ولكن (دان) قال لهم بكل بهجة:ـ

ـ ولكنه الان معي في القش وهو بحالة جيدة أنه صديق وأنا ساحتفظ به وأطلق عليه اسم.. اسم.. ليكن (الشبح).





هدية القرية

مايـزال لديهم الشيء الكثيـر لكي يقوموا به في الايام المقبلة . أصبـح الـوقت شيئـاً مجهـولا لايعرفون منه الا الليـل عنـد ظهـور القمـر والتمـاع الانجم في السمـاء . والنهـار عنـدمـا ترسل أشعة الشمس خيوطها عليهم . لم يعـد للايـام عنـدهم حساب أو قيمة ، لان همهم الوحيد بات هو الاكـل متى أحسـوا بالجـوع . . . واللعب متى

ضجروا و ملوا . . وقضاء حاجاتهم متى شعروا بذلك .

في أحـد الايـام أشعلوا الفتيلة التي قامت بصنعها (كـاثـرين) من عيـدان القش والشمع المذاب ، بدلاً من اشـعـال شمعتهم النفيسـة التي جلبتهـا لهم أمهم من القـريـة . ثم بدأوا باشعـال كميـة من الاغصـان الجـافة المتكـونـة في المـوقـد الذي قاموا بصنعه من الحصى و الاحجـار الصغيرة والمخصص فقط للطهوا عليه ، وكانوا يهمون بتجهيز وجبة طعام مكونة من البطاطا المشوية كما فعلوا في المرة السابقة وكانوا بين الحين والآخر يشوون معهـا شرائـح اللحم المملحة أو شرائح الجبن المالح .

أمـا واجب توفيـر الحليب فقد كان من حصة (كلاودي) .

أما الماء الذي يغتسلون به أو يستخدمونه للطهو والشراب فكانوا يتزودون به من ماء الساقية الجاري .

كان هذا نظام حياتهم ونشاطاتهم اليومية الذي تعودوا عليـه ، أو بالآحـرى الـذي تأقلمـوا معـه . وفجأة أصبـح الطقس رطبـاً جداً بحيث لـم يعـد باستطـاعتهم تجفيف ملابسهم أو أجسـادهم بعـد غسلهـا ، لذلـك فقد قرروا التـوقف عن ذلـك ماعـدا وجـوههم وأيـديهم لانـه من الصعب عليهم التـوقف عن غسـل وجـوههم صباح كل

يوم وكذلك أيديهم عندما تكون ملوثة بروث (كلاودي)

لم يتوقف (دان) عن عمله اليومي المفضل، ألا وهو جمع ثمار التوت، ولكنه لم يستمرر بتناوله بأفراط بسبب الالم والمغص الحاد الذي أصابه في معدته في تلك الليلة حيث أنه كان قد تناول يومها اكثر من حاجته. وبذلك تعلم ألا يتناول أو يأكل شيئاً أكثر من سعة معدته. تجول كثيراً بين الاشجار في الغابة متنقلاً من واحدة الى آخرى، وهو قبل ان يتركها كان شديد الحرص أن لايتركها محملة بحبة واحدة ناضجة كطعام للعصافير والطيور. كان كل همه أن يجمع اكبر كميه ممكنة منه. ولكنهم بعد مدة قصيرة بدأوا لايستمتعون بتناول حبات التوت لان حلاوتها قد قلت وأصبحت أقل انتفاخاً واحمراراً.

في بعض الاحيان كان (دان) يعود محملا بعدد من نبات الفطر حيث تقوم (تيزا) بصفه على الالواح الصخرية المثبتة حول الموقد وتشويه مثل البطاط. انها فكرة جيدة أن يثبتوا هذه الالواح حول النار حتى لاتحترق المواد التي يريدون شيها تصبح حمراء بلون الدم عندما يقلبون بوساطتها الثمار حتى لاتحترق من جهة واحدة

فقط وتبقى الأخرى نيه. بمجرد أن تناولوا حبات البطاطا أو الفطر من النار حتى يضعوها في افواههم ويعضوا عليها بأسنانهم فينساب عصير ساخن جداً جدا على جانبي أفواههم بللذع شفاههم لذعاً. بينما كان الثلاثة جالسين حول النار يترقبون نضج حبات الفطر بعيون متشوقة قال (دان) ممازحاً في محاولة منه لتجاوز حالة السكون التي تسيطر عليهم:

- تماماً مثل اليرقات وهي منتفخة وملتصقة على الالواح الصخرية.

وبالطريقة نفسها التي تحدث بها ردت عليه (تيزا):-

- أوه صحيح ولكن الجيدة منها والمنتفخة اكثر من غيرها توجد هناك على ذلك اللوح.

في أحد الايام جاء (دان) الى أختيه وجيوبه محشوة بثمار الكستناء المكسوة بشوكها لانه لم ينتزعها بعد وهو يشعر بثقة وجدارة بانه يحرز نصراً أكيداً بعودته يومياً بجيوب محملة بأصناف جديدة الثمار. دخل (دان) الى المخزن ووضع وما يحمله على صخرة الطعام أمام (كاثرين) فقالت له بكل دهشة واستغراب مماتراه:-

- ماذا جلبت اليوم.. ماهذا، من قال لك أن تجلبها الى

هنا وماذا سنفعل بها؟
ثم أطـرقت رأسهـا الى الاسفـل وهي تفكـر في عدد الشموع المتبقي لديهم الى الآن وكأن مهمة التفكير هذه كانت من واجبهـا هي فقـط . وقعت عيناهـا على كمية الشمـع المذاب والمتجمع بشكل كتلة كبيرة على مقربة من قدميها على الارض بانتظار أن يكشفها أحدهم فربما يحتـاجـون لهـا في يوم من الايـام . لم يكن (دان) قد تجاهـل التساؤل الذي طرحته عليه أخته ولكنه استغرب قليـلاً منـه وحـاول أن يرد على تسـاؤلهـا بتسأل آخر أكثر دهشة واستغراباً:

- لمـاذا تقـولين ذلـك؟ انها للأكل، فقد وجدتها متكومة على رض الغابة تحت الاشجار ولم أقم أنا بأقتطافها منها.
- ولكن لايمكن تنـاولهـا وهي هكـذا مملوءة بالشـوك لان الدماء ستسيل من أفواهنا بكل تأكيد.
- أنت جاهلة وساذجة، من قال لك انا سنأكلها بشوكها . نحن سنقـوم بعمـل شق صغيـر من جهـة واحدة وبمجرد وضعهـا على النـار تنـزع القشـرة الخـارجية عنها وتظهر الثمرة الناضجة التي سنأكلها

أثنـاء حديثـه تناول سكينا وأحدث شقاً صغيرا في القشرة الخضـــراء لواحـــدة منهـــا فانكشفت عن ثمـرة ناصعَـة البيـاض. . . مجعـدة الملمس، ثم قدمهـا بيـده لاخته لكي تتذوقها :ـ

ـ عضي منها شيئا ياكاثرين. . . تذوقيها. .

وعندما تذوقتها توجهت الى (تيزا) بالكلام :ـ

ـ هل نستطيع أن نأكلها هكذا من دون شي.

فهـزت لهـا رأسهـا بحركة منها تنبيء انها لاتعرف شيئاً.

حبـات الكستنـاء المشـوية مع القليل من حبات البطاطا المشـويـة أيضـا. . كانت وجبتهم على العشـاء تناولوها بمتعة كبيرة وهم يتلذذون بمذاق الكستناء الحلو.

عمليـة جمـع الحطب وتجفيفـه أخـذت منهم الوقت الكثيـــر هذا اليـوم وفضـلاً عن ذلـك فقـد قامـوا بخـزن مايجمعونه في حظيرة الدجاج خلف المخزن لكي تجف وتتيبس تمـامـاً، حيث انـه من الصعب تكسير الاغصان الخضـــر الى أطـوال مختلفـة حسب رغبتهم وحـاجتهم ولـكـن ليـهـــا لم يكـن بالـشـيء الـصعب، الا أن هذه الاغصان الخضر عندما توضع بالنار فانها تدخن ولاتحترق.

كانت درجة الرطوبة عالية بعكس درجة الحرارة المنخفضة جداً، لذلك كان عليهم أن يوقدوا قليلاً من القش أوحتى جذع شجرة داخل المخزن لكي يتدفأوا به، وقد كانت هذه فكرة (تيزا) . فقد قاموا بجلب جذع شجرة ووضعوا تحته كمية من القش. وبمجرد أن قربوا الشمعة من القش حتى اشتعل بسرعة وخمدت النار قبل أن تمس جذع الشجرة أوتشعله، فما كان منهم الا أن قاموا بجلب المزيد من القش مرة ثانية، فاشتعل وخمد قبل أن يحدث ماكانوا يبغونه. أصيبت (تيزا) بخيبة أمل وأوشكت أن تبكي لان فكرتها قد فشلت، ثم قالت :ـ

ـ يبدو اننا سنحرق كل مالدينا من القش وينتهي وننام على الارض وحتى اننا سنضطر لاكل البطاطا نيه، وبالنتيجة فأننا لن نتمكن من أضرام النار بالجذع.
فقالت لها (كاثرين) لكي تخفف عنها وقد لاحظت أن مشاعر اليأس والحزن تسيطر عليها :ـ
ـ اذن أتركي القش، ودعيك من هذه الفكرة فهذا أفضل.

كانت الروح المعنوية لكل منهم شيئا مهما . . . وأي واحد منهم يجب أن تكون معنوياته عالية حتى لايتأثر به

الآخــران ، وهــذا الـشيء كان مهمـا جداً بالنسبــة لـ (كـاثـرين) ويشغـل حيزاً كبيراً من تفكيرها خلافاً لاخيها وأختهـا . كان عليهم أن يتنـاولـوا هذه. الليلة عشـاءهم المكون من حبات البطاطا النية لان كل مالديهم من قش قد نفذ

تأكــدت (كـاثـرين) ان جميـع الفتحـات والشقـوق الموجودة في الجدران قد سدت واغلقت تماما بالحصى الصغيـرة والعيـدان والاوراق اليـابســة والملفوفـة مع بعضهـا . ولكنهـا نسيت شقـاً كبيـراً في أسفـل حائـط المخزن ، وبعد تفكير وتفتيش طويل أهتدت الى اغلاقه بوسـاطـة صندوق الحبوب . نعم انها فكرة جيدة لايوجد لهـا بديـل . فاسـرعت بدفـع الصندوق باتجاه الشق وقد كان عمـلاً متعبـاً حقـاً ولكنه جاء بنتائج جيدة فقد أصبح المخـزن أكثـر دفئاً من ذي قبل . وبعد هذا العمل الذي قامت به (كاثرين) قالت لهما : ـ

ـ هذا العمل سيبعد عنا الاوساخ والجرذان الكبيرة وليس البرد فقط .

قالت ذلـك وكلهـا ثقة عالية بنفسها بأنها انجزت شيئا مهـمـاً هذا اليـوم ودفعت عن الجميـع ، وفي الـوقت

المناسب، الكثير من الاخطار المحتملة الوقوع . كانت (كاثرين) تعمل كل شيء بثقة عالية بنفسها وبأتقان مفرط كما يفعل والدها، ولكنها على الرغم من ذلك لم تتمكن من الوصول السقف لكي تسد الشقوق الموجودة فيه لذلك كانوا يستيقظون صباح كل يوم بمجرد أن تتسلل أشعة الشمس من خلالها . وفي الوقت نفسه فقد كانت تبعث في نفوسهم البهجة ولكنها كانت غير جيدة وتسبب لهم المشاكل عندما تمطر فيبتلون بالماء كثيرا، وقد حصل لهم ذلك في أحد الليالي الممطرة بغزارة فاصبح منظرهم وكأنهم خرجوا لتوهم من حمام السباحة . كانوا

دائماً يحاولون تغير جميع الظروف الى حالة من البهجة والفرح والدعابة، كأن تدفع (تيزا) بأخيها تحت أكبر شق في السقف وهي تمازحه بكل براءة وسذاجة :-

- أرى أنه من الافضل أن نستحم هنا داخل الكوخ بدلا من التعب والذهاب الى الساقية وقد أمطرت في وقت مناسب فأنت متسخ كثيراً وتحتاج لمثل هذا الحمام .

كانت الشمس تسحب آخر خيوطها معلنة بذلك قدوم المساء بظلمته وبرودته مستمتعاً بغناء (تيزا) وهي تحلب (كلاودي)، أما (كاثرين) فقد كانت داخل المخزن

منشغله بتقطيـع شرائـح اللحم لاحضار وجبة العشاء في تلك الاثنـاء دار حديث فاتـر بين الصبي وأخته حيث قال لها وكأنه يهمس لنفسه :ـ

ـ (تيزا) . . !!

ـ ماذا هناك . . ؟

كانت صوتهـا حالمـاً رقيقـاً ، كمـا هي عادتهـا عنـدمـا تحلب (كـلاودي) ، لان هذه الصـديقـة تبعث بداخلهـا الـدفء وتشعـرهـا وكأنهـا بين احضـان أمهـا وبالاخص عندما تضع رأسها بين ثديها وتغني أغنيتها وكأنها تحلم . فعاد عليها (دان) نداءه :ـ

ـ (تيزا) . . . !!

فردت عليه هذه المرة كذلك بصوت حنون دافىء :ـ

ـ نعم اني اسمعك ماذا تريد؟

ـ متى كانت آخر مرة ذهبت بها الى الاسفل عند النهر؟

على أثر هذا السؤال استفاقت (تيزا) من أحلامها وأجابته :ـ

ـ لم أذهب الى هناك منذ مدة بعيدة كما تعلم يا (دان) ، لماذا هل حدث شيء ما؟

ـ لالم يحـدث شيء ولـم أقصـد الـذهاب الى هناك فقط

وانما أردت أن أتأكد ان كانت أمي قد تركت لنا شيئا عند النهـر كمـا وعـدت ، فقـد طلبت مني (كاثرين) أن ألقي نظرة عليه عندما ذهبت لجمع الحطب من الغابة ولكنني لم أجد شيئا حينها وانما رأيت شيئا غريبا أفزعني كثيرا .

ـ ماهو هذا الشيء . . ألـم تعرفه؟

ـ لم أتمكن من تمييزه ولكنه كان حول الاكواخ الموجودة خلف حقل السيدة (هوج)

ـ لكنك لاتستطيع أن ترى الاكواخ وأنت في مكانك عند النهر يا (دان) وانما يمكنك فقط رؤية المداخن التي تعلو الاكواخ .

بينمـا همـا منـدمجين بالحـديث خرجت (كـاثرين) من المخزن وشاركتهما حديثهما ، فسألتها (تيزا) :ـ

ـ (كاثي) . . هل تعرفين كم هو عدد الاكواخ الموجودة هناك؟

ـ لمـاذا . . . ؟ اعتقـد انـك تعـرفين ذلك . يوجد خمسة عشر كوخاً على ذلك الجانب من الكنيسة .

فقال (دان) معقباً على كلام أخته :ـ

ـ هذا ماأعلمـه جيـداً ولكن كان هنـاك سبع مداخن فقط وهذا هو الشيء الغريب الذي أخبرتك عنه يا (تيزا) .

كان الـوقت متأخـراً حينها للذهاب مشياً الى النهر للتأكد من حقيقـة الامـر وسيصبـح من الصعب تمييز أورؤية أي شيء لان الظـلام سيهبـط حالاً . في صبـاح اليوم التالي ذهب الاختـان معـاً الى الاسفل باتجاه النهر في المنطقة التي تقع أمام كوخ السيدة (هوج).

نعم، لقد كان (دان) محقاً فيما يقول، فقد كان هناك سبع مداخن فقط وقد حاولوا كثيراً التعرف على المداخن التي تخص بيـوتهم ولم يستطيعوا ذلك. في تلك الاثناء لاحظت (كـاثـرين) ان شيئـاً ماكـان يتجـه نحـوهم، فركضـت هي بدورها باتجاهه، وقد كانت دهشتها كبيرة عندما رأت الصرة فلم تتمالك نفسها وصرخت بصوت مرتفع :ـ

ـ (تيزا) أنظري ماذا يوجد في النهر لنا. . !! أنها الصرة يا (تيزا)

ثم رمت كل ماحملتـه يدأهـا من عيـدان وأغصـان يابسة كانت قد جمعتهـا وهي في طريقهـا من الكوخ الى هنا. تنـاولت حاشيـة تنورتها ووضعتها في فمها حتى لاتعيقها عن الركض. كانت الصرة قد تركت عند حافة النهر قريباً من الصخـور. تبعت (تيـزا) أختهـا وعندما وصلتا وجدتا

بأنـه كان صنـدوقا خشبياً مكشوفاً من الاعلى وليس صرة قمـاش كمـا توقعا. ركضت (تيزا) باتجاه الصندوق لكي تسحبـه من النهـر فطـوقتهـا (كـاثرين) من حضرها بكلتا يديها وهي تحذرها وتذكرها بكلام أمها :ـ

ـ لا يا (تيـزا) لاتلمسيـه أرجـوك. . ألا تتذكرين ماقالته أمي ، فهو ربما يحمل الجراثيم والوباء.



بدأت (تيـزا) تتـذكر أمها ومدى حيطتها وحذرها وهي تحاول أن تبتعد عنهم وتتجنب ملامستهم بيدها، ولكنها فكـرت بوجـوب فتـح ذلك الصندوق لمعرفة مابداخله، عساه أن يكون شيئاً لغيرهـم فقالت لاختها :ـ

ـ ولكن نحن يجب ان نرى مابداخله فقد تكون أمنا هي التي أرسلته.

ـ حسنـاً انـزعي قطعـة القمـاش التي تلف الاشياء ولكن بكــل حذر ومن دون أن تلمسيهـا بيـدك لانهـا ان كانت مرسلة من قبـل الـوالـدة فلابد ان تكون قد ربطتها بخفة بحيث يسهـل علينـا فتحهـا بالعصـا . ولكن كوني حذرة جداً أن لاتلمسي قطعة القماش . . لاتنسي ذلك.

بدأت (تيـزا) تفتـح العقـدة الموجودة في اعلى قطعة القمـاش بوسـاطـة عصـا كانت قد عثرت عليها وهي في طريقهـا الى النهـر. كانت بطيئة جداً في عملها لانها لم تتمكن من السيطرة على العصا بشكل جيد. وشيئاً فشيئاً بدأت تنفرد قطعة القماش على كلا الجانبين و انكشفت عن أشيـاء بداخلهـا لم تصدقها عينا (تيزا) عندما رأتها. فقــد راحت تتـراقص من شدة الفـرح وهي تكـاد تفقـد السيطـرة على نفسهـا عنـدمـا وقـع بصـرها على البيض

فصرخت بدهشة كبيرة :-
- أوه . . . بيض لكم اشتقت لتناوله .

ولكن الفرح الذي أرتسم على وجهها زال بسرعة وكأنها لم تكن ترغب في البيض ، بل يجوز انها كانت ترغب بأشياء ألذ منه ومدت (كاثرين) يديها بين القش تفتش عن أشياء أخرى ربما تكون قد ارسلت لهم ، ولكن من دون جدوى فلم تعثر على شيء وخمنت ان هذا الكم من البيض مرسل لهم من حقل الدواجن .

وممازادها يقيناً رائحة حقل الدواجن التي أنبعثت من داخل الصرة ، حيث لم تكن هذه الرائحة غريبة عليهم ، كذلك فقد رأت بعضاً من الريش البني اللون ملتصقاً على البيض . فأردفت (تيزا) بكل حزن :-

- لم ترسل لنا سوى البيض . . لاكيك . . لاخبز . . لاجبن ، لماذا لم ترسل كل ذلك فردت (كاثرين) على كلام أختها وبصوت منخفض :-

- ألا تعرفي انها لايمكن ان تلمسي شيئاً بيدها الملوثتين بالوباء خوفاً من انتقاله الينا ، لذلك هي لم تخبز لنا شيئاً .

ولكن (تيزا) قالت متذمرة :-

ـ كذلك لم ترسل الملابس، فأنابي حاجة ماسة لها.
ـ ولكن نحن لدينا مايكفينا.

لم تقتنع (تيزا) باجابة (كاثرين) التي تفوهت بشيء لم تكن مقتنعة به، وهي على يقين من أن أختها محقة في كل ماتطلبه، لذلك كان يجب عليهم أن يناموا ويقضوا يومهم بالملابس نفسها، واذا شعروا بالقليل من البرد فما عليهم ان يلفوا أنفسهم بالبطانيات. تذكرت (كاثرين) لحظتها خيوط الصوف التي ساعدت أمها في عملها أثناء الصيف المنصرم والتي صنعتها من أجود انواع الصوف المتوفرة في قريتهم وصبغتها باللون الازرق. ربما ارادت أن تعمل لهم منها معاطف وقبعات كما وعدتهم. علمت (كاثرين) من أمها ان هذا الوباء انتقل لقريتهم بسبب سلة من الخيزران أرسلت من (لندن) لذلك يجب ان يكونوا حذرين حتى لايحدث الشيء نفسه لهم و بالطريقة عينها.

لم تتوقف (كاثرين) عن البحث بين البيض وحول الصرة في الصندوق الذي يحتويها فقد كانت منهمكة جداً بالبحث ولكنها لم تخرج بنتيجة ولم تجد ما كانت تبحث عنه، استغربت (تيزا) لشدة انهماكها بالبحث

والتفتيش وسألتها :ـ

ـ ماذا هناك . . عن ماذا تفتشين تماماً؟

فأجابتها وهي ماتزال منهمكة في بحثها وتفتيشها حتى انها لم ترفع رأسها وهي تكلمها :ـ

ـ لاشيء . . أعتقدت ان والدتي أرسلت لنا رسالة تطمئننا منها عن أحوالهم ولكن للآسف لارسالة، ولاخبر!! لماذا هذا ياأمي الا تعرفين اننا نترقب ذلك بفارغ الصبر.

لقد غاب عن بال (كاثرين) أن والدتها لاتعرف القراءة والكتابة، ولكن ليس معنى هذا أن لاتبعث لهم بشيء، وذلك لقدرة والدهم على القراءة والكتابة على نحو جيد كأطفاله، اذن بأمكانه أن يكتب بعض الكلمات على

لوح من الخشب ويرسلها لهم لانهم يحتاجون الى مايشعرهم بوجود والديهم معهم، مما دفع (كاثرين) للشعور بخيبة أمل كبيرة وحزن لايقدر، فانهمرت الدموع من عينيها، وعلى الرغم من انها لم ترغب بأن يحدث ذلك أمام (تيزا) حتى لاتضعف ولكنها لم تتمكن من السيطرة على نفسها

قلقت (كاثرين) كثيراً لان والدها لم يرسل لهم شيئاً،

وتصـورت انـه مريض جداً وفي حالـة خطـرة الى الحـد الـذي يمنعـه من الكتـابـة لهم، فقالت لاختها والدموع ازداد انهمارها :ـ

ـ لا اعتقـد أنـه يمتنـع عن الكتـابة الا في حالة واحدة . . وهو أن يكون مريضاً وحالته خطرة .

لم تجبهـا (تيـزا) بشيء، لان الحـزن الـذي شعـرت به لحظتها اسكتها وأمسك لسانها عن الحركة . سادت فترة صمت بينهمـا لم يسمـح أثنـاءها الاصوت الكروان وهو يصدح في السمـاء . ولكن صوت (دان) أخـرجهمـا من حالة الصمت التي سيطرت عليهما . . حتى انهما نسيتا أخـاهمـا، الـذي جاء يبحث عنهمـا وصـراخه الطفولي يتعالى :ـ

ـ (كاثرين) . . (تيزا) . . أين أنتما . . . !؟

صوتـه يبـدل على أنـه مرح المـزاج هذا اليـوم ميـال الى اللعب والحـركة وتسلق أشجار الصنوبر والجوز واقتطاف ثمـارهـا، حيث جاء بيـدين مملؤتين بالثمـار وبـدأ يرمي أختيه ولم يأت بيدين مملؤتين بالخشب الذي اتفقوا معا على جمعه ليلة أمس . قالت (تيزا) لاختها :ـ

ـ ستكـون وجبتنـا اليـوم مكـونة من البيض، دعينا نأخذه

للمخزن ونسلقه الا اذا كنت ترغبين بتناوله نيئا.

لم يكن شيئاً غريباً عليهم تناول البيض وهو نيء لان والدهم ووالدتهم غالباً ماكانا يفعلان ذلك ، على عكس أطفالهما الذين يمقتون تناوله بهذه الطريقة لان رائحة زنخة جداً ومنظره الذي يشبه الحلزون، لذلك لم تجب (كاثرين) على كلام أختها لانها أعتقدت انها تمازحها وأكتفت بالنظر اليها ثم أردفت قائلة ببطء:ـ

ـ هذا الصندوق الخشبي يجب أن يحرق ونتخلص منه بأسرع وقت وكذلك قطعة القماش.

ـ هل سنفعل ذلك هنا أم نسحبه الى الاعلى؟

ـ لا . . يجب أن لانسحبه حتى لانلمسه، لذلك ستتم عملية الحرق هنا.

ـ ولكن كيف سنفعل ذلك ولانمسه؟

ـ سنسحبه بوساطة هذه العيدان الكبيرة من الماء وسنعمل منه ناراً كبيرة توفر لنا دفئاً نحن بحاجته.

ثم التفتت الى صندوق البيض وأكملت كلامها:ـ

ـ ونستطيع أن نسلق البيض أونشويه بوساطة هذه النار. . أليس كذلك؟

فصرخت (تيزا) مصوبة غضبها كله باتجاه أختها:ـ

ـ ولكن كيف نستطيع أن نشعل النار هنا؟

أمـام هذا التساؤل أصيبت (كاثرين) بخيبة الامل من جديـد، فلمـاذا تكـون المصاعب دائما لهم بالمرصاد؟ ولا يمكنهم الحصـول على شيء من دون مشـاكـل أو صعـوبـات. . لوكـانت الـوالـدة هنـا والـوالد لتمكنا من الأجـابـة على تساؤل (تيزا) وتساؤلات آخرى كثيرة. فقد تعبت (كـاثـرين) من كثـرة التفكيـر في كل شيء وحدها وكـانت دائمـا تطـرح على نفسهـا سؤالا لم تجـد له جواباً. . الى متى يستمر الحال هكذا؟

كانت لديهـا رغبـة بأن تبقى هنـا بجانب النهر ولا تعود ثانيـة الى المخـزن بهذا الوقت المبكر، لانها تعتقد انها تملك متسعـاً من الـوقت يمكنهـا ان تقضيـه هنا، حيث تشعـر انهـا قريبة من قريتها وأهلها وأخيراً وجدت الاجابة على التساؤل الذي طرحته اختها قبل قليل :-

ـ يمكننـا أحضـار الشمعـة من المخزن وهي مشتعلة بعد تغطيتها بالمشكاة.

ـ انها حقاً فكرة جيدة. . ولكن من سيذهب لاحضارها؟

ـ أنت . . ولكن يجب أن تكـوني حذرة حتى لاتنطفىء ولا يمكننا اشعالها ثانية

ـ ولكن الذهاب والعودة ستأخذان من وقتنا الكثير.
فتوسلت اليها (كاثرين) أن تذهب :ـ
ـ رجاء يا (تيزا) أذهبي أنت .
ـ حسنـــاً سأذهب . . هل تريـــدين أن أجلب معي بعض حبات البطاطا والزبادي والملاعق والحليب أيضاً؟
لم تجبهـا (كـاثرين) لاعتقادها بانها يجب أن تفعل ذلك من تلقاء نفسها، فلو انها فكرت قليلاً قبل طرح تساؤلها لعـرفت مايحتـاجونه منها. لاحظت (تيزا) ان اختها تبدو متعبـة وغير سعيدة، فانحنت عليها قليلاً وراحت تحدثها في محـاولة منها لاراحتها وانتشالها من الاحزان والافكار التي سيطرت عليها :ـ

ـ ماذا هناك يا (كاثرين) . . تبدين شاحبة، هل تشعرين بتـعب؟ لمـــاذا لاتنـــامين قليـــلاً ريثمـــا أذهب وأجلب مانحتاجه من المخزن وسأخذ (دان) لِيساعدني .
ـ حسنا ولكن لاتتأخرا كثيرا .
ـ سأذهب وأعود عدواً، ولهذا سأشعر بالدفـء ولن احتاج لهذا الشال، حيث سأتركه لك، لتفترشيه، فأنت بحاجة الى الاسترخاء قليلاً لكي ترتاحي .
تحضـرت (تيـزا) وكذلك (دان) للذهاب ولم تنس أن

تترك الشال لاختها ، حيث طوته (كاثرين) عدة طيات وتوسدته فغاص رأسها به لانه كان سميكاً. ادارت (تيزا) ظهرها باتجاه التلة ، وبدأت تركض وقد تبعها أخوها.

تمكنت (كاثرين) من النوم قليلاً بعد مغادرتهما ، وكانت مستطرقة في نوم عميق بحيث لم تشعر بأمها عندما تسللت عبر حقل السيدة (هوج) ووقفت أمامها على الجانب الآخر من النهر الذي يفصل بينها وبين أبنتها. لقد سمعت الام الحديث الذي دار بينهما ، لانها كانت ترقبهم منذ البدء ، وأنتابتها رغبة قوية بالعبور الى

جانب أبنتها للاطمئنان عن أخبارهم ، لتعرف كيف يتدبرون أمورهم ويقضون أوقاتهم هناك في المخزن ولكنها لم تفعل ذلك ، ثم فكرت بأن تصرخ على ابنتها من مكانها ولكنها توقعت أن أبنتها ستنهض مذعورة عند سماعها صراخ أمها وتحاول الركض اليها ، وهي متيقنة أن (كاثرين) لو رأتها فأنها ستعانقها وتقبلها أو ترجع معها الى القرية وهذا بالطبع ليس من صالحهم الآن ، لذلك فقد سيطرت على نفسها وكتمت صرختها بارادة قوية وحباً لاطفالها ، واكتفت فقط بالنظر اليها والاستمتاع

بسماع ضحكات وصراخ الآخرين وهما يشقان طريقهما في الغابة.

ماتزال (كاثرين) مستغرقة في نوم عميق وربنا كانت تحلم بأمها وقريتها وعندما عاد (دان) و(تيزا) محملين بالملابس والشمعة والزبادي، أيقظاها بصوتيهما. وهموا باشعال الصندوق الخشبي وقطعة القماش وبدأ (دان) يرتب الحصى التي جمعها بشكل دائري. انهمك الاطفال في تحضير البيض، لم تمض دقائق الا وكان البيض جاهزا. لقد جلب (دان) معه حبات من الكستناء

ووضعها على الحجرات بعد أن ضغط عليها قليلاً بأسنانه وأحدث بها شقاً صغيراً. وعندما تبدأ الكستناء بالفرقعة فمعنى ذلك انها جاهزة للأكل. تناول الاطفال وجبتهم بلذة وشهية لان المكان الذي يوجدون به يقع على مقربة من بيتهم.

لم يكن للاطفال علم بوجود من يراقبهم من الجهة الاخرى من النهر. لم تكن أمهم الوحيدة التي تراقبهم، فقد كانت السيدة (ماچي هوج) تنظر اليهم من الكوخ

وضحكاتهم العالية ومرحهم الطفولي والسعادة التي كانت تغمرهم أيقظتن جميع الامها ومواجعها لانها تذكرت أطفالها الستة الذين كانت ترعاهم أثناء مرضهم ولكنها كانت تفقدهم واحدا بعد الآخر، ولم يمض اسبوع واحد الا و أصبحت تعيش وحدها بالكوخ

أول من فقدتهم السيدة (هوج) هو الصغير (تومي) الذي يبلغ من العمر ست سنوات وقد كان (دان) الصديق المفضل لديه. وقبل أن تخيط ملابس الحداد عليه لحقه أخوه الآخر. ثم بدأت تعتني بزوجها لانه أصيب بالحمى الشديدة، الى أن توفي. وهكذا فقدت السيدة (هوج) جميع أفراد عائلتها وماكان عليها الا ان تجلس في كوخها بأنتظار أجلها هي الاخرى. لذلك فقد كانت محقة بشعورها بالالم عند سماعها ضحكاتهم السعيدة ومرحهم البريء. ولكنها أخيرا لم تتمكن من السيطرة على نفسها أكثر من ذلك لان مشاعر الالم كانت تعتصرها. فخرجت من كوخها وانطلقت باتجاههم وهي

تصرخ عليهم بصوت مرتفع جداً، فاصيب الاطفال بذعر كبيـر واداروا رؤوسهم باتجـاه الصوت فرأوا شخصاً ما مغطى برداء أسـواد، يركض باتـجـاههم، فحـدقت (كـاثـرين) بعينيها تتفحصه واعتقدت في بداية الامر انها أمهـا، ولكنهـا أخيـراً استطاعت أن تتعرف عليها. كانت السيدة (هوج) تصرخ عليهم :-

- ماذا تفـعـلون هنـا . . هل حضـرتم لكي تزعجـوني وتسخروا مني بضحكاتكم، من الافضل لكم ان تغادروا المكان.

فأجابتها (كاثرين) :-

- لمـاذا ياسيـدة (هوج)، ألم تعرفيني، أنا (كاثرين) هل لديك أخبار عن أبي وأمي.

- ماذا يعنيني بأبيك وأمك!! لادخل لي بأي واحد يعيش في هذه الحياة.

لاحـظ الاطفال ان السيدة (هوج) تضع قطعة قماش بالية على كتفيها وتتكلم بطريقة مفزعة جدا استغربوا لها ودار الـتسـاؤل في داخلهم عن السبب الـذي يجعـل

صديقة حميمة لعائلة تصرخ عليهم بهذه الطريقة المخيفة :-

- من الافضل لكم أن لاتختبئوا أنفسكم بين التلال . . فأنا أعرفكم جيداً . ولماذا أنتم تبقون أحياء وتعيشون حياتكم بخير؟ أخبروني لماذا يحدث العكس معي ويموت أطفالي الستة . . لماذا يفرق الرب بينكم وبينهم فيأخذهم ويبقكم؟ لقد أخذ كل مالدي أطفالي وزوجي .

ثم القت بنفسها في النهر وبدأت تشق طريقها دافعة الماء من حولها بحركة عصبية وهي تصرخ عليهم وتتجه صوبهم ثم غاصت عميقاً بماء النهر المحاط بضباب كثيف . كان الرداء الذي تضعه على جسمها يطوف من حولها فوق سطح الماء وكأنه أجنحة طير مفروشة على الجانبين عندما وصلت الى الجهة التي يوجد فيها الاطفال مدت يديها عليهم لكي تسحبهم اليها وتغرقهم في مياه النهر. تخوف (دان) كثيراً من هذا المرأة والحزن الذي يبدو على صوتها وألتصق بأخته الكبرى وكل جزء

من جسـده يرتعش بقـوة . لكن (تيزا) رق قلبها على حال هذه المـرأة المسكينـة وركضت باتجاهها لكي تساعدها وتخرجها الى الضفة .

كل ذلـك كان يجـري على مرأى من الام التي كانت تراقب كل شيء منـذ البـداية وهي مختبئة بين الاشجار، لكنها لـم تتمالك نفسها عندما رأت (تيزا) تمد يديها اليها محـاولـة مسـاعـدتهـا فركضت بأتجـاه أولادهـا وأخذت تصـرخ عليهم محـذرة أيـاهم أن يلمسوها ولا يقربوا منها لانها تحمل الوباء .

ـ لاتقتـربـوا منها . . ابتعدوا عنها أيها الاولاد . . ابتعدوا عنها انها تحمل الوباء .

كانت تتفـوه كلمـاتها هذه وهي تشق مياه النهر لكي تعبره الى جهتهم . حاولت جاهدة الوصول الى السيدة (هوج) لكي تمنعها من الحاق الاذى بأولادها .

عنـدما رات (تيزا) أمها لـم تتمالك نفسها ، وقد كانت توشـك أن تنـزل الى المـاء لولا انهـا سمعت صراخ أمها ورأتهـا منـدفعـة بهذه القوة وكأنها تريد أن تمنع كارثة من

الوقوع. أخذت (تيزا) تصرخ على أمها :-

- أماه. . أماه. . لاتخافي علي ياأماه.

ولم تعر الام أهمية لما سمعته من ابنتها وأكملت طريقها في الماء. بعد أن وصلت الى السيدة (هوج) أمسكت بها بقوة وبدأت تسحبها الى الخلف. وبعد تعب وجهد مضن تمكنت الام من سحبها الى الضفة الاخرى التي كانت تقف عندها. لقد استخدمت كل قواها لكي تمنعها من الوصول الى أطفالها ومسهم بيديها. ثم بدأت تتوسل الى أبنائها وتحذرهم منها :-

- أرجوكم يااولادي ارجعوا الى مخزنكم. . أرجوكم ان هذه المرأة فقدت عقلها من شدة حزنها على أولادها، لذلك فهي لاتعلم ماتفعله ولاتدرك مدى خطورة الوباء يارب ساعدها هذه المسكينة وانقذ أطفالي من الوباء. . أتوسل اليك يارب.

كان صوت السيدة (هوج) ووجهها يبدوان اكبر بكثير مما يتذكره الاطفال. لقد أصبحت امرأة ثانية مختلفة تماما عما كانت عليه سابقا. انها تبدو امرأة كبيرة، مسنة

ومخيفة لاي شخص ينظر اليها وكانت تجاهد بيديها وجسدها كله لكي تخلص نفسها من قبضة أمهم وهي تصرخ عليها:

ـ دعيني ألمسهم.. دعيني أنفخ عليهم النفس الذي نفخه أولادي على قبل يموتوا. بعد صراع عنيف مع الام استطاعت السيدة (هوج) ان تخلص نفسها من أيدي أمهم. وأندفعت مرة ثانية في ماء النهر ماكان من الام الا أن لحقتها لكي تجرها وهي تصرخ على أطفالها وتتوسل اليهم:ـ

ـ أحبائي أرجعوا.. ابتعدوا سريعاً من هنا.. كاثرين عزيزتي اسحبيهما وذاهبوا الى المخزن فان هذه المرأة ستؤذيكم بحماقتها وجنونها.

لكن الاطفال لم يتحركوا من مكانهم أبداً. فقد تجمدوا من شدة الخوف، وذهلوا من غرابة الموقف الذي يرونه أمامهم ثم فقد (دان) السيطرة على نفسه واندفع باتجاه النهر بعد أن حرر نفسه من يدي أخته (كاثرين). كانت السيدة (هوج) ستمسه وتسحبه الى

جهتهـا لولا ان (كـاثرين) ركضت خلفه وسحبته بقوة الى الخلف، واستطـاعت ان تخلصـه من قبضـة يديهـا. ثم استـدارت وبـدأت تركض باتجـاه المخزن متسلقة التلة والـدمـوع الحـارة تمـلاء وجهها وهي تصرخ على أختها وأخيها لكي يلحقان بها :ـ

ـ أسـرع يا (دان). . . وأنـت يا (تيـزا) . . لاتـنـسـي المشكاة وأجلبيها معكِ.

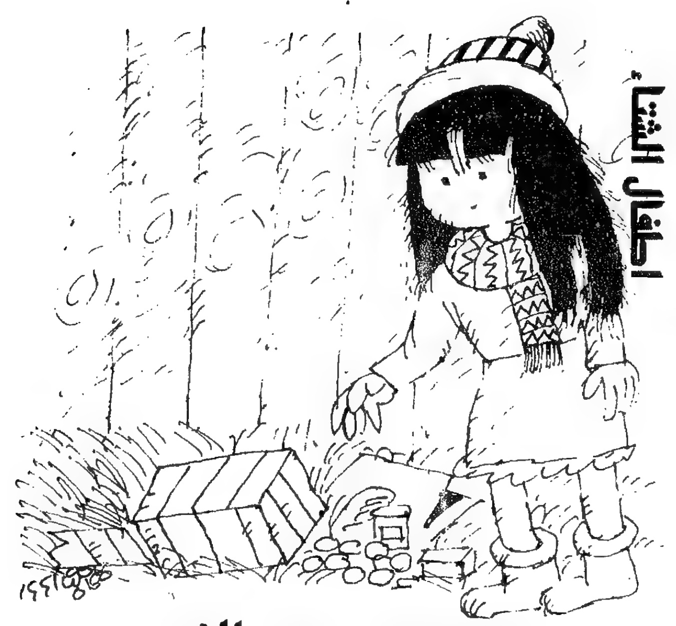
كانت (تيزا) حائرة مترددة بين رغبتها في مساعدة هذه المـرأة المسكينـة وبين صراخ أختهـا لللحـاق بهـا الى المخزن لذلك بقيتَ في مكانها من دون حراك من شدة ذهولها لمرأى السيدة (هوج) وأمها وهما تتصارعان وسط الميـاه. ولكنهـا استيقظت على صراخ أختهـا من أعلى التلة وهي تقول لها :ـ

ـ هيـا يا(تيـزا) أحضـري المشكاة والحقي بنا. . لاتقفي هكذا .

فما كان منها الا أن حملت المشكاة بيدها وتبعت أختها مبتعـدة بذلـك عن النهـر. وبـذلك تخلص الاطفال من

هذه الموقف المثير ومن الوباء الذي كان سينتقل اليهم عن طريق السيدة (هوج)، واتجهوا صوب المخزن عبر الغابة وهم يتراكضون مذعورين.





سرقة عند بزوغ الفجر

في تلك الليلة ذهب الاطفال مباشرة الى أسرتهم القشيه، لكنهم لم يتمكنوا من النوم مباشرة لان ماحدث لهم في ذلك النهار لم يبرح مخيلتهم. فقد كانت صورة السيدة (هوج) تتجسد أمامهم من حين الى حين. ثم بدأ (دان) بالبكاء راغباً في العودة الى البيت وكذلك أختاه، فقد كان قلبهما يتفطر حزناً وألماً على السيدة

(هـوج) وكـذلـك لرغبتهمـا في العـودة مع أمهـا . أخيراً استطـاع كل من (دان) و(تيـزا) الاستسـلام للنـوم لشـدة مابكيـا، الا ان (كـاثـرين) بقيت عينـاها مفتوحتين على اتساعهما حتى بزوغ الفجر.

تركت (كـاثـرين) سريـرهـا واتجهت صوب صخـرة وجلست عليهـا وهي تستمـع الى صوت شخيرهما الذي ينم عن تعب وقلق، وعلى الرغم من برودة الطقس ذلك اليوم الا شعرت بالعطش من كثرة المخاوف التي راودتها تلك الليلة فما كان منها الا ان نزلت من مكانها واتجهت الى البـاب وخـرجت لكي تشـرب قليلاً من ماء الساقية .

لكنهـا وجـدت المـاء متجمـدة، والطقس بارداً ومغلفـاً بضبـاب كثيف والغيـوم كثيـرة تمنـح السمـاء لونـاً أبيض صافيـاً، وطيـور الغـربـان متجمعة فوق أغصان الاشجار الجرداء. . هذا هوالشتاء الحق في هذه المناطق.

توقعت (كـاثـرين) أن يبقى الطقس هكـذا طوال هذا اليوم، لذلك فقد فكرت باضرام النار في حظيرة الدجاج الـتي تقـع خلف المخـزن. في هذه الحظيـرة كانت

العيـدان اليـابسـة وأكوام القش متجمعة، ولم يكن لهذه الحظيـرة سقف أوسطح وجدرانها واطئة، وهذا يساعدها قليلاً تضرم النار بداخله وتتجنب تيار الرياح.

ثم فكـرت بوضـع (كـلاودي) في الحظيـرة وتزويدها بالقش والمـاء لان الطقس في الخـارج كان قاسياً عليها وكـذلـك فالعشب متجمـد ولا يمكنهـا ان تتنـاول شيئاً.

ورات أنـه لا ضيـر في أن تشـاركهم بالقليـل من حبـات الشـونـدر واللفت والبطـاطـا الى أن يذوب الجليـد عن العشب. ولكن وجـودهـا داخل الحظيرة سيعرضها للبلل بسبب تجمع مياه الامطار داخلها، لذلك من الضروري ان يضعـوا لهـا سقفـاً من سيقـان الاشجـار الثخينة قليلاً ولكن هنـاك مشكلة ستـواجههم اذا ماهم قامـوا بذلـك لانهم بعـد ذلـك لن يجـدوا مايضرمون النار لكي يتدفئوا ويطهوا طعامهم.

وبعـد تفكير طويل لم تجد حلاً لهذه المشكلة وكيف سيعـالجـونهـا. بعد أن شربت الماء عادت الى المخزن وهي ماتـزال مستغـرقة بتفكيرها لم يكن هذا شيئاً جديداً

عليهاً، فهي منذ قدومهم الى هذا المخزن وقد أصبح التفكير وتدبر أمورهم من مهامها الاساسية. عادت امام عينيها صورة المرأة وماجرى معهم قرب النهر، ثم تذكرت فجأة صندوق البيض الذي تركوه عند حافة النهر يوم أمس وهم على عجلة من أمرهم. بدأت تفكر فيما اذا كان بأمكانها الذهاب الى هناك مرة ثانية لاحضاره أم لا. فقررت أخيرا ان تذهب وتحضره لانهم يحتاجون الى البيض وكذلك لانها كانت تريد أن تنتشل نفسها من كوابيس الليل ومخاوفه الكثيرة.

انتظرت قليلاً حتى ينزاح الضباب وتتمكن من رؤية طريقها على نحو واضح، فتركت (دان) و(تيزا) مستغرقين في نومهما، واتجهت تركض بخفة بين اشجار الغابة في طريقها الى النهر. كانت قدماها تتركان آثارها على العشب المكتسي بالثلج. انها خطوة جريئة منها لاتخاذ مثل هذا القرار وتنفيذه مباشرة، ولكنه أفضل من جلوسها بلا أي عمل ووضع يدها على خدها والاستغراق في التفكير.

بعد أن انتهت من الجري بين الاشجار وجدت نفسها في منطقـة مكشـوفـة تستطيـع منها أن تنظر الى صندوق البيض. وقـد رأت من مكـانهـا دخـانا أسود يتصاعد من البيت السيدة (هوج) وبحثت بعينيها عن صندوق البيض فوجـدتـه مقلوبـاً على جهـة واحدة وجميع مابداخله من قش قد تناثر حوله على الارض. وبعد أن أكملت الجزء الاخيـر من المنحنى ووصلت الى النهـر، وجـدت ان الصنـدوق منقلبـاً وقـد تكسر كل ما بداخله من بيض ولم يبق لهم ولو بيضة واحدة.

تفاجأت (كاثرين) من منظر البيض المتهشم وأصيبت بخيبة أمل كبيرة وأصابتها حالة من الحزن ورغبت في أن ترمي بالصنـدوق والبيض المتكسـر والقش في النهـر. كانت توشك أن تفعل ذلك لولا انها فكرت بحاجة بعض الحيـوانـات الجـائعـة لمثـل هذه الـوجبـة من الطعـام وخصـوصـاً في مثـل هذا الطقس، حيث يغطي الثلج جميع الاراضي.

وقـع نظـرهـا على شبـاك بيت السيدة (هوج)، وكان

الحمـام في الشرفة. تبدو البيوت في هذه المنطقة مقفرة فارغـة وخـالية من أي حركة ماعدا صوت وحركة الدجاج وهـو يحـوم بين البيوت. تذكرت فجأة بيت البيت السيدة (هوج) في يوم الشراء، وهو اليوم الخاص بشراء حاجات البيـت، حيث سلال البيض متـوفرة بكثرة ومعروضة للبيع وبـالمقابل كان هناك الكثير ممن يحتاجون هذا البيض، يأتون من أماكن بعيدة لشرائه من السيدة (هوج). ولكن مافـائـدة الـدجاجات بالنسبة لهذه المرأة الآن. ولا يوجد من يحضر لشراء البيض منها.

بدأت (كاثرين) تتخطى صخرات العبور الى الضفة الاخرى من النهر من دون أن تعي ذلك. وعندما وضعت قدميها في حقل السيدة (هوج) بدأت تمشي ببطء حول بيتها، فهي تحتاج الى وقت طويل لكي تعبر الحقل لانها كانت تمشي ببـطء وحـذر شديـدين لم تسمع أي صوت من داخـل البيت، وكـان قلبهـا يزداد ضرباً كلما أقتربت اكثـر من البيت. وصلت أخيـرا الى المنطقـة التي توجد فيهـا الدجاجات، التي بدأت تتجمع حولها، وقد سرت

كثيراً لهذا المنظر وشعرت براحة كبيرة، لذلك فقد طالت وقفتها في مكانها.

كانت (كاثرين) مترددة جداً وخائفة بين أن تكمل طريقها أو أن ترجع الى المكان الذي قدمت منه. سمعت فجأة صوتاً قادماً من داخل البيت فشعرت بالقليل من الخوف وقررت على أثره العودة. وقبل أن تعود انحنت على الارض والتقطت دجاجتين وضعت كل واحدة تحت ذراع وأسرعت بعبور النهر الى الضفة الآخرى وأكملت طريقها بسرعة كبيرة متسلقة التلة وكأنها ثعلب ماكر وقد حصل على غنيمة وصيد وفير.





لقاء في الغابة

مرت أيام كثيرة وربما أسابيع والاطفال مايزال هذا وضعهم من دون أي تغيير. الطقس كان يزداد برودة، لذلك كان الاطفال يضطرون الى ابقاء شباك المخزن مغلقاً لايام متتالية . وفي أثناء تحركهم داخل المخزن كانوا يضعون البطانيات على أجسادهم، أما في الليل فكانوا ينامون وهم ملتصقين ببعضهم البعض طلباً

للدفء. والعشب في الخارج أصبح متجمداً حتى أن الارض تبدو وكأنها قطعة من الجليد، مما دفعهم الى ادخال (كلاودي) الى حظيرة الدجاج لانها لم تعد تجد ماتأكله عند الشجرة. واحضروا عدداً من جذوع واغصان الاشجار ووضعوها الى جانب بعضها فوق جدران الحظيرة مشكلين بذلك مايشبه السقف.

كان من واجب (دان) أن يحمل القش من المخزن الى الحظيرة لكي تأكله (كلاودي) وفي أحد الايام بينما كانوا جميعاً جالسين في الحظيرة الى جانب (كلاودي)، ذهب (دان) كالعادة لاحضار كمية من القش، ولكنه مالبث أن عاد مسرعاً وهو يصرخ على أختيه لانه اكتشف شيئاً غريباً في المخزن:-

- (تيزا).. (كاثرين) هلما تعالا بسرعة فالمخزن مملؤ بالماشية.

فقالت له (كاثرين) وهي غير مصدقة ماتسمعه أذناها:-

- ماذا تقول، هل أنت متأكد؟

- نعم، اذا لم تصدقي يمكنك أن تأتي وتري بنفسك.

ـ اذا كان ماتقـولـه صحيحـاً ، فمن المؤكد أن تكون هذه الخـراف لصـديقـك (حكيم) . وقـد جاء بها من الارض المستنقعـــة في الاعلى الى هنـا لكي يحميهـا من برودة الطقس هناك ، ففي المخزن يمكنه أن يؤمن لها دفئاً أكثر.

ـ اذن دعونا نذهب بسرعة قبل أن يأكلوا أسرتنا .

فركض (دان) ولحقت به اختاه وهما تضحكان ، ولكنهما توقفتا فجأة عند باب المخزن .

ـ أين هي الخراف يا (دان)؟ لايوجد هنا شيء .

ـ لايوجد هنا حتى ولو نعجة واحدة . . كيف قلت ذلك؟

أصطنع الدهشة عند ذلك وسألهما :ـ

ـ ماذا تقولان ، أين ذهبت أذن؟

ـ كن صادقاً يا (دان) وقل الحقيقة :

فاتجـــه الى كومـــة القش وهـــو يضحـــك ثم كشف عن المفاجأة التي حضرها لاختيه ورفع كمية من القش وأشر بيديه على جزات الخراف التي كان قد خبأها تحت كومة القش لكي تجف جيداً وقال لاختيه :ـ

- انظـرا . . هنـا الى هذه الجزات ؛ ولكن لاتسالاني من اين جاءت ومن الـذي أحضـرها لانني انا نفسي لااعرف من أحضرها الى هنا.

- أعتقد ان (حكيم) هو الذي أحضرها لكي تكون جاهزة ويبيعها في السوق.

قالت ذلـك (كـاثـرين) وهي تلتقـط احدى هذه الجزات وتنفض عنهـا القش الـذي علق بهـا، ولفت بهـا كتفيهـا فأحست بالدفء يغمر كل جسدها، فسألتها (تيزا) :-

- هل يمكن لكـل واحـد منـا أن يرتـدي واحدة كي يتدفأ بها، ولكنني لااطيق رائحتها.

فردت عليها (كاثرين) :-

- نعم يمكن لكل منا ان يرتدي واحدة ويجب ان نتحمل الغبار الذي سنمتلىء به فضلاً عن الرائحة الكريهة. فان هذه الجلود تمنحنـا الـدفء أكثـر من المعاطف الصوفية الـزرقـاء التي جلبتهـا لنـا الوالدة. انظرا، لكل واحد منا قطعة تبعد عنه البرد أما الاخريات فيمكننا ان نقطعها الى قطع ندفىء بها سيقاننا.

فقال (دان) وهو يمازحها :-

ـ في هذه الحالة سنبدو وكأننا خراف ، وسيقتادنا (حكيم) الى الاسفل اذا رآنا بهذا الشكل .

كان هذا عملا جديدا يجب عليهم القيام به . فوضعوا قطعاً من جلود الخراف على اكتافهم وتناولوا سكينا وبدأوا يقطعون ما تبقى منها الى أحجام وأشكال مختلفة لكي يربطوها حول اقدامهم وأيديهم . عندما ألبست (تيزا) أخاها القطع الخاصة به بدأ يدور ويلعب في جميع انحاء المخزن ثم انحنى على الارض وبدأ يحبو وكأنه حمل صغير وهو يزحف من حائط الى حائط . يبدو انه كان متباهياً بنفسه وبما عثر عليه وسعيداً لانه أدخل السرور الى قلب أختيه وجعلهما تضحكان وتفرحان بما أحستاه من دفء كبير للمرة الاولى منذ قدومهم الى هذا المخزن . تساءلت (تيزا) والقلق يطغى على صوتها :ـ

ـ لكن الم تتوقعوا ماهو موقف (حكيم) عندما يعود ويعرف مافعلناه بأشيائه الخاصة ، كان يجب علينا أن ننتظره لكي نسأله قبل أن نقطع الجلود مثلما نشاء ونعبث بها هكذا .

فحاولت (كاثرين) ان تطمئنها وتريحها قليلاً :-

- كوني على يقين انه لوكان هو هنا لكان سيعطينا أياها وبكل رضا .

صدق الاثنان كلام أختهما ، وكانا مندهشين ومسرورين في الوقت نفسه لانهم حصلوا على دفء كبير بفضل هذا الجلود طوال هذا اليوم . وهم على استعداد لاستقبال الايام المقبلة حتى لوكانت مثلجة . وقد تم ذلك فعلاً عندما استيقظوا في أحد الصباحات على صوت ضرب حبات الثلج على سقف وجدران المخزن . أطلت (كاثرين) برأسها من شباك المخزن فوجدت الارض مفروشة بطبقة بيضاء ناصعة .

لاحظت (كاثرين) آثار اقدام الحيوانات التي كانت تحوم حول المخزن في الليلة الماضية وقد بدت واضحة جداً على سطح الثلج . بعد أن استيقظ (دان) و(ثيزا) أخبرتهما بما رأته ، فخرجوا لتفحص هذه الآثار وتتبعها ، وقد عرفوا الاتجاه الذي قدمت منه وكذلك الذي ذهبت اليه .

خيم على المنطقة هدوء رهيب، أضفى عليها المزيد من النقاء الذي اكتسبته نتيجة اكتسائها برداء أبيض زاه. وكـان هذا الثلج قد منـع من وصـول نباح الكلاب وعواء الذئاب ونعيب الغربان اليهم.

عند انتصاف النهار أشرقت الشمس كاشفة بذلك عن زرقـة صافيـة. ولكنهـا لم تأخـذ بعد مايكفيها من الوقت لاذابة الثلج الذي يغطي الحقول، لذلك فقد بقي الثلج وقتـاً طويـلاً، وكـان الهـواء بارداً جداً بحيث شعـروا ان النفس الذي يلفظونه يتجمد بمجرد أن يتعدى أفواههم.

كان (دان) مبتهجـاً لدرجـة كبيـرة بمنظـر الثلج وهـو يتساقط، ثم بدأ يتناول بقبضته كمية من الثلج من سطح الارض ويضغـط عليها بكلتا يديه صانعاً منها كرة صغيرة يقـذف بهـا أغصـان الاشجـار والمخزن والحظيرة. تبدو (تيزا) مندهشة بمنظر الاشجار الجديد والمدهش والذي أضفى عليهـا جمـالا يبعث الـراحـة لمن يراهـا، لذلك بدأت تغني بأعلى صوتهـا في الحقـل وهي ترمي كرات الثلج على الاشجـار. كانت حبـات الثلج تملأ فمهـا

عندما تفتحه على اتساعه وهي تغني اغنيتها المعتادة في موسم الثلج .

غنوا للرياح

غنوا للمطر

غنوا للثلج اللطيف والبشر

ثم استدارات الى أخيها لائمة أياه لأنه لم يغن معها :ـ

ـ أوه يا (دان) . . لمـاذا لم تغـن معي أيهـا العفـريت الصغير . ان وجهك يشبه الضفدع .

وبينمـا هي تحـدثـه تنـاولت كمية من الثلج وعملت منها كرات قذفت بها وجهه .

كانت (كـاثـرين) جالسـة على صخـرة التفكيـر وهي تستمـع الى صرخـات وضحكات كل من (تيزا) و(دان) حيث كان الـواحـد منهم يركض خلف الآخـر ويضـربـه بكرات الثلج .

بدأت تتذكر بأسى وحزن شديدين آخر مرة لعبوا فيها مثل هذا اللعب مع والـدهم ووالـدتهم . لقد شعرت في هذه اللحظـة بانهـا فقدت طفولتها وذكرياتها الجميلة ولم تعد

قادرة على الـركض واللعب معهم بالطـريقـة نفسها التي يلعبان بها الآن. انها تشعر وكأنها كبرت سنينا كثيرة وهذا مازادهـا ألمـاً وحـزنـاً. ولكنهـا عادت وشعرت بقليل من الـراحـة والاطمئنـان عنـد رؤيتهـا منظر الجليد وهويكسو الارض، لان لونــه يبعث الصفــاء والـراحـة في نفسهـا وكـذلـك لانه يمنع وصول الوباء اليهم، بل لقد بات من المستحيـل الآن أصـابتهم بالـوباء وهذا مازادها اطمئنانا وراحة. وهم لم يعانو كثيرا من البرد لانهم يملكون جلود الخراف التي ستزودهم بما يحتاجونه من دفء.

كان عنـدهم كثيـراً من النعـاج، وقليل من لحم البقر المملح. ولكنهم على الـرغم من ذلــك فقــد شعـروا بالملل من وجبـات الطعـام المتكـررة التي لم تتغيـر منذ قدومهم الى هنـا. كذلـك لم يكن لحم الدجاجات التي أخـذتهـا (كاثرين) من حقل السيدة (هوج) جيدا ولكنها تزودهم بعـدد جيـد من البيض أسبـوعيـاً. وكـذلـك فان حليب (كـلاودي) أصبـح خفيفـاً جداً وخـالياً من المادة الغذائية والزبدة لانها لم تكن تتغذى على العشب الذي تحتـاجـه. ولكنـه في مكانها الجديد كانت تشعر بدفء كبير وكذلك فقد كانوا يجلسون فترات طويلة وهم

يتسامرون .

تكونت لديهم الآن خبرة جيدة لاعداد الموقد وترتيب الحجارة وتركيز الطعام عليها يتمكنون من اشعال المزيد من النار للطهو الحبوب وشي البطاطا واللحم وحبات الكستناء

كانت (كاثرين) مستغرقة في التفكير ومطرقة رأسها للاسفل فقال لها (دان) :ـ

ـ (كاثرين) .. هذا بعض الحليب لك .

اندهشت (كاثرين) عند سماعها صوت أخيها ورفعت رأسها فرأته يمد يده من خلف الباب ويقدم لها الطاسة ، فرفعت نفسها لكي تتناولها منه وفوجئت عندما رأتها مملؤة بالثلج بدلاً من الحليب .

ما أن اعطاها (دان) الطاسة حتى أدار ظهره وهرول مسرعا للخارج خوفا من أن تضربه بوجهه بالثلج . تناولت الثلج الموجود داخل الطاسة وركضت خلفه لكي تضربه به ولكنها عندما خرجت من الباب فوجئت بكرات الثلج تقذف عليها من كلا الجانبين حيث كان (دان) و (تيزا) ينتظران خروجها . حاولت أن تصد كرات الثلج عنها قدر المستطاع ، وبدأت تصيح وتتوعدهما :

ـ حسنـاً ايهـا اللعينان سأتمكن منكما، ولكنني لاأكتفي برميكما بالثلج بل سأحشوه بفميكما وتحت الجلد الذي يغطي ساقيكما وكتفيكما.

بدأ الثـلاثـة يتراكضون ويدورون خلف المخزن وهم يضحكون ويمرحون وأحدهم يقذف الآخر بالثلج وكانت (تيزا) هي الاكثر تحرشاً وضرباً لكي يستمرا باللعب معها وهي تتوعدهما وتتحداهما:ـ

ـ امسكا بي أن استطعتما . . أمسكابي . . هيا . .

تركت (تيـزا) أخاها وأختها وركضت باتجاه المستنقع تشق طريقهـا بين اشجـار الغـابـة متبـاهيـة بنفسهـا، واستمرت راكضة بهذا الاتجاه الى ان اصبحت في وسط الغـابـة وحدها فشعرت بالخوف قليلاً لانها المرة الاولى التي تكـون فيهـا وحـدهـا في مثل هذا المكان الموحش فاتكأت على أحـدى الشجـرات لكي تستـريـح قليـلا، وفوقعت عيناها على جسم بني اللون ملقى على الارض المكسـوة بالثلج. كان شيئـاً غريبـاً بالنسبة لها تراه للمرة الاولى ولكنهـا تعـرفت عليه عندما تقربت منه. لقد كان أرنبـاً ميتـاً ومـدداً على الارض في حالـة سكـون تام. انحنت عليه لكي تلقي نظرة فاحصة عن كثب فشاهدت

أحدى قدميه وقد كسرت لانه وقع في فخ نصب له . شعرت بألم كبير عليه وحاولت مساعدته وانقاذه ولكنها وصلت في وقت مأخر ولم تتمكن من تخليصه من الشرك الذي نصب له لانه كان قد لقي حتفه .

استغرقت مدة وهي في حالة تأملها لهذا الارنب المسكين . كان كل شيء في سكون تام من حولها وكأن الطبيعة في حزن على موت هذا الارنب . وسط هذا السكون الذي يحيطها وهذا الالم الذي يغمرها من الداخل سمعت وقع أقدام ثقيلة تدوس الثلج من خلفها لم تستدر الى الخلف لانها كانت متيقنة ان القادم هما (كاثرين) و(دان) ، جاء يفتشان عنها ، لانها على مايبدو قد تأخرت عليهما . فجاءا يفتشان عنها . وقفت واستدارت لكي تناديهما وتخبرهما بمارأت ولكنها لم تر أحدا منهما بل سمعت لا صوت صفير ينطلق من الاتجاه نفسه .

استمر الصفير وبلحن طروب وبدأ صوتها يرتفع أكثر وأكثر . مرت مدة طويلة لم تر في غضونها أي شخص غريب ، ولكن غريزتها وفضولها دفعاها باتجاه الصوت لكي تتعرف على مصدره فخطر ببالها ان تختبيء خلف

جذع أحد الاشجار وبدأت تحدق من بينها الاغصان بشغف.

بعد قليل ظهر شاب صغير يبلغ العشرين من عمره، وهو الذي كان يطلق الصفير. استطاعت (تيزا) أن تتعرف عليه فقد كان نجارا من قريتهم، لكن ذاكرتها لم تسعفها لكي تتذكر اسمه.. هل هو (دج).. أمن (فرانسيس) . لقد تذكرت ان هذا النجار قد صنع لوالدها في احد الايام عربات. وفضلا عن ذلك فقد كان ماهرا في صنع الكراسي والموائد التي يبيعها للناس في مدينة (شيفلد). كذلك فهو يرقص على نحو رائع وجميل ولابد أن تتذكر اسمه فيما بعد.

اقترب هذا الصياد الشاب من الارنب الذي وقع في الشرك وكان يحمل على كتفه شبكة صيد، وعندما أصبح فوقه رمى عن كتفه الشبكة ووضعها الى جانبه فوق الثلج، وأخرج سكينا من غمده الجلدي المثبت في حزامه، ثم انحنى على الارنب. وفجأة توقف عن الصفير عندما لمح أثار اقدام (تيزا) باقية على الثلج. وقف بسرعة على قدميه وتتبع الآثار الى أن وصل الى الشجرة التي كانت تقف خلفها.

عندما وصل الى الشجرة بدأت (تيزا) ترتجف وشعرت انه كان يتفحص وبكل دقة العمق الذي تركته الاقدام في الثلج. ثم راح يدور حول الشجرة ووقف خلف وأراد أن يمسكها، ولكنها بحركة خاطفة وخفيفة ابتعدت عنه وكل جزء في جسدها كان يرتجف خوفاً. ابتعدت عنه وكأنها أرنب صغير يهرب من ثعلب يريد اقتناصه فتبعها ولم يتركها، ولكنها كانت اسرع منه واحتمت وراء مجموعة اخرى من الاشجار القصيرة السيقان والكثيفة الاغصان وتوسلت اليه ان لايؤذيها :-
- أرجوك لاتلمسني . .

شعر كم من الخوف معبأ داخل هذه الطفلة البريئة عندما سمع توسلاتها اليه ولاحظ جسمها الرقيق وهو يرتعد وكيف كانت عيناها مفتوحتين على اتساعهما من شدة الخوف والدهشة. أحس بالالم لانه سبب كل هذه المخاوف والقلق فأخفض يديه الى الاسفل وجلس مرة ثانية على الارض لكي يثبت لها انه لم ينوي ايذاءها أبداً.
- ماهو اسمك ايتها الصغيرة الجميلة؟
- أجابته وقد بدأت تشعر بالقليل من الطمأنينة :-

ـ انـا (تيـزا) . . (تيـزا تيپ يوت) . . . أنا أعرفك جيدا ،

ـ (تيزا تيپ يوت)!! هل هذا صحيح؟

كان اثنـاء حديثـه معهـا ينظر الى شعرها المتلبد لانها لم تسـرحـه منذ مدة طويلة ويبدو عليه انه غير مصدق لما قالتـه . كان شعـرهـا متلبـدا من شدة اتساخه ، وملابسها ممـزقـة وبـاليـة . وتضـع على كتفيهـا جلد الخروف غير المغسول . فضلاً عن ذلك فقد كان وجهها هازلاً وشاحبا ومملوءا بالـوسـخ والبقـع . لذلـك لم يصـدق كلامهـا ، فسألها مرة أخرى وبدهشة كبيرة :ـ

ـ لكني لم أرك من قبـل ، واعتقـد ان جميـع أطفال عائلة (تيپ يوت) قد وافاهم الآجل منذ عدة أشهر.

ـ انـا هنـا مع أختي (كـاثـرين) وأخي (دان) نعيش في مخـزن الحبـوب الذي يعود للراعي (حكيم) صفر (دج) بصوت خاد وعال ، وحدق بعينيه المفتوحة على نصفيهما باتجـاه عينيهـا وهـو غيـر متأكـد بعد فيما اذا كان قد رآها وسمع بأسمها من قبل أم لاوعاد يسألها :ـ

ـ هل قلت أنكم تسكنون في ذلك المخزن الذي يقع في أعلى الحقل مع اخيك وأختك فقط . ؟ هل تقصدين ان والدك ووالدتك ليسا معكم؟

ـ نعم نحن وحدنا لان والدي ووالدتي يرعيان الجدة (چرانما) فهي مريضة لذلك لم يتمكنا من الحضور معنا الى هنا لم أر أمي منذ تلك الفترة، قبل ان يتساقط الثلج . ولم أر والدي منذ . . منذ . .

أغرقت عيناها بالدمع عندما تذكرت والدها ووالدتها وهاج بها الشوق والحنين لمرآهما ولم تستطع ان تتمالك نفسها فانهمرت الدموع بغزارة على خديها النحيلين ثم تابعت كلامها :ـ

ـ لم أر والدي منذ هبوب الرياح والعواصف القوية بينما كان يرسلنا الى هنا .

فقال لها مايزال مستمرا على صفيره :ـ

الم تشعري بالخوف وأنت هناك بالاعلى؟

لم تجبه بشيء بل اكتفت بأن هزت رأسها بالنفي .

لم تراود (تيزا) مشاعر الخوف في اثناء وجودهم في المخزن الا مرات معدودة كتلك الليلة التي شعر بها (دان) بوجود الفأر معهم في المخزن والذي ظنوه شبحا . ولم يعد الفأر الى المخزن أبدا منذ تلك الليلة لانهم اتخذوا حميع احتياطاتهم . ثم تذكرت انها خافت مرة ثانية عندما كانوا قرب النهر وخرجت عليهم السيدة

(هـوج) وأفـزعتهم وعنـدمـا شعـرت بوجوده بالقرب منها أحست برعب رهيب يهز كل كيانها، ثم أردفت قائلة له :ـ

ـ نحن لم نخف أبـدا خلال وجـودنـا بالمخزن ولم يعكر علينا صفونا غير الجوع والبرد.

ـ لستم انتم وحـدكم الـذين يحسـون بالجـوع. فجميع سكان القرية في هذه الازمة جاعوا الى درجة ان بعضهم مات من شدة الجوع. انا مثلا أمامك لم اذهب منذ مدة بعيدة الى مدينة (شيفيلد) لكي أبيع ماأصنعه من كراسي وعـربـات لذلـك بدأ موردي يقـل ولا يكفيني، وهـا انـذا أصطاد الارانب التي تكون لي كوجبة شهية تسد رمقي.

سادت فتـرة صمت بين (تيـزا) والصيـاد الشاب، ثم تركهـا ورجع الى أرنبه وحاول ان يخلصه من الفخ الذي كان بسـاقـه، بينما كانت هي تراقبه، بعد ان خلصه رماه تحت قدمي (تيزا) وقال لها :ـ

ـ يمكنـك ان تأخـذيـه وسيكون وجبة فاخرة لك ولاخيك وأختك.

أرتعبت هي من هذه الحـركـة ورجعت الى الخلف وهي تنظر اليه بدهشة :ـ

- لا . . شكـرا لك . . لسنـا محتاجين اليه ولا يمكن ان نأكله لانه ميت حديثاً وكذلك لانك وضعت يدك عليه .

لم يكن اعطاؤه لها كرماً لها، بل لكي يتخلص منه، لكنـه غضب من جوابهـا فرجـع اليها وهو غاضب لدرجة كبيـرة وأمسـك بهـا من كتفيهـا وهـزهـا هزة قويـة . لقـد سيطرت عليه في هذه اللحظة مشاعر الالم والحقد التي انتـابت السيدة (هوج) . لان أخته الصغيرة الآن طريحة الفراش لاصابتها بالحمى الشديدة في حين هم يتمتعون بصحـة جيـدة . لو كان يعلم ان هذه الطـريقـة جيدة في عزل الاطفـال السليمين عن المصـابين ويمكنـه بهـا ان ينقذها لكان فعلها من دون أدنى تأخير، بل كان سيفعلها بكل تأكيد .

راجـع نفسـه قليـلاً ونـدم على الافكـار التي انتـابتـه بخصـوص أطفال عائلة (تيپ يوت) واعتذر للصغيرة عن الطـريقـة التي عاملهـا بهـا . فلمـاذا يجب على جميـع الاطفال ان يقاسون ويعانون من المرض نفسه . . ؟ لماذا نخـســر عددا أكـبـر من الاطفـال . . ؟ لمـاذا يتمنى موتهم . . ؟ الايكفي مافقدوه من اطفال . . ؟ لماذا نخسر عدداً لكبـر من الاطفـال . . ؟ لان عدداً كبيراً من الاطفال

قد وافاهم الاجل . . ؟ كل هذه الاسئلة دارت بخلده وأنب نفسه على طريقة تفكيره هذه ، لذلك فقد اعتذر لها وتركها بكل رقة وحنان وعاد الى ارنبه مرة ثانية ، وانكب عليه لكي يسلخ فراءه :-

- شاهديني ماذا سأفعل ، سأعلمك كيف تسلخينه . فقط راقبيني .

بدأ يسلخ الفراء من عند ساقيه السمينتين وقد كان على أحداهما بقعة دم متجمدة فعمل على كشطها . بعد ان اكمل سلخ الفروة وضعها جانباً بحركة تدل على عدم الاهتمام و اللامبالاة وكأنها قطعة قماش بالية . ثم رفع رأسه الى (تيزا) حيث كانت تقف وهي مشدوده اليه .

لاحظت انه يتصرف بغضب وعصبية ولكنها لم تفهم السبب في ذلك لانها كانت مندهشة ومتعجبة لهذا العمل الذي تراه للمرة الاولى . ولكنه الآن أصبح لطيفا اكثر من ذي قبل :-

- يمكنك ان تجربي بنفسك اذا أردت ولاتستغربي بما اقوم به . ولاتتصوري انه صعب فأنت أيضا يمكنك ان تفعلي ذلك مثلي .

يبدو انها موافقة على كلامه ، لذلك أطرقت رأسها وهزته

قائلة :ـ

ـ وانا اعتقد ذلك .

ثم نهض وتناول جلد الارنب ووضعه في شبكته، أما الارنب فقد تركه لها قائلاَ :ـ

ـ لقد أصبح الارنب الآن جاهزاَ للطبخ ويمكنك ان تأخذيه . ماعليك الا تنظفي احشاءه الداخليه قبل ان تبدئي بطهوه وأنا أعتقد انكِ تستطيعين ان تفعلي ذلك . . أليس كذلك؟ فهمست له بصوت منخفض جدا مؤكدة على كلامه :ـ

ـ نعم استطيع ان أفعل ذلك بكل تأكيد .

ـوأستطيع أن ارشدك الى أماكن الفخاخ الاخرى المنصوبة للارانب لاتخافي فأن لم أضعها بنفسي لذلك لم تلمسها يدي .

تركها وأدار ظهره وأخذ يتسلق التلة بخطوات واسعة، لذلك كان عليها أن تتبعه لكي تبقى معه ولاتتأخر عنه . عندما وصلوا الى فخ آخر، أشر عليه بيده لكي تراه . فقد كان به أرنب . وبد ينصحها ماذا يجب عليها أن تفعل :ـ

ـ اذا تمكنت من تخليص هذا الأرنب فهو ملكك الخاص . آريني مهارتك، ماذا ستفعلين الآن . ما عليك

الا ان تكوني حذرة من مخالبه، وبعد ان تنزعي منه الفخ خذيه معك للمخزن واسلخي عنه الجلد كما فعلت امامك قبل قليل ثم نظفيه بعد ان تنزعي أحشاءه، وبذلك ستحصلين على فراء غال ولحم لذيذ. . . هل تسمعينني جيداً.

ثم انحنى الى الاسفل وراح يحدق على الفخ ودعاها بحركة من رأسه لكي تتقدم وتنزع عنه الفخ. وعندما انحنت لكي تقوم بذلك أبتعد هو عنها قليلا وراح يراقبها بعينيه. كانت يداها ترتعشان خوفا. . . انها المرة الاولى التي تلمس بها ارنبا ميتا. وقبل ان يتركها علمها كيف تنصب الفخ مرة ثانية وكان يحدثها برقة متناهية لانها ذكرته بأخته الصغرى:-

- هذا الفخ ملكك الآن ياعزيزتي، ومن الآن فصاعداً أي أرنب تجدينه به فهو لك وحدك فقط ولاتخافي فأنا لن أطالبك به أو ألمسه بيديّ. . . أعدك بذلك.

- شكراً جزيلاً ياسيد (دِج موسوب).

أجابته والضحكة تملأ وجهها، ثم حملت الأرنب من أذنيه الطويلتين وانطلقت تركض مسرعةً ولكنها تذكرت ان تسأله شيئاً فتوقفت قليلاً:-

ـ نسيت أن أسألـك عن والـدي ووالدتي . . . هل تعرف عنهما شيئا سيد (موسوب)؟ أتعتقد أنهما بحال جيد لم يستطيـع أن ينظـر بوجههـا ، فأطـرق رأسه في الأرض نحو قدميه وأجابها :ـ

لاأستطيـع أن أخبـرك أي شيء عنهمـا ، لانني أنا نفسي لاأعرف شيئا وفي الوقت نفسه لاأريد أن أخادعك وأقول لك انهمـا بصحـة جيـدة لأن الأتصـال بين أهالي القرية بات مستحيلاً الآن . كل واحد يقبع في بيته ولايوجد بيت خال من المـرض وقـد ابتعد الناس عن بعضهم ولم تعد هنـاك زيـارات بينهم خوفا من الكلام واللمس، هذه هي الحقيقة ياعزيزتي .

أصيبت بخيبـة أمـل لسماعها كلام (دِج) وشعرت ان قلبهـا قد اِنفطـر فتـركته وذهبت تركض باتجاه المخزن .

وشعر انه سبب لهما ألما كبيرا فقال لها يخفف عنها قليلا :ـ

ـ لكنني مع ذلـك فأنـا لم أسمـع ما هوسيء عنهمـا ، ولاتقلقي فستسمعـون بكـل شيء حال حدوثـه ـ لكن أليس لديـك رسـالة أوصلها لهما . لكي أكتبها على لوح وأعلقه على باب بيتهم وهم سيعثرون عليها بالتأكيد .

كان لديهـــا الشيء الكثيـــر الـــذي تريـــد أن توصله اليهما ، لذلك فقد أخذت تفكر كثيراَ قبل أن تتكلم :ـ
ـ حسنـاَ سأفعـل ولكن ألاتعلم ماذا يجب علي أن أكتب في رســالتي أريــدك أن تخبــرهم اِن (دان) تدحــرج وجـرحت ركبتـه ولكنه الآن بحال أفضل لان هذا الشيء حدث منذ مدة بعيدة .

فابتسم (دِج) وقال لها ممازحا :ـ
ـ سافعـل ذلـك ، وهـل تريدين أن أخبرهم أنني اعطيتك ارنبا بريا للاكل .
ـ نعم وأخبـرهم كذلـك انـيا نمتلك جلود الخـراف التي تدفئنا كثيرا .
ـ واذا أرسلوا معي رسالة فأنني سأوصلها لك .
ـ اذن سأكون هنا في انتظارك غداَ وفي الوقت نفسه لكي أخذ منك الأخبار.
ـ حسنا اِتفقنا .

ثم تركتـه وركضت مسـرعـة والفـرحـة تملأها وتريد الوصول باسرع وقت ممكن لكي تخبر (كاثرين) ماحدث معها. أما (دِج) فأنه لم يتحرك من مكانه قبل أن يطمئن عليها وهي في طريقها الى للمخزن. وبعد أن غابت عن

بصــره ادار ظهــره باتجــاه الأسفـل الى حقلهم . طوال الطــريق كانت (تيــزا) تفكـر كيف ستستقبـل والـدتهـا أخبارهم وماذا سيكون موقفها عندما يخبره بأنه اعطاها أرنبا .

عادت (تيـزا) في اليـوم التالي الى المكان نفسه كما وعـدتـه ، واستمـرت على هذه الحال عدة أيام ولكنها لم تتمكن من رؤيـة الصيـاد الشـاب مرة ثانية فشعرت بحزن كبير وقلق على والديها .





نهاية الرقص

مضـــى وقــت طويــل على عودة كل من (دان) و (كـاثـرين) الى المخـزن لكي يرتـدوا ملابسهم الجافة . وكـان لدى (كـاثـرين) رغبة باضرام النار لكي تغلي عليه قليلاً من الماء قبل مغيب الشمس حيث يصبح الجورطباً وما كان على (دان) في هذه الحالة إلا أن يراقب اشتعال النار. لذلك فقد حنى الجذع فوق النار وبدأ يدفىء يديه

ووجهــه بالشعلة وهـو مستمتـع بصـوت تكسـر العيـدان اليــابســة وهي تحتـرق وهـو يستمـع الى صوت نحيب الغربان وسط الغابة .

شقت (تيـزا) طريقهـا بين أشجـار الغـابـة في طريق عودتهـا ، وعنـدما وصلت إلى المستنقع تمكنت من رؤية وهج النيران التي اضرماها ولكنها لم تتمكن من رؤية وجه [دان) من مكـانهـا الـذي تقف عنده إلا أنها تمكنت من لمـح خيـالـه كمـا تمكنت من رؤيته عندما صعدت قليلاً على التلّة . فقـد كان منهمكاً بتكسير العيدان والأغصان اليــابســة ورميهـا في جوف النـار لكي تكبـر وتستمـر في اشتعالها وتوهجها . أما الثلوج البيضاء التي تحيط به فقد بدأت تذوب شيئـاً فشيئـاً وأصبح لون الارض أصفر بدلاً من أبيض .

بدأت الشمس تسحب آخر خيوطها معلنة بذلك عن قدوم المسـاء بظلامه الشديد الحلكة وبرده القارس . أما المخـزن فقـد كان دافئـاً ومنـاراً ومجهـزاً جيداً لاستقبال اصـدقـائـه الثـلاثـة . وكانت دهشتهم كبيرة عندما دخلوا ووجـدوه بهـذا الشكـل الجميل ، حتى ان الأرض كانت منظفة على نحو جيد ، بدأوا يتبادلون النظرات فيما بينهم

بدهشة واستغراب فقال (كاثرين) :ـ

ـ أوه من أشعل ضوءنا . . . من نظف أرضنا . . . ولمن يعود هذا المعطف المعلق خلف الباب . لم تقل (كاثرين) كلماتها بطريقة اعتيادية ، بل تغنت بها باللحن الذي كانت والدتها تتغنى به عندما تقوم بتنظيف المنزل . عندما سمع (دان) (كاثرين) وهي تتغنى بلحن أمها استيقظ من أحلام اليقظة التي كان مستغرقاً بها منذ دخولهم المخزن وشعر بألم كبير لانه تذكر أمه وبيته وأصدقائه . فقد استرجع كل ذكرياته لمجرد سماعه هذا اللحن .

بعد أن أنتهت (كاثرين) من غنائها التفتت إِلى أختها سألها عن سبب غيابها الطويل خارج المخزن :ـ

ـ أين كنت طوال هذه المدة . . . وماذا تحملين بيدك . . وكيف عثرت عليه . . .؟!!

ـ إِش . . . إِش عندي لكم مفاجأة وما عليك الا ان تضرمي لنا ناراً جيدة لاننا سنتناول وجبة عشاء فاخرة هذا المساء .

إِتجهت (تيزا) إِلى الصخرة التي يستخدمونها كمائدة للطعام وألقت عليها أرنبها . أما (كاثرين) فقد أحضرت

حبات قليلة ومتنوعة من الخضرة لكي تعمل بها حساء جيدا يتناولونه الى جانب لحم الأرنب وعندما نظرت اليه وهو ملقى على الصخرة دُهشت وسألتها :ـ

ـ من أين لك هذا . . . أين وجدته؟

ثم مدت يدها وبدأت تتفحصه وتقلبه من جميع الجهات ولكنها لم تشعر بالرهبة والخوف الذين أصاب أختها .

بدأت (تيزا) ترقص وتدور حول أرنبها بكل غبطة وفرح وهي تتكلم لأخيها وأختها عن كل ماحدث لها وعن لقائها بالنجار (دِج موسوب) في وسط الغابة . وأخبرتهما بأنها حملته رسالة الى أهلها والوعد الذي عقده معها بشأن امتلاكها للفخ وبحقها ان تأخذ الأرنب الذي تجده فيه .

ما أن سمعت (كاثرين) باسم النجار حتى تذكرت الرقصة التي جمعتها معه في عيد القديس الكبير (ميخائيل) في السنة الماضية . وكيف كان الجميع يصفقون بكل غبطة وفرح وهم يرقصون معاً على الرغم من أن أكثرهم لم يكن يعرف الرقص جيدا . كانت (كاثرين) في ذلك اليوم ترتدي رداء راهبات رمادي اللون ، خاطته لها أمها خصيصاً لهذا اليوم . وتضع على

رأسها شرائط بنفسجية اللون جلبها لها والدها. وذهبت بعيدا في أحلامها فتذكرت الكلمات الرقيقة التي همس بها (دِج) في أذنها عندما رآها «هذه الشرائط تضفي عليك سحرا وجمالاً أضافيا»، كلمات (دِج) هذه حملتها بعيداً عن (تيزا) و(دان) اللذين لايعرفان ما يشغل تفكيرها وهي كذلك لم تحاول إخبارهما عما يدور بخلدها، ثم سألت (تيزا):ـ

ـ ألم يسألك عني ابداً؟

ـ لا، أنه لم يسأل عن شخص محدد بالذات ولاأعتقد ان لديه ما يدفعه لكي يفعل ذلك، أوه (كاثرين) دعونا من هذا الهراء وهلمي نبدأ بطهو الأرنب.

ثم انتقت أفضل سكين لديهم واعطته لـ(كاثرين):ـ

ـ هذا السكين واسرعي يا (كاثرين)... أوه. أنا أريد الفراء لي ولكن لاأريد الجزء المدمى من اسفل الساق، قبل كل شيء اسلخي الفراء.

ـ ثم ماذا افعل بعد ذلك؟

ـ بعد ذلك اخذه انا وانظفه ثم اقطعه الى قطع صغيرة وأضعه في القدر لكي نطهيه ولكن لماذا لاتقطعيه أنت لانني أخاف أن أفعل ذلك؟

ـ وهل تعرفين كيف تنظفين أحشاءه الداخلية؟
ـ نعم اعـرف ذلـك جيـدا فقـد علمني (دِج) كيف أقـوم بذلك عندما كنا في الغابة .
ـ حسنـا . . . حسنـا انا اذن سأقطعه اِلى قطع صغيرة بعد ان تكوني قد نظفته جيداً

بدأت (تيـزا) بتنظيف احشـاءه من الداخل ثم غسلته جيـدا ونـاولتـه لأختهـا لكي تقـوم بتقطيعـه . فالتقطت (كـاثـرين) السكين وهمت بتقطيعـه ولكن يدهـا بقيت ساكنـة من دون حراك ، لقـد كانت حزينـة ومتألمـة على هذا الارنـب المسكين فلاحظت (تيـزا) عليهـا ذلـك وحـاولت ان تخفف عنهـا وتأخذ السكين من يدها لكنها رفضت ان تعطيها اياها واصرت على ان تقوم هي بذلك وحدها . أمسكت بالسكين هذه المرة بكل قوة ولكنها لم تتمكن من وضعها على جسد الأرنب لانها تصورت منظر الـدمـاء وهي تسيـل منـه . في تلك الاثنـاء دخـل (دان) عليهما وراح يمازحهما :ـ
ـ دعا عنكما ذلك . . . انا سأقوم بهذه المهمة .

لم تتحمل (تيزا) رؤية أختها وهي على هذه الحال ، فرفعتها من فوق الأرنب وأحتضنتها من كتفيها وذهبت بها

الى جذع الشجرة لكي ترتاح قليلاَ .
ـ رجـــاءً يا عزيــزتي لاتتألمي وتكــوني مضطـربـة بهـذا الشكل . . . انه ارنب ميت ليس الا .
ـ انا أعلم ذلك جيداً .
ـ انت شجـاعـة جداً وقـويـة ياعـزيـزتي وانت التي كنت تشجعينا وتحملين المسؤولية عنا في غضون هذه الشهور الطـويلة ، لذلـك على واحـدة مثلك ان لاتتأثـر ولاتبكي على هكـذا أرنب ، فهـو الان سيطبخ في القدر على النار ويكون لنا وجبة عشاء لذيذة .

هزت (كـاثـرين) رأسهـا وكـان وجههـا قد تموج لانها مسحت الـــدمـوع عن خديهـا بطـرف ردائهـا الشـديـد القـذارة . لقـد حزنت قليـلاَ لان (دِج) لم يفكـر بها على الاطلاق ولم يسأل عنها ابداً . وهي تعتقد انه لن يتذكرها أو يتعرف عليها اذا ما رأها .
ـ انا لست حزينة بشأن الأرنب يا (تيزا) .
ـ اذن ماذا هناك . . . استطيع أن أعرف؟
ـ انهـا فقـط ذكـريـاتي عن والـدتي وبيتنـا وحياتنا اليومية وكيف كنت اقف مع والـدتي في المطبـخ لكي اساعدها في اعداد الطعام ، كما نفعل نحن الآن .

شعرت بتحسن وراحة اكثر من ذي قبل، بعد أن تحدثت قليلاً مع (تيزا). وبدأت تعود الى حالتها الطبيعية عندما رأتها وهي تقطع اللحم وتضعه في القدر الذي يحتوي على حساء الخضار المنوعة، ورائحتها كانت أعظم عندما بدأت تشم رائحة الطعام يغلي على النار.

بعد أن تأكدت (تيزا) ان اللحم والخضار التي في القدر قد نضجت تماما أخبرت أخاها وأختها بذلك، فتجمعوا حول (القدر) لكي يفرقوا كلٍ بانائه الخاص به والذي كان يحمله بيده. كانت وجبة لذيذة ودسمة بالنسبة لجياع مثلهم وخصوصا ان لحم الارنب كان طازجا. وهم لم يتناولو وجبة طعام طازجة منذ أشهر بعيدة.

كانوا يتناولون طعامهم بنهمٍ وسرعة كبيرتين حتى انهم لم يتحدثوا بأي شيء، فقد ساد صمت عميق لم يكسره الا اصوات الوحوش وهي تتجول على بعد اميال منهم في الوادي المجاور للمخزن. لكنهم على الرغم من ذلك لم يشعروا بالخوف منها لانهم اعتادوا على سماع أصواتها منذ يومهم الأول في المخزن. انهم

أقـويـاء الآن وأصبحوا يعتمدون على أنفسهم بكل شيء وهم على استعداد لمواجهة أي شيء حتى الحيوانات المتوحشة .

بعد أن أنهوا وجبة الطعام الحارة، شعروا بدفء كبير يسري في جميع انحاء جسدهم، ولعل (كاثرين) الآن تشعر بتجسن بعد تناولها الحساء . ويبدو ان كل شيء بعد ذلك سيكون أفضل بالنسبة للجميع . بدأ لهيب النار يخف تدريجياً ، وبعد أن أنهوا طعامهم كانت النار قد خمدت نهائياً ولم يبق شيء من الوجبة التي طبخت .

قبل ان يناموا تأكدوا من اغلاق الباب عليهم بشكل محكم خوفاً من هجوم أي وحش عليهم ليلاً . هكذا كانوا يقضون أوقاتهم بين الغناء والرقص واللعب والطهو والنوم . وقد كانت (تيزا) كثيرا ماتتحرش بأخيها لكي يلحق بها ويبدأ باللعب والتهريج . وفي أحيان كثيرة كانت تحاول أن تقنعه بالنوم في وقت مبكر، لكنها غالبا ما تفشل في ذلك .

كانت (تيزا) تتغنى باغنيتها المفضلة التي تتكلم بها عن العناكب المتجمعة فوق العارضة الخشبية وتتمشى على مهلها الى ان تدخل في كومة القش :-

ـ انه يدخل في كومة القش وينتظر هناك طويلاً .
إلى أن نأتي ونتمدد عليها فيأتي ويدغدغنا
وعندما يخلد (دان) الى النوم
يخرج العنكبوت ويقفز عليه ويرعبه
فيصرخ هو برعب كبير . الشبح . . الشبح
الشبح ذو السيقان والمخالب الطويلة

وفي أحيان أخرى كنت تحمل فوق رأسها كيساً وتحبو على الارض متجهة صوب (دان) وهي تحمل عدداً كبيرا من العيدان التي تضعها بشكل متصالب. في أحدى الممرات وبينما هي تمرح مع اخيها بهذه الطريقة وقع

منها عود على الارض فتناوله (دان) بسرعة ورمى به باتجاه (كاثرين)التي التقطته ووضعته بكيس من القماش مع سكين واغلقت عنقه وبدأت تهزه لكي تحدث صوتاً يشبه الجرس .

وفي احدى الليالي بينما هم مستغرقين في نومهم وغنائهم ، سمعوا صوت ضرب شديد على باب المخزن ولكنهم لم يبالوا للأمر لأنهم اعتقدوا انه شيء من الضوضاء التي يحدثونها ولم يخطر ببالهم أن أحدا سيطرق بابهم في مثل هذه الساعة . عاد الطرق مرة

أخرى فتنبه الى ذلك (دان) واستطاع ان يميزه جيداً وقال لهما فجأة وهو خائف :ـ

ـإِشْ . . اشْ اسمعا الضرب الذي على الباب

توقفت الأختان مباشرة عن الغناء والرقص لكي تصغايان جيداً. وعندما سمعوا صوت طرق خفيف على الباب تجمدوا في اماكنهم، حتى ان النفس كان يخرج منهم بصعوبة، عاد الطرق ثانية على الباب. خطر ببال (دان) فوراً ان يكون الطارق هو الشخص المرسل لهم من والدته في القرية فصرخ بكل ما فيه من مرح الطفولة :ـ

ـانه الرسول . . انه الرسول

واندفع مسرعاً نحو الباب لكي يفتح ويدع الرسول يدخل، فرأى شخصا متكئا على الباب ونهض نفسه الى الأعلى جاثماً على ركبتيه ويديه على الأرض كأنه يريد النوم فقال (دان) :ـ

ـانه (حكيم) . . . انه (حكيم)

ركضت (كاثرين) باتجاه الباب واغلقته بقوة ووقفت وظهرها عليه من الداخل. لم يفهم (دان) (تيزا) سبب تصرف (كاثرين) بهذه الطريقة وحاولوا ان يسحبوها من خلف الباب بقوة كي يفتحوه للراعي فصرخت بهما :ـ

ـلن افتح ألباب انني خائفة.
حاول (دان) ان يبعدها وهو يجرها بقوة من ذراعيها :ـ
ـلكن يا (كاثرين)، انه صديقي، ألا تعلمين ذلك؟
ـنعم أعرف ذلك ولكن هل رأيت وجهه كيف كان أحمر. . . أنه مريض.
فأصرت (تيزا) وهي تتوسل اليها :ـ
ـلذلك يجب ان تدعيه يدخل.

كانت (تيزا) و (دان) مستمرين في محاولتهما لسحب (كاثرين) من خلف الباب، لكنها كانت تجاهد بكل قوتها لكي تمنعهما وهي تقول :ـ
ـألا تفهمان. . . انه مريض
فقال لها (دان) بعصبية وقد رقّ له قلبه :ـ

ـانت من لايفهم ولايرحم ولسنا نحن. . . انه (حكيم) وهذا مكانه الذي يعيش فيه وهو الآن مريض فدعيه يدخل.
ـألا تفكر ولو مرة واحدة بعقلك، انه مريض وربما يحمل الوباء معه ويعدينا.
بعد هذه الكلمات فهمت (تيزا) ما تقصده اختها ولكن عاطفتها خانتها فقالت :ـ

-ولكن لايمكن ان نتركه بالخارج وهو بهذه الحالة.
فسألتها (كاثرين) محاولة اقناعها ولكن من دون جدوى
-لا نستطيع ان نفعل شيئا غير ذلك، هل عندك البديل، ماذا كانت ستفعل والدتي لو كانت موجودة؟
فرد عليها (دان) بمنتهى السذاجة :-
-انت تعرفين جيدا ماذا ستفعل الوالدة لوكانت في مثل هذا الموقف، من المؤكد كانت ستدخله وتجهز له وجبة عشاء جيدة وتعتني به الى يصبح بحال أفضل، حتى لو كانت لا تعرف
فشعرت (كاثرين) بالذنب وتنهدت ثم قالت :-
-حسناً يا عزيزتي سندخله اذا كانت حالته خفيفة وليست خطيرة، هل بقي شيء من الحساء الدافيء لكي نقدمه له؟
فعانقت (تيزا) اختها لانها وافقت أخيراً على ان يدخل وقالت لها والفرح يغمرها :-
-سيكون الحساء جاهزا في الحال، فالنار لم تخمد بعد واستطيع ان اضع قليلا من العيدان والأغصان لكي تشتعل مرة ثانية . . . هل افعل ذلك حالاً يا (كاثرين)؟
اطرقت (كاثرين) رأسها من دون ان ترد بكلمة واحدة

على أختها، ففهمت انها موافقة على ادخاله واطعامه من الحساء لكي يتدفأ ويشبع معدته. ما كان من (كاثرين) في هذه الحالة الا أن تخطت قليلاً للأمام لكي تفسح المجال له كي يدخل ولكنها همست في اذن (تيزا) وأمسكت بيد (دان) بكل قوة محذرة أياه حتى لايقترب منه :-

-يجب ان تكونا بعيدين عنه قدر الأمكان لان ذلك أأمن وأسلم لنا.

عندما فتح الباب وقف (حكيم) على قدميه وعيناه تتوسلان بهم. أستطاع الأطفال أن يميزوا بريق عينيه والتوسل الذي يشع منهما في ضوء القمر. كان وجهه مرهقاً جداً، وقد ارتسمت هالات زرقاء تحت عينيه ولكن على الرغم من ذلك كان التفاؤل يشع منه.

ادخلته(تيزا) وقادته باتجاه القدر وقد اضرمت تحته النار. وما ان رآه (دان) حتى ركض باتجاهه وقال له :-

-(حكيم) يا عزيزي.

نظر (حكيم) اليه ولكنه لم يتعرف عليه ثم قال له وهو يتنفس بصعوبة :-

-أنا جئت هنا الى هذا المكان النائي لكي اكون وحيداً

ولم اعلم بوجـودكم هنا. أنا لااعرف ماذا يجب ان أفعل بنفسي ولاأعرف ما هو الحل.

كان (حكيم) اثناء حديثه مع (دان) مايزال واقفا على قدميه لكنه لم
يحتمل اكثر من ذلك فوقع جاثما على ركبتيه. كان منظره يشبـه خروفـاً مريضاً، هكذا تصورته (كاثرين) لذلك رق له قلبهـا وتسمـرت في مكانها حتى انها نسيت ان تركض باتجــاهــه وتـرفعـه عن الأرض وهي على علم اكيـد ان والـدتهـا كانت ستفعـل الشيء نفسـه لو كانت مكـانها.

ولكـانت اطعمتـه ودفأتـه ولكنها لن تدع أطفالها يقتربون منـه لانهـا تعـرف مدى خطـورة مثل ذلك الشيء عليهم وهـذا ما أجبـرهـا على أخـراجهم من بيتهم في مثل هذه الظـروف الجـوية القاسية وتركتهم في مكان نائي كهذا، يعانون ما يعانونه الآن.

عادت (كـاثـرين) تفكـر بأمهـا وما قامت به في سبيل ابعادهم عن الوباء
وتسألت لو أن والـدتهـا تعلم أن شخصٍ مصـابـاً بالوباء سيدق بابهم ويدخل عليهم ماذا كانت ستفعل؟ بالتأكيد كانت ستمنعه من دخول المخزن. لذلك يجب ان تفعل

ما كانت امهـا ستفعله وتـدخـل أخاها، فاندفعت باتجاه (دان) وأبعدته بعنف عن (حكيم) :ـ
ـأتركه وابتعد عنه وهو سيصبح بحال افضل.
سحبتـه بيـده من الـوراء وأجلستـه في مكـان بعيـد عن (حكيم) وقالت له :ـ
ـ ابق هنا مكانك ولاتقترب منه.
ثم اتجهت الى كومـة القش وجلبت منهـا البطـانيـة التي تخصها ووضعتها فوق ظهر الراعي . في تلك الأثناء جاء صوت (تيزا) من الداخل :ـ
ـالحساء جاهز.
فردت عليها (كاثرين) :ـ
ـاجلبيه في صحن صغير وضعيه على الأرض بجانبه
جاءت (تيـزا) من الـداخـل حاملة معهـا صحن الحساء بكل حذر لانه كان حاراً جداً وقدمته له قائلةً :ـ
ـتفضل يا حكيم هذا حساؤك.
وقـربت منـه الصحن حيث كان هو حانياًرأسه فقربه وشم رائحـة البخـار اللذيذة التي تتصاعد من سطح الحساء.
فقالت له وهي تشجعه لكي يأكل
ـانـه جيد وصحي وستتحسن وتكون بوضع أفض بعد أن

تتناوله باتأكيد.

كان (حكيم) مستندا على احد مرفقيه فحاولت (تيزا) رفعه عن الأرض وجعله بوضع افضل لكي يشعر براحة اكثر ثم اسندته على الحائط فقال وهو يثني عليها :-

-انه لذيذ ودافىء فليباركك الرب على صنيعك هذا فنظرت اليه بعينين مليئتين بالفرح والسرور لأنها استطاعت أن تريحه.

قررت (كاثرين) ان تعيده ثانية الى خارج المخزن وتغلق الباب ولكنها فكرت كيف ستتمكن من اقناع أخيها وأختها. ولكنها ستلجأ لاجبارها على ذلك من اجل حمايتها. لذلك فقد صرخت على (تيزا) لكي تتركه وتبتعد عنه :-

-تعالي الى هنا بسرعة يا (تيزا) ودعيه وحده يكمل وجبته، فأنا لدي ما أحدثكما به.

ثم اتجهت هي صوب (حكيم) وسحبت منه صحنه ووضعته خارج المخزن وعادت اليه وقادته من يده وأخرجته خارج المخزن ثم دخلت واغلقت الباب خلفها.

بقي (دان) و(تيزا) مندهشين لتصرف اختهما بهذه

الطـريقـة ولكنهما لـم يحدثاها بشيء ولم يسألاها بسبب تصرفها بهذه الطريقة لانها تبدو قلقة ومرتبكة لدرجة كبيرة .

كانت يداهـا ترتجفـان وحاولت كثيراً ان تحدثهما ولكنها لم تجـد شيئـاً تقـولـه لهما . ولم تعرف كيف توضح لهما الموقف وسبب سلوكها بهذا النحو. لم يكن باستطاعتها إلا اصدار الأوامر لهما كي يدخلا عنه خوفاً من اصابتهما بالمـرض . ثم جلست على صخـرة التفكيـر والتقطت بيدها اللوح وبدأت ترسم عليه حروفاً بطريقة عشوائية

جلس (دان) و (تيـزا) الى جانبهـا وهما يراقبانها بكل وهـدوء ودهشـة لمـا تفعله ولم ينبسـا بحـرف واحد . لقد تذكروا والدهما لانه كان دائماً يفعل ذلك عندما يستغرق في التفكيـر في المشاكل العائلية والمتاعب التي تواجهه وكـانـوا هم ينتظرون كي يبوح لهم ما يتعبه ويقلقه كذلك هذه الليلة يجب عليهما ان ينتظرا (كاثرين) كي تتحدث بنفسها من دون ان يجبروها على ذلك . بعد تفكير طويل وصوت لايخنو من الأرباك قالت :ـ

ـ ما فعلتـه ضد رغبتي ولاتعتقـدا انني اكـرَهه . انا مثلكم اعطف عليـه وأريـد مسـاعـدته ، ولكنني في الوقت نفسه

اريـــد ان احفــظ الـوعـد الـذي قطعتـه على نفسي مع الوالدة . . . أريد أن أحافظ عليكما فهذه مسؤوليتي . . . يجب ان احــافـظ عليكمـا وأمنـع أي مكـروه ممكن ان يحدث لنا ويصيبنا .

لم يرد بكلمـة واحـدة ، فقـد كان(دان) مطـرقا رأسه الى الأسفـــل ومقـــدرا حجم المشكلة التي تتحـــدث عنهـا (كاثرين)، كذلك كانت (تيزا) . أكملت (كاثرين) كلامها :ـ

ـ يبـدوعلى وجهـه وعينيه انه مصاب بالوباء ، فاذا دعوناه يدخل ويجلس بيننا فاننا سنلمسه ونكون على مقربة منه فنصاب بالمرض ونموت واحدا تلو الآخر.

فاقترحت (تيزا) عليها شيئا بوحي من عاطفتها التي طالما تتغلب على عقلها :ـ

ـلن تكن هناك حاجة الى لمسة ، فهوسيكون ممددا في أحدى الزوايا ونفرش له كومة من القش لكي ينام عليها .

ـ ولكن لاتنسى اننا سنتنفس الهواء نفسه الذي تنفسه هو.

كانت (كـاثـرين) ترتعـد وهي تتـذكر ما فعلته السيدة (ماجي هوج) عندما كانوا قرب النهرفي ذلك اليوم الذي لايغرب عن بالهم أبداً . وأكملت قائلة :ـ

ـلاأعلم ما الـذي يجعـل وباء مثل هذا ينتشر بين الناس بهـذه السـرعـة ولكن الـذي أعلمه جيداً ان المريض اذا تنفس فان الهـواء المحيـط به يتلوث بالوباء لذلك يجب ان لايكون معنا في مكان واحد ولانذهب بالقرب منه وأنا سأمنعكم من ذلك.

وكالعادة سألتها (تيزا) كما تفعل دائماً:ـ

ـاذن ماذا سنفعـل... لاتقـولي اننا سندعه هناك خارج الـمخـــزن... لا... لايمكن ان نفعـــل ذلـــك. ألا تعتقدين اننا ان ننقذه ونجعله بحالة أفضل بكثير...؟

ثم قفزت من مكانها وهي تجر أختها من مكانها:ـ

ـهلمي... تعـالي يا (كـاثرين) لكي نساعده.. أرجوك يا عزيزتي

ثم أردف (دان) قائلاً:ـ

ـأنا أعرف ماذا يجب أن نفعل.

لم تعر (كاثرين) كلام أخيها أهمية تذكر وركضت باتجاه البــاب لكي تمنـــع (تيـزا) من فتحـه وبـدأت تخـاطب (حكيم) من خلف الباب الذي مازال مغلقا فكان صوتها عاليا:ـ

ـ(حـكيم)... اجبني هل تسمعني؟أم تريـد أن أرفـع

صوتي أكثر من ذلك؟ .

ـ نعم انني اسمعك

كان صوته يدل على انه اصبح بحال أفضل من السابق

ـ هل كنت هناك في القرية؟

ـ نعم لقد ذهبت لرؤية الفتاة الجميلة التي تغني وترقص في المقهى .

ـ هل شاهدت أي شخص، هل شاهدت الأشخاص الذين يسكنون حقل (تيپ يوت)؟

كان الأطفال جاثمين خلف الباب وآذانهم مشدودة لكي يسمعوا جوابه، وقبل ان يكمل كلامه سعل سعلة خفيفة وكان يتحدث بصعوبة :ـ

ـ لم أشاهد أحداً أبداً، فالابواب والشبابيك جميعها كانت مغلقة لم أرَ شخص يمشي في الحقل . . . لاأصوات تسمع . . . لاأشخاص يمكن رؤيتهم . . . لاحيوانات في المزارع والحقول، حتى الدجاج لم نعد نراه حتى خُيّل لي كأنني أمشي وأنا نائم . راودني شعور كئيب لم أشعر به من قبل . ثم اتجهت الى المغنية الجميلة في بيتها . هل تعرفون تلك الفتاة الجميلة التي تطربنا بصوتها العذب؟

أطرقت (كاثرين) رأسها وهي تتذكر تلك المغنية التي تدعى (مـولى كارتـر) . . . إنهـا أخت (حكيم) وقد كانت صديقـة والدتها . (مولى) فتاة جميلة مشرقة الوجه تمتلك صوتـا عذبـا ورنـانـا ولكنـه في الصباح كان مزعجا لانها كانت تغني بصوت عالٍ . ثم تابع (حكيم) :ـ

ـطـرقت عليهـا الباب ولكنه لم.يكن هناك أي جواب من داخـل البيت، حتى أطفـالهـا «الذين يشبهون قطيعا من المـاعـز حديث الـولادة ولايتـوقفـون عن القفـز واللعب وعنـدمـا اكون في زيارتهم فانهم لايعرفون الا القفز على كتفي وكأنني على شجـرة كبيـرة في حقـل يتسلق عليهـا القـردة والنسـانيس» لم أسمع صوتهم ولم يوجد أي أثر.

فمـا كان مني الا أن فتحت البـاب ودخلت وكلي أمل أن أجـد وجبـة طعـام جاهـزة بانتظـاري ، وفعـلاً فقد كانت المـائـدة عامـرة بوجبة طعام جاهزة بانتظاري ، لاينقصها الا الشخص الـذي سيتنـاولها . فجلست وأدخلت ساقي تحت المائدة وبدأت أتناول طعامي بشراهة واعتقدت ان الأطفـال ذهبـوا جميعهم مع أمهم لكي يشتـروا شيئا من السوق . لكنني لاحظت ان لون الحليب الذي يوجد في الكوب كان ازرق والخبز كان جافاً متيبساً مثل الحجارة .

وما هي اِلا دقائق حتى سمعت صوت مغنيتنا من الطابق العلوي ولكنهـا لم تكن تغني فقـد كانت تبكي وتنـوح. وقبـل ان يكمـل كلامه عاودته نوبة السعال مرة ثانية وبدأ يتنفس بصعـوبة لانه اجهد نفسه بالكلام في تلك الأثناء ركضت (تيـزا) اِلى مائـدة الطعـام وجلبت الشمعـة من فوقها، لانها اعتقدت ان ضوءها سيريحهم قليلاً وسيهدأ نفـوسهم. ثم تسـاءلت (كـاثرين) بشغف وهي تريده ان يكمل حديثه:ـ

ـثم ماذا حدث بعد ذلك؟ أرجوك أن تكمل كلامك يا(حكيم).

ـلقد كانت مغنيتنا وحدها في البيت وستبقى كذلك للأبد لأن أطفـالهـا الثلاثة قد ماتوا بسبب الوباء. وزوجها كان في الـخــارج يحـفــر الأرض لكي يدفنهم. ذهبت الى الأعلى لكي أواسيهـا وأخفف عنها قليلاً ولكنها صرخت بوجهي وهي تمنعني وتحـذرني من الأقتـراب منها. ولقد رجتني وتـوسلت الي ان لااقترب منها لانها كانت مصابة ولابـد ان تمـوت بعـد مدة قصيـرة. كان يجب علي ان ابتعـد عنهـا حتى انقـذ نفسي ولا اصـاب مثـل الآخرين بالـوباء. كانت (مولي) تتصرف بعقل وحكمة ولم ترغب

بالمـزيـد من الخسائر والأموات. فناولتها قطعا من الخبز والطعـام وخـرجت من بيتهـا مهـرولا وهـربت بسرعة من القرية بأكملها. انا لن ارجع الى هناك مرة ثانية أبدا ولم اشعـر بالحمى الا مسـاء يوم أمس. وربمـا استطيـع ان أتخلص منهـا وأهـزمهـا إذا احتميت داخـل المخـزن، لذلـك جئت الى هنـا ولكنني ام اتـوقـع وجـود أحـد في المخـزن وخصـوصـا اطفـال في عمـركم. فأنا سأشكل خطراً كبيرا عليكم بكل تأكيد.

تعب (حكيم) من كثـرة الكـلام فتـوقف لانـه لم يعد يقوى على متابعة حديثه.

لقد تأثر الأطفال كثيرا بحديثه ومابدا عليه من تعب وأعياء لذلـك لذلـك رجـوه ان يسكت لكي يرتـاح وبقـوا هم ساكنين بهدوء خلف الباب. فما أخبرهم به (حكيم) قد توقعتـه أمهم وتخـوفت منـه كثيـرا لذلك فعلت الكثير من اجـلهم وحـذرتهم من الأتصـال بأي شخص وجعلتهم يقـاسون ويعانون كل هذا من اجل أن تحميهم وتبعدهم عن الـوبـاء. لقـد هربوا هم من المرض، لكن [حكيم] جاء من القرية وجلبه معه، فماذا سيفعلون الآن وكيف سيتصرفون؟



شخص آخر يجب اطعامه

كانت (كـاثـرين) مستغـرقـة جداً بالنظـر الى اللوح الخشبي ، فحـاول (دان) ان يشـد انتبـاههـا فتقرب منها واخـذ اللوح الخشبي الـذي كان بيـدها وبدأ يرسم عليه قليـلا كمـا كانت هي تفعـل، وبعد ان انتهى سلمها اياه وقد رسم عليه بعض الشيء وانتظر منها ان تعلق اوتتكلم بشيء ولكنها لم تتحدث ولم تقل كلمة واحدة، فبادر هو

بالحديث :ـ

ـاسمعي يا (كاثرين)، أنا أعرف جيداً ما يجب علينا نفعله.

لكن (كـاثـرين) لم تجبه بشيء، ولكنها كانت فقط تتفحص اللوح والرسومات الموجودة عليه. لقد كانت رسوماته كلها بلا تنظيم أو تحديد، لذلك لم تفهم (كـاثـرين) شيئا ممارسمه، فرمت به الى (تيزا). وبعد تفكير قالت لأختها :ـ

يجب ان نفكر في طريقة نحمي بها (حكيم) وفي الوقت نفسه نتجنب العدوى منه

.هذا شيء أكيد ولكن كيف ذل

ـسنجعل هذا المخزن حظيرة للبقرة، لذلك يجب علينا ان نتحمل قليلا الرائحة. وفي الوقت نفسه نضع (حكيم) داخل الحضيرة ونشعل ناراً لكي تكون دافئة بالنسبة له بذلك نكون قد ابعدنا الدجاجات والبقرة عن الوباء ووفرنا للراعي قليلاً من الدفء والراحة عله يتحسن.واذا أحتاج الأمر أن أعطيه معطفي فأنا لن أتأخر أبداً

رحب دان و تيزا بالفكرة التي طرحتها عليهما

(كاثرين). وعلى الفور بدأ الأطفال جميعهم بالقيام بالواجب الملقى على عاتقهم. فنقلوا كمية من القش وأحدى البطانيات الى الحظيرة وجاؤوا بالبقرة والدجاجات الى المخزن. حال دخول البقرة الى المخزن اتجهت الى كومة القش وبدأت بالتهامها وتبعتها الدجاجات اللواتي بدأن بالتقاط الحبوب الملقاة على الأرض وخصوصا حول صندوق الحبوب، ثم طارت الى الأعلى وحطت فوق كومة القش. ثم ذهبت (كاثرين) الى الحضيرة لكي تنظفها من براز البقرة والدجاجات في حين كانا الآخران منشغلين بنقل القش من المخزن الى الحضيرة ليفرشوها على الأرض وينام عليها (حكيم). ثم ذهب دان وجلب له معطفا كي يتغطى به

بينما كان الأطفال منهمكين بتنفيذ مشروعهم وترتيب المخزن والحضيرة، كان (حكيم) مستندا الى حائط المخزن في انتظارهم لكي ينهوا عملهم وقد غطته (كاثرين) بالبطانية. وبعد ان انتهوا من عملهم دعوه كي يدخل الى الحضيرة ليرتاح قليلا. فرفع نفسه من الارض وبدأ يمشي بخطوات ثقيلة مستندا الى الحائط باتجاه

الحضيـرة التي جهـزت له . عندما دخل القى بنفسه فوق كومة القش ولف جسده بالبطانية ثم القى الأطفال عليه المعطف

ذهبت تيـزا بعـد ذلـك الى المخزن وملأت له صحنه بالقليـل من الحسـاء ووضعتـه في متناول يده لكي يأخذ منـه عنـد الحـاجة . ولكنهم لم يضعوا له ماء لأن الساقية كانت متجمـدة . ونهـار الغـد سيخرج أحدهم ليرى فيما اذا كان الثلج قد ذاب أم لا . كانت (كاثرين) تتردد على [حـكيم] بين الحين والآخـر لكي تطمئن على صحتـه وترى فيما اذا كان يحتاج لشيء ما :-

-اننـا جميعـاً آسفـون للوضع الذي انت فيه ، ولقد عملنا كل ما في وسعنـا لكي نوفـر لك الدفء والحماية من هذا البرد القارص

لكن (حكيم) لم يجبها بكلمة فتابعت هي كلامها :-

-فعلنـا كل ما باستطـاعتنـا ، واعتـذر عن أي كلام جارح خرج منا. أرجوك أعذرنا وقدر موقفنا الحرج ومدى قلقنا .

سعـل (حكيم) وحـرك جسـده قليـلا فسمع صوت قرقعة القش تحتــه . نهض قليـلا وحـاول ان يجيبهـا لكنـه لم

يستطيـع ، فرجـع الى مكـانه ثانية وسحب الغطاء فوقه ، وبعد ان ارتاح قليلا أجابها بكلمات متقطعة :ـ

-أنـا اشكـركم على كل ما فعلتـوه من اجلي ، ولاتقلقي فأنا مقدر موقفكم جيداً .

فكـر (دان) أن يحمـل النار من المخزن ويذهب الى الحضيـرة لكي يدفئهـا ولكنه كان حريصا أن يضع بعيداً عنـه حتى لايؤثـر الـدخان على صحته . كذلك يجب ان تكون بعيدة عن القش حتى لاتتسبب في حرقه . لانه في غضـــون هذه الشهـور البسيطـة عرف ان القش الجـاف يحترق بسرعة .

كان (حكيم) مستلقيـا على ظهـره ينظر اليهم من شق بسيـط في حائـط المخـزن لكنـه لم يتمكن من تحريك جسـده أو حتى الكـلام بشيء لان حرارتـه كان مرتفعه .

استلقى الاطفـــال على أسـرتهم لانهم كانـوا مجهـدين كثيـرا . فلم يسبق لهم ان قامـوا بهذا الجهد منذ قدومهم الى المخـزن قط . وكـانـوا يفكـرون بكل ما قاموا به في اثناء يومهم من جهد وما قدموه له من حساء ودفـء فقالت (تيزا) :ـ

ـسـاصلي للرب عله يشفيـه من الوباء ويطيل من عمره .

دعونا ننم قبل ان تلتهم (كلاودي) جميع القش الموجود في المخزن وتضطرنا أن ننام على الأرض.

كان شيئاً جميلا ان يستيقظ الأطفال ويبدأوا يومهم الجديد على صوت الدجاجات وهن يحركن رؤوسهن بين عيدان القش ويحدثن تلك الخشخشة. وقفت (كلاودي) على اطرافها واتجهت صوب الأطفال الذين استيقظوا على صوتها كانت اسنانهم تصطك مع بعضها من شدة البرد. كانت مهمة (دان) هي تنظيف المكان الذي نامت به (كلاودي) وفتح الشباك لكي يتجدد الهواء داخل المخزن. ثم يحمل كل ما تبرزته ويلقيه بعيداً خارج المخزن. في حين كانت (تيزا) تأخذها الى خارج المخزن لكي تحلبها، ولكن حليبها لم يكن جيداً أو كثيراً. وكانوا يعطون الجزء الكبير منه للراعي. أما (كاثرين) فقد كانت مهمتها أن ترعى (حكيم) وتلبي احتياجاته اليومية وتعتني بأخيها وأختها وتحميهما من العدوى.

في صباح اليوم الثاني نهض (حكيم) من فراشه ووضع الطاسة الخاصة به على الأرض فسحبتها (كاثرين) نحوها بوساطة عصا حتى لاتمسها بيدها.

جرتهـا الى خارج الحضيـرة ووضعت بها قليلا من الثلج لكي تنظفها وكانت قد أشعلت النار قبل ذلك لكي تغلي الحليب. ثم ملأت له الطاسة ودفعتها نحوه بالعصا التي رمتها له كذلك وطلبت منه أن يحرقها بالنار الصغيرة التي احرقتها بالقرب منه.

مع مرور الأيـام بدأت صحتـه تتحسن وأخـذ جسمـه يتقـوى شيئـاً فشيئـاً. وانخفضت حرارتـه تدريجيـا لكن وجهه ما يزال متعبا وشاحبا. وشعر الأطفال انه أفضل من السـابق لانـه بدأ يتحـدث معهم وخصـوصـا عندما تذكر اليوم الأخير له في القرية ولقاءه بأخته والموقف الذي دار بينهما وبدا عليه الندم:ـ

ـكـان يجب ان لا أتـركهـا وهي بهـذه الحـالـة... ماذا سيحدث لها الآن وهي وحدها ولا يوجد يوجد من يعتني بها؟ كانت بأمس الحاجة لي وتركتها.

كانت (تيـزا) جالسـة على صخـرة التفكيـر فأجابته لكي تريحه وتخفف عنه قليلا:ـ

ـلكن من المحال ان تعني بها وأنت بحالك هذا، فأنت تحتاج من يعتني بك لأنك مرهق جداً وعندما جئت الى هنا لم يكن بمقدورك الوقوف على قدميك.

ـعندما أشعر بشيء من التحسن سأذهب الى القرية لكي أطمئن عليها .

كان (حكيم) بين الحين والحين يستسلم لنوبات من تأنيب الضمير تجاه أخته . ولكنه عندما يعود ويتذكر حالته الصحية فانه يرتاح قليلاً ثم يستسلم للنوم بعض الوقت وبعد أن تشرق أشعة الشمس يستيقظ من نومه ثم يبدأ يتذكر ما يجب ان يقوم به تجاه أخته بمجرد أن يشعر بتحسن بسيط

كانت الأيام تمر عليه ثقيلة وطويلة وهو يشعر كأن سنة مرت على وجوده هنا. كانت الثلوج تملأ سطح الأرض لكنها من المؤكد ستذوب والمياه ستجري في السواقي والأنهار عند قدوم فصل الربيع ويصبح بأمكانهم الشرب يوميا ماء طازج من الساقية التي توجد قرب المخزن .

بعد ايام قليلة استطاع ان ينهض نفسه ويمشي بخطى ثقيلة وبطيئة باتجاه الباب وفتح عينيه بصعوبة لان اشعة الشمس كانت قوية وفي أحد الأيام سألهم :-

ـماذا جرى لخرافي يجب ان أقوم وارعاها ، ماذا عساها فعلت في هذا الشتاء المثلج؟ من الذي اطعمها وأعتنى بها؟ فان وقت وضعها قريب جداً لذلك يجب ان أقوم

وأرعاها .

عنـدمـا رأت (تيـزا) ان (حكيم) نهض من فراشه، نادت على أختها لكي تأتي اليه فربما يكون محتاجاً لشيء .

بعـد أن مشى (حكيم) خطوات معدودة وهو متكيء على الحـائـط تعب وشعـر بدوار في رأسـه فجلس على ركبتيه لكي يرتاح قليلا . كان راغبا بالعودة الى فراشه لكي يرتاح قليلا فقالت له (تيزا) :-

-لمـاذا لاتبقى مستلقيـا في فراشك، يجب ان لاتتصرف هكذا وتؤذي نفسك .

كانت هي قلقـة جدا بشأنـه ومـا كان يطمئنهـا قليـلا أنـه يتقـدم مع مرور الأيـام . بدأ يتناول قليلا من الطعام يوميا ولكنه ما سزال شاحبا هزيلاً ولا يقوى على الوقوف .

وفي أحـدى الأمسيـات الباردة كان الأطفال متمددين وهم يلفـون انفسهم بالبطـانيـات ولم تكن لديهم رغبـة للقيام والنهوض من أسرتهم، فسألت (تيزا) أختها :-

-هل تظنين أن وضع (حكيم) أصبح أفضل من السابق؟

- لاأعـرف صدقيني يا (تيـزا)، ولكن على ما يبـدو أنـه أفضل من السابق ولابد أنه بعد ذلك سيذهب بعيداً عنا .

فقال (دان) :-

ـولكنني لااريده أن يذهب
فردت عليه (تيزا) :ـ
ـلقـد تحسن وضعـه بسرعة، ففي بعض الأحيان يحاول ان يشعـــل النـار لكي يدفىء وأحيـانـا أخـرى يحـاول الخروج من الحضيرة أو يبقى مستلقيا بهدوء في مكانه.
فقالت (كاثرين) بسرعة :ـ
ـ ولكنـه ما يزال غيـر قوي بمـا فيـه الكفـايـة فهـو يحتـاج لشخص يرفع له الطاسة لفمه.
ـ ولكنـه متـروك معظم الوقت وحده، ففي بعض الأحيان أرغب بالـذهـاب والجلوس بقـربـه والتحـدث اليه حتى لايشعر بالوحدة ولكنني أخاف كثيراً :ـ
فسألها (دان) بسرعة :ـ
ـوما حاجتك للذهاب اليه؟
ـأنــا لاأود الـذهـاب من اجلي، بل من اجله هو، حتى لايشعر بالوحدة، وانه مهمل من قبلنا.
فردت عليها (كاثرين) بدهشة وكأنها توبخها :ـ
ـأتقـولين من أجـل راحتـه . . . أنـه الشيء الوحيد الذي لايمكننا ان نمنحه اياه.
ـأعرف ذلك يا عزيزتي ولكن لنحاول على أقل تقدير.

في صباح اليوم الثاني وعند شروق الشمس، استيقظ (دان) قبل أختيه. لم يود ان يوقظهما وحاول ان يسلي نفسه فذهب الى الساقية لكي يغسل وجهه وقد حمل معه طاسة، ثم عاد بها مملوءة بالماء، فجلس بجانب أختيه وبدأ يرش وجهيهما بالماء، ققفزت (كاثرين) وصرخت عليه تؤنبه على عبثه المزعج :-

-عفريت انت، ماذا تفعل أيها الضفدع، دع عنك هذا.

فوضع الكاسة أمامها وهو يريها أياها :-

-أنظري ماذا جلبت لك..

وقبل ان يكمل كلامه قاطعته (كاثرين) :-

-اعرف جيدا ما بداخله، أنه ماء، انك حقاً أحمق بحيث ترش وجهينا بالماء البارد في مثل هذا الطقس، لقد أحسست وكأنه يلسعني من شدة برودته.

-لقد جئت به من الساقية الجارية.

كانت (تيزا) قد استيقظت على صوت أختها فقالت له :-

-كان يجب ان لاتفعل ذلك، انها متجمدة.

فركض نحو الباب وفتحه لكي تدخل أشعة الشمس وقال لها :-

-لقد ذاب الجليد كله، انظري يا (تيزا) لقد اشرقت

الشمس اليوم.

كان باستطاعتهم ان يروا دقائق الغبار وهي تتطاير في المخزن لان اشعة الشمس قد ملأته وكأنها خيوط ذهبية، ثم سمع صوت من خلف المخزن، صوت جريان الماء في الساقية. لقد أوشك الأطفال أن ينسوا هذا الصوت لانهم منذ زمن بعيد لم يسمعوه. اقترحت (كاثرين) عليهما السماح للراعي بالخروج قليلا من الحضيرة لكي يتنفس هواءً نقيا فرد عليها (دان) بصورة مفاجئة صقعت لها لانها لم تكن تتوقعها:ـ

ـلقد فعلت ذلك منذ الصباح الباكر وانه بحال أفضل من السابق.

ـوكيف فعلت وهل لمسته بيدك؟ ألم تخف ان يصيبك الوباء؟

ـلم المسه بيدي أبداً، فقط فتحت له الباب وخرج متكئا على الحائط.

ـحسنا فعلت.

همت (كاثرين) لكي نقوم بواجبها اليومي، فاخذت (كلاودي) الى خارج المخزن وربطتها الى الشجرة فتبعتها الدجاجات بدأت تحلب البقرة وهي تكلمها:ـ

-نتوقع ان يكون حليبك جيد اليوم ، وبيضتان كبيرتان من صديقاتك الدجاجات .

قررت الفتاتان ان تذهبا الى الفخ لتتفقداه بعد تناول طعــام الأفطــار. وكــانت وجبتهم تحتــوي على البيض والحليب والجبن . وعنـدمـا ذهبوا وجدوا الفخ فارغاً ولم يكن به اي أرنب أصيبت الفتاتان بخيبة أمل وقد لاحظت (كاثرين) الحزن على وجه أختها فحاولت ان تخفف عنها :-

-لايهم فما يزال لدينا بعض لحم البقر المملح .

فنظـرت (تيـزا) وقـد ارتسمت ضحكـة كبيرة على وجهها لانها تكره هذا اللحم ، بل انهم جميعا قد ملوهذا النوع من الطعام، فهم لم يأكلوا غيره منذ قدومهم من المخزن .

انطلقت الفتـاتان تركضان بالغابة ، فقد مر زمن طويل عليهم من دون أن يلعبوا ويمرحوا مع بعضهم . غابتا مدة طويلة بين اشجـار الغـابة الكثيفة . بعد أن غابت السماء وامتلأت الشمس بالغيـوم ظهـرتـا وقد بدا عليهما التعب من كثرة اللعب والركض فقالت (كاثرين) :-

-اظن ان السماء ستمطر قبل وصولنا الى المخزن، وهذه

علامات قدوم الربيع .
ـاعتقد ذلك ، انظري هناك تحت الأشجار ما يزال الثلج يغطي جزءاً من العشب .
ثم انـدفعتـا تركضـان فوق العشب وتمـدّدتـا بين جذوع الأشجـار. فشعـرتـا كأن الشتـاء بدأ يلملم نفسه ويرحل فقالت (تيزا) :ـ
ـ لماذا لانعود فالوقت متأخر، وأقترح ان نأخذ معنا بعض العشب الأخضـر ونضـع قسماً منه فوق كومة القش لكي تبـدوا أكثـر نعـومة وجمالاً ونشعر ببعض التغيير. والقسم الآخر نضعه لصديقنا (حكيـم) .
لقد اعجبت (كاثرين) بما طرحته عليها أختها وأجابتها ضاحكة :ـ
ـسيظهر منزلنا بشكل أجمل . . . قش وأعشاب وقليل من الأزهار اذا وجدنا . . . وكذلك لدينا دجاج وبقرة . . . أوه ما أجمله من بيت هذا الذي صنعناه نحن .
ـستأكل البقرة الازهار والاعشاب بلا ادنى شك لانه نوع من التغييـر بالنسبة لها . وسيرحمنا الرب من القش الذي حشـونـا معدتها به وبذلك سنحافظ على أسرتنا من فمها الجميـل . أوه (كـاثـرين) لماذا لانذهب بسرعة فالشمس

قاربت أن تغيب .

لم تكن لدى (كاثرين) الرغبة بالعودة الى المخزن بل فضلت البقاء مدة أطول في الغابة بين الأشجار. انها فكرة جيدة ان تهرب قليلاً من حياتها في المخزن ومن القلق والخوف الموجودين داخله وخصوصا بوجود (حكيم) وانها المرة الأولى التي تبعدان بها عن المخزن وقد بدأ الثلج يتساقط ، لذلك فقد انتابها شعور غريب عند رؤيتها فتطر حبيبات الثلج وهي تتساقط ولكنها كانت على يقين من ان كل شيء سيكون على ما يرام وكل متاعبهم ستزول بمجرد مرور فصل الشتاء وانتهائه .

وكما توقعت (كاثرين) بعد أيام معدودة بدأت صحة (حكيم) تتحسن ، وبدأ الثلج يذوب والشمس ترسل أشعتها الذهبية كل يوم فوق رؤوسهم واكتست الأرض بغطاء أخضر. والطقس أصبح دافئا فكثر لعبهم ومرحهم في الغابة وعلى العشب وكانت (تيزا) وأختها غالبا ما تخرجان للمشي واللعب عندما تكون الشمس مشرقة والطقس دافئا . أما (دان) فيبقى مع (حكيم) علّه يحتاج شيئا ولكنهما لاتنسيان ان تحذراه من الأقتراب منه أو لمسه . وفي أحدى المرات شعرت (كاثرين) بالقلق على

دان فطلبت من أختها الاسراع في العودة الى المخزن :ـ
ـدعينا نعود الى المخزن، لاتنسي ان (دان) وحده الآن فهو لايعرف كيف يتدبر أموره.
ـأرجوك يا (كاثرين) دعينا نمشي قليلا، فنحن نحتاج للتنزه في مثل هذا الطقس واستنشاق الهواء الطلق، ولاتقلقي على (دان) فهويعرف كيف يتدبر أموره.

في تلك الأثناء كان (دان) جالسا وحده خارج المخزن ممسكا باللوح الخشبي بيده ويرسم عليه لكي يسلي نفسه، كان منهمكا برسمه بحيث انه سمع اصواتا من داخل الحظيرة ولكنه في بداية الأمر لم يعرها شيئا من اهتمامه. وعندما استمر الصوت انتبه اليه (دان). فقد كان اتيا منطلقا من (حكيم). ركض الى الحظيرة لكي يلقي عليه نظرة وعندما فتح الباب وجده ملقى على القش وهو يتلوى ويضرب بيديه ورجليه لأنه كان متألما جدا. حاول مرارا أن يرفع رأسه الى الأعلى ولكنه سرعان ما كان يخفضه. أرتعد (دان) عند رؤيته منظر (حكبم) وسرى رعب شديد في أوصاله لانه لم يسبق له رؤية هكذا منظر بحياته. وكان خوفه اكثر لانه وحده ولايعرف كيف يتدبر أموره، فحاول ان يعرف ما به ومم

يعاني :-

-(حكيم) هل تشعر بألم . . . ماذا يمكنني أن أعمل . . . هل تريـد أن أجلب لك شيئـا؟ كان صوتـه وهـو يتكلم يتقطـع ويـرتجف، ويداه ترتعشان فارتمى اللوح من يده واشتـد رعبـه وقلقـه لانـه (حكيم) لم يجبـه بشيء وهـو لايعرف ماذا عليه أن يفعل في موقف كهذا .

لم يستطيـع هذا الصغيـر أن يفعـل أي شيء في هذه اللحظة وقد أرشده تفكيره الى التفتيش عن أختيه علّهما يستطيعـان أن يفعـلا شيئـا . فاندفع الى الخارج يركض بين الاشجار والحقول وفوق التلال ولكنه لم يكن يعرف الاتـجـاه الـذي يجب أن يقصـده . ركض كثيـراً بين المستنقعـات والسهـول الى أن وصـل أخيـرا الى الغـابة فتوقف وبدأ يصرخ على اختيه :-

-(تيـزا) . . . (كاثري) . . . يجب ان تحضرا بسرعة لانه (حكيم) حالته سيئة جداً، انا (دان) اجيباني .

طارت جميـع الطيـور والغـربان من فوق الأغصان عندما كان يصـرخ بصـوت عال . انتظـر دقائق علـه يسمع جوابا منهمـا ولكن من دون جدوى اذ لم يعثـر لهمـا على اثر . تابـع ركضـه الى ان وصـل المنطقة التي يوجد فيها الفخ

ولكنهما غادرتا هذا المكان منذ وقت مبكر.

في هذه اللحظات شعر (دان) بالفشل وخيبة الأمل لأنه لم يجدهما. فلم يكن بامكانه إلا أن يرجع الى الحظيرة ويقدم لصديقه ما يقدر عليه عساه يستطيع انقاذه. بعد ركض طويل وصل (دان) الى الحظيرة وهو يلهث. وكان يشعر بخوف كبير من الاقتراب منه، انحنى عليه وقرب منه رأسه وهمس في أذنه :-

- هل تريد أن اجلب لك ماء لان حرارتك مرتفعة جدا.

فأومأ (حكيم) له برأسه بالايجاب، وكانت عيناه مفتوحتين قليلاً. فالتقط (دان) الطاسة الخاصة به بسرعة وانطلق راكضا الى الساقية وغرف بها قليلا من الماء وعاد به راكضا الى الحضيرة.

- تفضل يا (حكيم)، هذا الماء الذي طلبته...

اشرب... أرجوك أن تشرب يا (حكيم). لم يتمكن (حكيم) من رؤية (دان) فوضع له الطاسة بقرب وهو يرتجف خوفا من ان يموت هذه اللحظة. وقد تبللت ملابسه من شدة العرق فدفع له بالطاسة وقال له :-

- أرجوك لاتكن بهذه الحالة المزرية... أرجوك أن تصبح بحال أفضل...

كانت هذه اللحظـة أطـول وأصعب لحظة يمر بها في حيـاتـه . لكنـه اخيـرا قرر أن يفعل شيئا ينقذ به صديقه ، فدخـــل الى الحظيـــرة بدافـع من عاطفتـه وجلس على الأرض قربه ورفعه الى الأعلى واحتضنه بذراعيه . تناول الطـاسـة بيده وبدأ يبلل له شفتيه الجافتان بلماء ثم شربه منـه . وصلت (كـاثرين) و(تيزا) أخيرا الى الغابة ، حيث يمكنهما ان يشاهدا النهر، الذي ذاب مجراه بدأ ينساب من صخـرة الى صخـرة وخريره يسمع بوضوح . أمسكت (كاثرين) بيد أختها بكل قوة وعصرتها :ـ

ـ هل ترين الدخان الكثيف المنبعث من الجهة المقابلة قرب حقـل عائلة السيـد (هوج) ، انه دخان كثيف ويبدو انه منبعث من حريق كبير او انفجار وليس من المداخن . ولكن من الصعب تحـديـد المكـان الـذي ينبعث منه تماما . ثم سمعا صوت ثرثرة عالية وكثيرة فتساءلت (تيزا) :ـ

ـمـاذا يجـري هنـاك ، هل يمكنـك ان تحـزري ، لماذا لانـذهب الى الأسفل قرب النهر لكي نصبح على مقربة من المزرعة ونعرف ما يجري عن كثب .

ـلااعرف تماما ما عساه ان يكون هذا الدخان ، ولا اعتقد

اننا سنصل لنتيجة اذا ذهبنا الى هناك ولأفضل ان نبقى هنا.

ـأرجوك ان تدعينا نفعل ذلك قبل هطول المطر.

ركضت (تيزا) باتجاه الأسفل وكانت السماء تميل الى العتمة اكثر لانها امتلأت فجأة بالغيوم. وقد بدأت رياح بسيطة بالهبوب. ثم لحقت (كاثرين) اختها ووصلتا معاً الى حافة النهر، فبدأت قطرات المطر تتساقط فور وصولها.

في الحظيرة كان (حكيم) قد هدأ وأصبح بحالة جيدة واستسلم في نوم عميق. فأنزله (دان) من حضنه ومدده على كومة القش، ثم خرج من الحظيرة زاحفا على أطرافه الأربعة بكل هدوء حتى لايوقظه. وقبل ان يخرج أخذ معه طاسته واتجه الى الساقية لكي يملأها له بالماء فربما يحتاجه في الليل. كان المطر في الخارج غزيرا جداً اِلا أنه لم يبال وما أن وصل الساقية حتى كانت ملابسه ملتصقة عل جسده وكأنه خرج لتوه من حوض السباحة. ملأ له الطاسة وعاد مسرعا للحضيرة فوجده مستيقظا يحدّق فيه، ولكن يبدو انه لم يكن يره بوضوح لان حرارة جسده اثرت على نظره، فقال له (دان)

ممازحا :ـ
ـانني مبلل جدا، حتى انني أبـدو وكأنني سمكـة داخـل الماء ولكنني أشعر بالدفء اكثر مما لوجلست قرب النار.

بدأ ينـزع قميصـه ويعصـره من المـاء لكي يجفف به جبهـة (حكيم) ورقبتـه من عرقه. كان (دان) يشعر براحة كبيرة لانه تمكن من اراحة صديقه عندما جفف له عرقه. بعد أن ارتاح (حكيم) غاب مرة ثانية في نوم عميق ولكن لمـدة دقـائق معـدودة وعنـدمـا استيقـظ كان يفتـح عينيه بشكـل جيـد ورأى (دان) بوضـوح وهو يقف فوق رأسه. كانت عيناه تفيضان بالشكر والأمتنان لهذا الطفل الصغير الـذي استطـاع ان يخفف عنـه وينقذ حياته ثم احتضنته بين ذراعيه بشدة وهو يتذكر ما فعله هذا الصبي الطيب. ووضع رأسه على صدره وهمس بأذنه :ـ
ـليباركك الرب يا صغيري على كل ما فعلته لي.

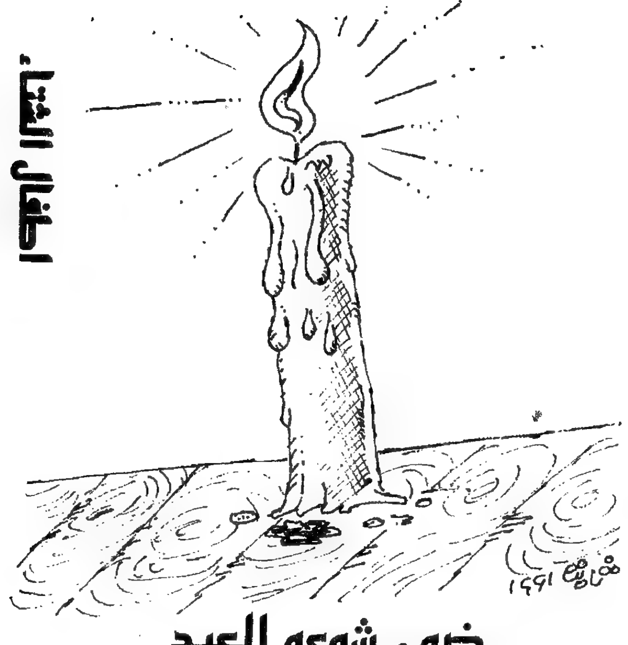
ـلاتقل ذلك يا صديقي، هل تشعر بتحسن؟
اغلق (حكيم) عينيه وكان يود ان ينام مرة ثانية وقال له :ـ
ـانني افضـل بكثيـر من السـابق فقـد بعثت الـراحـة في نفـسـي ويجب ان تبتعـد عني في الحـال. اذهب الى

المخزن ولاتعد الى هنا مرة ثانية مهما يكن السبب.

رفع (دان) رأسه عن صدره وبدأ يحدق به لانه شعر بصوته وصدره يرتجفان نتيجة القشعريرة التي سرت بجسده. لماذا لم ينظر اليه (حكيم) مرة ثانية. لقد كان (دان هو الآخر يرتجف بعنف. انه بردان وخائف من شدة الحرارة. كان (دان) يشعر بالاجهاد لانه طوال اليوم كان يعتني ب (حكيم). ترك الحظيرة وتوجه الى المخزن ولم يلق عليه نظرة.

كان المطر ما يزال مستمرا في الخارج فاضطر ان يمشي بجانب الحائط الى ان يصل الى باب المخزن. ففتح الباب بسرعة ودخل المخزن وكأن جسده كله يرتعد وشعر هو الآخر بقشعريرة تدب في جسده

في المخزن كان قميصه القديم معلقا فوق العمود في نهاية المخزن، فتناوله ولف به نفسه ووضعه على كتفه. لكن القميص لم يكن جافا تماما. فتجه الى كومة القش لكي يلف نفسه داخل البطانية، ثم تمدد على القش وغطى جسده به من اعلى رأسه الى أخمص قدميه ووضع إبهامه في فمه واستسلم في نوم عميق لانه كان مجهدا وحرارته مرتفعة.



ضوء شمعة العيد

أضرمت النيران في القرية وسمع صوت طقطقة تكسر الأسة والكراسي المتكومة فوق بعضها ، وكان سكان القرية يرمونه بالعصي والكراسي والاخشاب باستمرار داخل النار. لكن النار لم تستمر طويلاً وخمدت بمجرد هبوب الرياح وسقوط الأمطار. فتطاير الدخان بسبب الرياح العالية . لم يكن سهلا عليهم رؤية أثاثهم وهي

تحترق بالنيران. انها المرة الأولى التي يجتمعون بها منذ مدة طويلة حيث حل بهم الوباء، فكانت فرصة جيدة للتحدث فيما بينهم. لكنهم لم يبقوا هكذا مدة طويلة حيث ان الدخان المتطاير كله يهبط على رؤوسهم ويلوث الهواء من حولهم. فتوزعوا على البيوت المجاورة للنار ولم يذهبوا جميعا الى منازلهم.

أذن سبب الدخان الذي شاهدته (تيزا) وأختها كان هذا الحريق، لكنهما لم تتمكنا من معرفة سبب الحريق وماذا يجري بالتحديد بسبب بعدهم عن القرية. عندما اشتد المطر قررت الأختان العودة الى المخزن فتسلقتا التلة المؤدية الى الغابة لكي تحتميا بين اشجارها وأغصانها الكثيفة من هطول المطر. وعندما أنهيتا الغابة استلتا نفسيهما ببطء الى المخزن. كان المطر شديدا عليهم فيخترق الأغصان الكثيفة ويبلل ملابسهما وشعرهما الذي التصق على رقبتيهما. وبينما هما تركضان فوق الحشيش المبلل زلقت اقدامهما ووقعتا على الأرض فقالت (كاثرين):-

- لايهم دعينا نركض بسرعة إلى المخزن بدلاً من المشي بهذا النحو البطيء.

ـ هذا صحيح فنحن لايمكننا أن نبقى هنا مدة أطول. فنحن في كل الاحوال مبتلتان أن بقينا وان تابعنا مسيرنا لذلك فمن الافضل ان نصل قبل حلول الظلام.

عندما دخلتا الى المخزن فوجئتا بأن (دان) كان مستغرقاً في نوم عميق فوق كومة القش فجلستا بالقرب منه ولم ترغبا بايقاظه. همت الفتاتان بنزع الملابس المبللة وعصرها من الماء لكي تجف، ثم تناولتا ملابسهما الجافة التي كانت منشورة فوق العمود ولبستاها فهمست (تيزا) لأختها بصوت واطىء حتى لاتوقظ أخاها:ـ

ـ للأسف لم يتبق شيء من حساء الأرنب لكي نتدفأ به.

ـ ولايمكننا إضرام النار الآن، على اية حال لاتبالي فعندي لك قطعة من لحم البقر المملح.

ـ أوه... لحم البقر ثانية، لقد مللته وأفضل لحم الكلاب عليه.

ـوكذلك أنا، لماذا لاتأخذي تفاحة أذن مثلي.

كان صندوق التفاح فارغاً تقريباً، وكل ما تبقى به كان أما مطعون أووسخ. ولكن على الرغم من ذلك فانه بالنسبة لهم أفضل بكثير من لحم البقر. تناولتا التفاح

وجلستا على صخرة التفكير تأكلانها . كان ضوء المخزن مخيف باستمرار ويوشك ان ينطفىء نتيجة وجود ريح بسيطة . فتناولت (كاثرين) شمعة جديدة وأشعلتها، وهي تقول :-

- ستهب ريح قوية على ما يبدو، تسبب في تمايل المخزن واهتزازه وكأنه قارب وسط امواج عاتية .

- كم بقي لدينا من الشموع؟

- لم يبق غير شمعتين ، لذلك يجب علينا جمع المزيد من الشمع الذاب علنا نحتاجه .

- هذا ما يجب ان نفعله ، ولكن ليس اليوم بل غداً .

- اذن غدا يجب ان نقوم بهذه المهمة قبل اي شيء اخر .

كان الأطفال مستلقين فوق اسرتهم يسمعون صرير الرياح بالخارج . فقد كانت شديدة جدا . لم يعل (دان) بقدوم أختيه لانه ما يزال نائما . بعد ان ارتاحتا قليلا شعرتا بفراغ (كلاودي) والدجاجتين ، وتذكرتا بانهما نسيتا أن تدخلاهم وهما في طريق عودتهما الى المخزن . لكن (كلاودي) لم تحتمل الرياح في الخارج ، فخلصت نفسها من الحبل المربوط به الى الشجرة ، بدأت تعدو في الحقل . تبعتها الدجاجتان

فوصلن جميعــا الى المستنقــع، ثم دخلن الى الغـابـة وبـدأن يتنقلن بين جذوع الاشجـار، ثم خرجن ووصلن الى اسفل الطريق، فاتجهت الدجاجتان الى النهر وعبرتا الضفــة الأخــرى منــه حيث كانت قبـل أن تأتي بهمـا (كاثرين) الى المخزن.

نهضت (كــاثــرين) من على الصخـرة التي تجلس عليها وذهبت باتجاه القدر الذي طبخوا فيه حساء الأرنب مسـاء أمس. فلم تجـد فيـه الا الشيء القليل جداً. في هذه اللحظة تذكرت ان (حكيم) جائع ايضا، فقررت ان تأخــذه له، فاشعلت النــار تحت القــدر ريثمـا تذهب وتحضر طاسته. على الرغم من توقف المطر لكن الريح ما تزال قويــة جداً بحيث ان (كــاثــرين) انـدفعت الى الخلف حالما فتحت الباب فتمتمت قائلة:ـ

ـانها تدفعني الى الخلف كأنها حصان متوجش.

ـدعك من الخروج الآن الى ان تهدأ قليلا.

كانت (تيـزا) ما تزال تلف نفسها بمعطفها ولم تنهض لكي تساعد أختها، حاولت فقط أن توقفها بالكلام ولكن كاثرين لم تقتنع وقالت لها:ـ

ـ يجب ان انهض وألقي عليـه نظـرة، عله يكون محتاجا

لشيء. ولاتنسى ايضـا اننـا نحتـاج الى الحليب لكي نتعشى، أم انك لاتشعرين بالجوع؟
- بلى انني جائعة جدا.
- دعي عنـك الكسـل وانهضي يا (تيـزا) وأوقظي (دان) أيضـاً، ريثما أذهب وأحضر لكما الحليب من الخارج.
تذكرت يا عزيزتي اننا نحتاج
لجلب الخشب لكي نتـدفأ به اذا استمـرت هذه الرياح، لاتنسي ان توقظي أخاك.
حسناً ياعزيزتي سأفعل.

دفعت (كـاثـرين) نفسها الى الخارج واغلقت الباب خلفهـا، ثم نهضت (تيـزا) من فراشهـا، تمشي حافيـة القـدمين على الأرض البـاردة باتجـاه كومـة القش ثم جلست بقـربـه وهي تهـز جسده لكي توقظه. فتح (دان) عينيه وصرخ بوجهها:-
- أغربي عن وجهي.
- يجب ان تقـوم يا(دان). فلدينـا الكثيـر الذي يجب ان نقـوم به، فنحن نحتـاج الى الطعام والدفـء وهذا بالطبع يحتاج الى الكثير من العمل... هيا انهض ولاتكن كسولاً.

ـ دعك مني فان لست جائعا ولا أريد أن أكل .
ـ هذا ما سمعناه كثيرا قبل ذلك ياسيدي (دان)، وحالما يجهز الطعام تكون أول من يهجم عليه .
بدأت تهـزه مرة ثانيـة فاحست ان حرارة جسمـه مرتفعـة فقالت له بكل دهشة :ـ
ـإن حرارتـك مرتـفـعـة جداً وكأن ناراً مستعـرة تحت جسدك، ماذا حصـل يا (دان)؟ ـدعيني يا (تيـزا) فقـد أصبت برأسي
كانت عينـاه تقـدحـان حرارة، فوضعت عليه البطانية لانـه كان يشعـر بقشعـريـرة تسـري في كل أوصـاله . ثم ذهبت الى الخارج لكي تقوم بعملها، فغطس (دان) بين كومـة القش والبطـانيـة وكان جسمه كله يرتجف. بدأت (تيـزا) تبحث عن (كـلاودي) لانهـا لم تعلم بعـد انهـا قطعت الحبل وهربت ثم راحت تصيح عليها :ـ
ـكـلاودي . . . كلاودي . . . أيـن أنـت أيتهـا البقـرة المعتوهة . . . اسمعيني صوتك .
هذه هي المـرة الأولى التي تهـرب بهـا(كـلاودي) . عنـدما ادركت (تيزا) ان البقرة غير موجودة شعرت بتأنيب الضميـر لأنهـا لم تدخلهـا معها الى المخزن ليلة أمس .

وهي البقــرة والصــديقــة التي تغني لهــا. انهم جميعــاً يشعــــرون وكأنهم في بيــوتهم بوجــود (كـلاودي) لانهــا تمنحهم من حليبهم الدافىء.

استمــرت (تيــزا) تبحث عنهــا وتصــرخ عليهــا/علها تسمــع صوتهــا ولكنهــا تعبت كثيــرا وخصوصا وان الرياح كانت قويــة جدا فرجعت الى المخـــزن، فشــاهـــدت (كاثرين) قد سبقتها وجلست على صخرة التفكير واضعة رأسهــا بين يديهــا. بدأت الأختــان تحــدقان ببعضهما.

ووجه كل منهما يملأه الخوف والقلق وقد توقعت ان شيئا مذهلاً قد حدث، فقالت (تيزا) وخيبة الأمل تملأ صوتها:-

-لقد هربت (كلاودي)... لقد اختفت

-اعرف ذلك وكذلك (حكيم)

امتلأت عينــاهــا بالــدمــوع عنــد سمــاعهــا باختفــاء (حكيم)، فقــالت بلهجـــة ملؤهــا الشفقـة عليــه لانهــا اعتقدت انه مات:-

-أوه (حكيم)... ايها المسكين.

-لا... أنــا لا أقصــد ذلك... ولا أتمناه له... اعتقد انه رحل وتركنا.

ـكيف يرحل وهو لايقوى على رفع رأسه الى الأعلى .
ـمن المؤكد انه زحف على أطرافه الأربعة اثناء الليل .
ـما السبب الذي دفعه ان يفعل ذلك يا ترى؟
ـأرجوك يا (تيزا) ان تتوقفي عن طرح الاسئلة ، فأنا مثلك لاأعرف شيئا . . . ما اعرفه انه ذهب فقط ولكن لا اعرف الى اين أو لماذا . . . ألم أكن يوم أمس كله معك؟
كانت (تيزا) تتذكر جثث الحيوانات المتناثرة بين جذوع الاشجار
ـربما رجع مرة ثانية الى القرية لكي يكون بقرب أخته .
ـاعتقد ذلك . . .
ثم تناولت بيدها رداء أبيض مدعوكا وملقى على الأرض .

ـانظري الى هذا ، انه الذي زاد من قلقي . انه قميص (دان) ، لقد وجدته في الحظيرة التي كان بها (حكيم)
بدأ قلب (تيزا) يخفق بسرعة ، ويداها ترتجفان ثم دمدمت مع نفسها وهي تتذكر ما قاله لها (دان) في هذا الصباح :ـ
ـ لقد أخبرني هذا الصباح انه يشعر بالتعب وكانت حرارته مرتفعة .

كان (دان) مستيقظا وسمع الحديث الذي دار بين الفتاتين وقال لتيزا يذكرها بما نسيت ان تقوله لـ(كاثرين) :ـ

ـوقد قلت كذلك انني أصبت برأسي . . . أليس كذلك؟

فردت عليه (تيزا) :ـ

ـنعم ياعزيزي ، ولكنها المرة الأولى التي يمرض فيها أحد منا . كنت أعتقد أن فصل الشتاء قد انتهى وبدأ فصل الربيع ولكن يبدو انني مخطئة . يجب علينا ان نقاوم أمراض الشتاء البسيطة مثل الرشح ووجع الرأس، أليس كذلك يا (دان)؟

ـولكن الأصابة بالرأس صعبه .

فقالت له (كاثرين) :ـ

ـ هل تعتقد أن كلامك هذا مقنع وكيف يحدث ان يوجد قميصك في الحظيرة؟

تغير وجه (دان) فجأة ولم يستطيع ان يرفع عينيه عليهما حتى لايرى نظرات الدهشة والتساؤل في عينيهما ، فرد على اخته :ـ

ـكانت حرارة (حكيم) عالية جدا فتركت له قميصي لكي يبرد به وجهه ويمسح العرق عن وجهه ورقبته .

فتساءلت (كاثرين) بشك كبير وهي تتوقع أن يكون جوابه بالايجاب :-

-لقد رميت قميصك اليه . . . أليس كذلك؟

حاول (دان) جاهـدا ان يتـذكر الموقف الذي دار بينه وبين (حكيم) في الحظيـرة . وكيف كانت عينـاه تبرقان ، وهويخرج لسانه ويبلل شفتيه الجافتين ثم قال مرة ثانية :-

- لقد كانت حرارته عالية جداً فجلبت له الماء من الساقية ورفعت رأسـه الى الأعلى حتى يتمكن من شرب الماء ، ثم مسحت وجهه بقميصي المبلل .

عنـدما سمعت (كاثرين) كلام (دان) القت بالقميص على الأرض الوسخة بحركة منفعلة جداً ويداها ترتجفان وقالت مؤنبه :-

-ألا تعـرف ما فعلت؟ هل تعـرف ماذا يعني هذا؟ لمـاذا فعلت هذا يا (دان)؟ أجبني كانت تصـرخ وهي خائفـة وغاضبة فخاف هو منها وقال لها بصوت مخنوق ويرتجف :-

-لقد أردت أن . . . أريحه .

أستطـاعت (تيـزا) ان تفهمـه اخيـرا ، فاحتضنتـه وكانت

عينالها مليئتين بالدموع :-

-حسنا ايها الصبي الطيب، سنعتني بك حالا وبأسرع وقت ممكن. أنك فتى شجاع، بل أشجع منا نحن الأثنين. فقد فعلت ما لم نستطيع نحن الكبار أن نفعله. أعدك بأننا سنرعاك ولن نتركك أبدا.

رمى (دان) نفسه في أحضان أخته، فقد أحس وكأنه بين أحضان أمه، لان أمه كانت ستفعل الشيء نفسه لو كانت موجودة. لقد شعر بحنين ورغبة للعودة الى بيتهم والى أبيه وأمه. كانت الرياح تصرّ في الخارج وكأنها شبح مخيف تحدث قرقعة في العوارض الخشبية وقد أزعج هذا الصوت الصبي الصغير وجلب انتباهه، وبعث خوفا والما اكثر في جميع انحاء جسمه لقد تيبست حنجرته وجفت، ثم سأل (تيزا) :-

- هل يمكننا ان نعود الى البيت الآن؟

فحاولت ان تطمئنه :-

-بالتأكيد سنعود حالما تصبح بحالة جيدة. حاول ان تنام الآن حتى ترتاح.

كانت (تيزا) تتحدث مع أخيها بحنان كبير، أثر في أختها وأنتشلها من خوفها ومن أفكارها القلقة التي تسيطر

عليها، وتذكرت ان اخاها يحتاج الى المزيد من التغذية والعناية الجيدة لكي يخرج من الأزمة التي يمر بها. ثم توجهت الى صندوق الفاكهة وأخرجت ما تبقى فيه ثم ملأت يديها بالقليل من الحبوب والذرة وشرائح لحم البقر المملح، علّه يكفي أخاها ويقويه لكي يتخلص من هذه المحنة.

بعد قليل أشعلت النار لكي تعمل له حساء الخضار، ثم فكرت ان تذهب الى الفخ علها تجد ارنبا. وبذلك سيسير كل شيء نحو الأفضل وستتحسن صحته لانهما لن تتهاونا بها أبداً، فهل يستطيع هؤلاء الأطفال ان يقوموا بكل ذلك؟ وان يمروا بهذه المحنة بسلام؟ وماذا ستقول والدتهم لو علمت بذلك؟

قطعوا اللحم والخضار ووضعوها في القدر. ثم تذكرت (كاثرين) وهي تشعل النار بوساطة الشمعة ان

عليها ان تعمل المزيد من الشموع لانهم ربما يحتاجون اليه في ما بعد فاسرعت الى الخارج وهي تحمل معها الفتيل داخل قدر آخر لكي يبقى مشتعلا ولا ينطفىء من جراء قوة الرياح وذهبت وهي تحمله الى الساقية لكي تجلب قليلا من الماء. في الحال كانت الشوربة تغلي

والفقـاقيـع تملأ السطـح . بعد ان عادت ، اتجهت الى القدر ووضعت يديها فوقه لكي تتدفأ بالبخار المتصاعد منه .

كانت اغصـان الاشجار تتضارب مع بعضها ، والغيوم السود تملأ السماء واقتلعت الرياح نباتات الجولق البري من التـربـة . وسط هذه الاصوات الهادرة كالموج العالي كانت (كـاثـرين) تحس وكأن رأسهـا يدور وسـط هذه العـاصفـة القـوية ، ثم تذكرت الهدوء والراحة التي كانوا ينعمـون بها في المخزن قبل حلول فصل الشتاء وانهمار الثلج . . . تذكرت التلة التي كانوا يلعبون عليها والوادي الـذي يقـع في الأسفـل والقـريـة التي تحمـل ذكـريات طفولتهم ، حيث عاشوا فيها سنوات طويلة بهدوء وسعادة وسط أهلهم وجيرانهم وأصدقاءهم . ثم بدأت تتمتم مع نفسها بلا وعي :-

- يبـدو ان عقلي سيتـوقف اذا ما استمـريت على التفكير بهـذه الطـريقـة . والمستقبـل دائما يملأني خوفا ورعبا ، لذلـك يجب علي ان افكـر في الحـاضـر فقـط والاعتناء ب(دان) لكي تتحسن صحته وحماية نفسي وأختي حتى لانـصـاب بالمـرض مثله . هذا هو المهم في الـوقت

الحاضر ويجب ان اترك المستقبل لحين قدومه، فلا أحد يعرف ماذا سيحصل غدا؟

بعد ان نضج الحساء، سكبت منه قليلا في الطاسة لأخيها وحملته له وكان البخار يتطاير منه. تذوق (دان) الحساء لكنه لم يتذوقه ولم يعجبه أبدا، لذلك فقد القاه جانبا. فتناولته (تيزا وبدأت تلاطفه لكي تشجعه على تناوله :-

- سافعل لك مثل والدتي فاتذوق انا أولا ثم تتذوق انت بعدي.

كان يشتم رائحة الحساء وتعابير وجهه تدل على انه مشمئز منها. وكذلك (كاثرين) لم تتذوق شيئا منه وقالت في نفسها :-

- صحيح ان رائحته مقززة للبدن لكن كل منا يجب ان يأكل منها لكي تحفظ صحتنا وقوتنا ولا نصاب جميعنا بالوباء.

كانت (كاثرين) تجلس على صخرة التفكير وتحاول ان تخرج نفسها من الأفكار السود التي تجمعت في رأسها وبدأت تحوم حولها وتذكرت كلام أمها عندما كانت توصيها قبل ان تتركهم «يجب ان تشغلي نفسك

بأي شيء ولاتسمحي للوقت ان يحــولــك الى انسانـة تعيسـة» لذلـك فقد قررت ان تساعد أختها بحك الشمع المــذاب على الصخــرة. وبعـد أن أنتهيتـا من كشطـة جميعه وضعته (كاثرين) في طاسة، ثم وضعتها بعد ذلك على النـار. وتـركته لكي يذوب جميعه ثم تناولت شريطا وصنعت منه فتيل للشمعة.

لقد ذابت آخر شمعة ولم يبقى منها أي ضوء فأسرعت (تيــزا) وكشطتهـا هي الاخـرى ووضعتهـا فوق الشمـع المتجمـع فوق الطـاسـة. عنـدمـا ذاب الشمـع. بدأت رائحتـه تتطـايـر فبـدأت عيـونهم تدمـع لأن رائحة دخان الشمـع المـذاب كانت كريهـة جدا ولاذعـة. تمكنت (كـاثـرين) أخيـراً من صنع شمعتها. انه عمل جيد ذلك الـذي قامت به هذه الفتـاة الـذكيـة فليباركها الرب على صنيعها وعلى عنايتها بأخيها وأختها.

لاحظت (كــاثـرين) ان عيني أخيهـا بدأتـا تدمعـان بشكـل غزيـر، لذلـك فقد وضعت الطاسة على الأرض قرب مائـدة الطعـام. فخف بذلك ضوؤها بحيث اصبح لا يمكن رؤيتـه بشكـل جيـد. كان خيـال لهيب الشمعـة يتــراقص على الجــدران والسقف بسبب الـريـاح التي

تتسرب من تحت الباب. وضع (دان) رأسه بين أحضان (تيزا) لكي يبتعد بعينيه عن الدخان فبدأت تلعب بشعره وتغني له بصوتها لكي يرتاح وينام.

بينـمـا كانت تلعب بشعـره غط هو في نوم عميق، استغـرقت هي في تفكيـر عميق. تسـاؤلات كثيرة دارت برأسها. فكم هي المدة التي تقع بين الأصابة بالجرثومة وبين ظهـور الحمى عليـه؟ ومـا الـذي سيحصـل له بعد اصـابتـه وخصوصا ان جسمه ضعيف؟ هل سيتمكن منه المرض ويقضي عليه مثل الآخرين، أم انه سيتمكن من التخلص منه؟

ومـاذا ستفعـل هي واختها اذا ما تمكن منه المرض؟ هل ستتركانه حتى لاتصابا؟ فما كان منها إلا أن بدأت تبتهل للرب أن يشفيه:-

-رجـاء أيهـا الرب... لاتأخذه منا... فأنت بمقدورك ان تشفيه وتشفي الاخرين اتوسل اليك ان تشفيه وتنقذ حياته.

كانت (تيزا) تفكر بالازهار والربيع التي تنتشر في وقته وجمـال وبهـاء الازهـار والغابات والاحراش، انها تتمنى ان تجلبهـا وتضعهـا في المخـزن لكي تبدو بشكل ابهى

وأجمـل. ثم فكـرت أيضا ان تضع بينها حبات من الفطر والكمأ لكي تضفي عليهـا لمسـة جمـال. ثم فكـرت بالعنـاكب التي كانت منشغلة ببنـاء بيـوتهـا بين الردفات الخشبية والزوايا في المخزن.

كانت الـريـاح ما تزال تعصف بقـوة في الخـارج وتتسبب في تمـايـل وتراقص الشمعة في داخل المخزن في مثـل هذا الليـل المظلم. أمـا (دان) فانـه يرتجف يرتعش في فراشـه لان حرارتـه مرتفعـة جدا، و(تيـزا) قد غلب عليها التعب وبدأت عيناها تطبقاه على بعضهما، ولكنها صرخت فجأة بصوت مملوء بالخوف لان الشمعة بدأت تنطفىء.

-كاثي... (كاثي)، لقد انطفأت الشمعة.

لكن (كـاثـرين) لم تجب بشيء، بل اكتفت بالتحـديق بالشمعـة وهي تنطفىء وتـوقفت لحظـات عن التنفس، وكان لديها احساس بان الرياح ستتوقف هي الأخرى عن الصفير. في تلك الاثناء كان باب المخزن يطرق بشكل عنيف، فاصيبت بذعر كبير ونظرت الى اختها التي كانت مندهشة مثلها وسألتها بسرعة:-

-أتتوقعين ان يكون الطارق هو (حكيم)؟

أختلطت أفكار كثيرة برأس (كاثرين) ولم تجب أختها بشيء، ولكنها سمعت الطرق مرة أخرى وكان أقوى من السابق ولكنه هذه المرة كان مصحوبا بصوت شخص يخاطبهم :-

- افتحـوا البـاب لي يا احبـابي ودعوني أدخل، العاصفة قوية جدا في الخارج لقد انتهى الوباء وقضينا عليه.

فور سمـاعهم الكـلام بدأت (تيـزا) ترتجف وأقتربت من اختها والتصقت بها وبدأت تهزها بيدها وهي تقول لها :-

- اسمعي يا (كـاثي). . . هل تسمعين، انـه الـرسـول الذي وعدت والدتنا ان ترسله عند انتهاء الوباء وهاهو قد جاء

كانت (تيـزا) ترتجف وتتكلم بصـوت متقطـع وعندما استمـر الطـرق على البـاب استيقظ (دان) وسحب نفسه من بين الغطاء وكومة القش وركض باتجاه الباب يريد ان يفتحـه. فركضت (كـاثـرين) خلفـه لكي تسـاعده وهي تمسح الدموع المتساقطة على خديها. ثم سمعوا صوت الـرسـول مرة أخرى وفي هذه المرة تمكنت (كاثرين) من تمييزه وفتحت له الباب



العودة

تمكن كلا من (دان) و(كاثرين) ان يفتحا الباب أخيرا حيث انساب ضوء الشمس الذهبية من خلاله. كانت مفاجئة غير متوقعة اليهم فقد كان والدهم هو الذي يقف بالباب وليس أي شخص غريب أرسلته لهم الوالدة. وقف بالباب وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه. لم يكن قدوم والدهم هو المفاجأة الوحيدة للأطفال،

فقــد كانت هنـاك مفـاجأة أخـرى بانتظـارهم . . . انهـا والـدتهم التي تقف خلفـه وقـد انقطع نفسها من المشي الطـويـل من حقـل الى آخر الى ان وصلت وخصوصا ان الرياح كانت قوية تلك الليلة .

وقف الأطفـال بجـانب بعضهم وأيديهم متشابكة مع بعضهـا ، وراحـوا يحدقون بعيون بعضهم . فتح والدهم ذراعيه وكأنه يريد أن يحتضنهم قائلاً :ـ
ـهلموا . . . أيها الصغار . . . لقد انتهت العاصفة .

لم يبد الأطفال أية حركة أو كلمة وانما حدقوا فقط بعيني والـدتهم وكأنهم ينتظـرون منهـا أن تسمـح لهم بالتقرب اليها فقالت لهم :ـ
ـاطمئنوا يا اعزائي ، فقد حان موعد عودتكم الى البيت ، هيـا احكـوا لي ماذا فعلتم في غضون وجودكم هنا وكيف تدبـرتم أمـوركم من ناحيـة الطقس والمأكـل والملبس واللعب . . . كيف تغلبتم على كل هذه الصعنوبات أيها الصغار الشجعان؟ ! !
فقـالت (تيـزا) وهي تحاول ان تنزع جلد الخروف الذي لفت به كتفيها :ـ

ـلقد شغلنا أنفسنا بلعبة جميلة وبدأنا نمثل قصة أخبرتنا بها (كاثرين) فلم تغير أسمها. وقد كنا ننشر جميع ملابسنا المبللة فوق العمود لكي تجف ونستخدمها مرة أخرى.

بدأ كل منهم يسرد لوالديه قليلا عن معاناتهم في هذه المدة وكيف كانوا يتدبرون أمورهم من ناحية الدفء والنوم الملابس والطهو وجيد الأرانب وصنع النتيل والاعتناء بالراعي المريض. كانت بالنسبة لهم مدة ليست بالقصيرة ولم تخلوّ من المصاعب التي استطاعوا أن يتغلبوا عليها بذلك يكونون قد اكتسبوا خبرة كبيرة ومقدرة عليها في الاعتماد على النفس والتعرف على الصعوبات عن كثب.

لقد جلبت والدتهم معها معطف وملابس جديدة وجافة. فنزع الأطفال جلود الخراف عنهم ووضعوها مع بعضها فوق كومة القش. في هذه الأثناء كان الوالد يقف خارج المخزن فقذف بمعطفه لأمهم من خلال الشباك وهو يقول لهم:ـ

ـ لقد التقيت بالراعي، الصديق القديم وهو يشكرني على حسن معاملتكم له.

فضحكت الوالدة باستغراب مما صنعه الأطفال مع (حكيم) وقالت لهم :ـ
ـألا ترونه شيئا عجيبا وغريبا ألا ندع شخصا يدخل مكاناً هو ملكه، كما فعلتم انتم مع هذا الراعي المسكين.
فردت عليها (باستي) وهي تذكرها بالوعد الذي اتفقوا عليه :ـ
ـألم تترجينا أن لاندع أحداً يدخل الى هنا.
ثم استدارت الى (كاثرين) و (اندروا) وقالت لهما :ـ
ـأليس كذلك يا (كاثرين)؟... أليس كذلك يا (أندروا)؟
فهزت (كاثرين) رأسها مؤيدة أختها وكذلك أندروا حاول أن يقول شيئا لكنه عطس فقالت له أمه :ـ
ـ صوتك إنك مصاب بالبرد يا صغيري وكذلك عطاسك. وهذا شيء غير مفاجىء بالنسبة لي فقد توقعته مسبقا وبالتأكيد كنت خارج المخزن عند هطول المطر والثلج، ثم قال الوالد :ـ
ـ جدتكم (چرانما) هي الأخرى أصيبت بنوبة حادة وأمكم هي التي قامت برعايتها طوال مدة مرضها. واعتقد انها ستشعر بتحسن عند رؤيتكم والأطمئنان

عليكم ولهذا السبب يجب ان تسرعوا بالذهاب الى البيت، وكذلك الوباء قد انتهى .

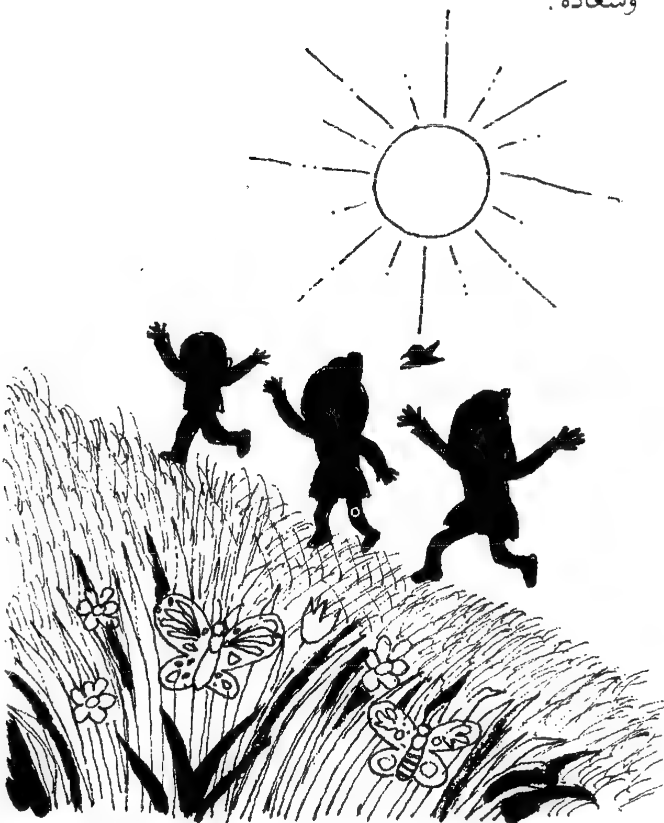
لم يصدق الأطفال الكلام الذي سمعوه، فاطلق (أندروا) و(باستي) فورا باتجاه الباب وبدآا يلعبان فوق العشب الأخضر وتحت اشعة الشمس المشرقة . لم تقف (كاثرين) في المخزن بل اتبعت اخاها واختها .

ولكنها قبل ان تترك المخزن ألقت نظرة خلفها إلى كومة القش الذي جمعوه وخزنوه للشتاء المقبل . ثم حولت نظرها الى الصناديق الخشبية المرصوصة مع بعضها بجانب الحائط . ثم سمعت صوت خشخشة ينبعث من كومة القش فتوقعت ان تكون فأرة صغيرة تلعب بداخلها ، فضحكت بصوت عال وأدارت رأسها وخرجت تلحق بافراد عائلتها .

كان المخزن هادئا وفارغا عندما تركته العائلة . وعاد كما كان عليه سابقا قبل قدوم الأطفال . لم يكن من السهل عليهم ترك المخزن وذكرياتهم الجميلة فيه .

ولكنهم كانوا سيفعلون ذلك إن أجلا أم عاجلا . ذهبت العائلة في طريقها الى القرية عبر الحقول والاشجار . . .

عَبْرَ الغـابات والمستنقعات والتلال، أحدهم يقتضي أثر الأخر وهم يتراقصون وكأنهم فراشات تتطاير مرحاً وسعادة.



الكتب الصادرة عام ١٩٩٢

أسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المترجم
١ ـ الأسد والساحر وخزانة الملابس.	سي. أس. لويس	أحمد مصطفى
٢ ـ رباعيات بشرى وحنان.		شعر: سليمان العيسى
٣ ـ الرجل الذي لاينسى.		مها محمد حسن
٤ ـ رعشة من خوف.	أملين روبرتس	نيران اسماعيل
٥ ـ المختطف الجزء الاول.	ستيفنسون	مجيد ياسين
٦ ـ المختطف الجزء الثاني.	ستيفنسون	مجيد ياسين
٧ ـ حكاية الحمار سروال.	هنري بوسكو	هنري زغيب
٨ ـ سفينة شراعية في غابة أفريقية.	جان لويس	هنري زغيب

٩ ـ صراع في الكوكب الغامض.		سعد هادي
١٠ ـ رحلة على الخيول الصغيرة.	ديانا تومسن	كوكب علاء
١١ ـ الفلاح الطيب والطير الابيض.	زهير رسام	
١٢ ـ المجنون والببغاء.	دك كنك سمث	مها محمد حسن
١٣ ـ سؤال وجواب في العلوم.		عبد الاله رؤوف
١٤ ـ فطر أزرق.	مختلفون	شفيق مهدي
١٥ ـ الأصحاب الستة والكف ذو القفاز.	بول جاك بوتزون	سوسن فؤاد التكرلي
١٦ ـ كونو الصغير.	بيتر بروك	عبد الستار عبود
١٧ ـ التحول.		عامر فتوحي
١٨ ـ عجلة الخطر.	روبرت ليسون	أناهيد يوسف
١٩ ـ شيء لطيف.. شيء مخيف.		شفيق مهدي

٢٠ ـ البساط السحري.	أليس كلاوتس	ستار زيارة
٢١ ـ شيطان طيب صغير.	دي سيغور الكونتيسة	كمال الشرتوني
٢٢ ـ الأسـد.	جوزيف كيسل	هنري زغيب
٢٣ ـ ثروة غاسبـار.	الكونتيسه دي سيغور	هنري زغيب
٢٤ ـ أحفاد كولومبس.	تيد هيوز	د. حسن البياتي
٢٥ ـ أطفال الشتاء.	بيرلي دورثي	
٢٦ ـ الزورق الأول.	حسين حسن التميمي	
٢٧ ـ شبح الغرفة (٤).	مونيكا دكنز	كمال الشيخ
٢٨ ـ الغابة المسحورة.	أنيد بلايتون	نوفل محمد فوزي
٢٩ ـ حكايات تولستوي الجزء الاول.		كاظم سعد الدين
٣٠ ـ حكايات تولستوي الجزء الثاني.		كاظم سعد الدين

٨٣ و٨٠٨
د ٩٤٣ دورتي، پيرتي
اطفال الشتاء / پيرلي دورتي؛ ترجمة هنار فلاح؛ رسوم ثابت عبدالمنعم.. بغداد: دار ثقافة الاطفال، ١٩٩٢.
ل؛ ١٥ سم. (سلسلة روليات عالمية)
١. القصص العالمية أ. هنار فلاح (مترجم) ب. ثابت عبدالمنعم (رسام) ج. العنوان د. السلسلة
م. و
١٩٩٢/٦٦٢
المكتبة الوطنية (الفهرست اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٦٢) لسنة ١٩٩٢



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٦٢) لسنة ١٩٩٢

